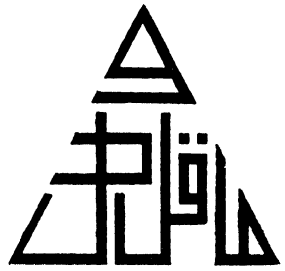


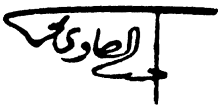
UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190479

UNIVERSAL
LIBRARY



الأول



مطبوعة دار الكتب المصرية

١٩٣٤

مؤلف

عن أناتول فرانس	{		تأليس
	}		الزنبقة الحمراء
عن پیر لویس	{		أفرو ديت القديمة
[نقدت]	}		أفرو ديت الجديدة
عن مولير [بطلب وزارة المعارف]	{		طارطوف
	}		عدو المجتمع
			في الحياة والحب
			باريس

[أجزاء سلسلة تصدر سنويا]

ماقل ودل

بالفرنسية	{		الصحافة المصرية منذ نشأتها الى اليوم
[نقدت]	}		الاصلاح في مصر منذ ثورة ١٩١٩
تحت الطبع	{		قبور في جنة الحب
	}		ثقافة وصحافة

تحت الطبع :

ماقل ودل الثالث والرابع مجلدان مصوران في ٥٠٠ صفحة في القطع الصغير	عروس الشرق بالاشتراك مع الدكتور أحمد موسى مجلدان مصوران في ١٠٠٠ صفحة في القطع الكبير

الاهـداء

إلى أمى !

الى التى مات عنها أبى وهى فى سن العشرين ، وعمرى
خمسة أشهر، فوقفت الى جانبى أربعة وثلاثين عاما تدفع عنى
الجهل والألم بما وراءهما من ظلمات .

الى التى تحبى لنفسى أكثر مما تحبى لنفسها، يزداد حبها
على الأيام فى الرضا والغضب، فى البعد والقرب، فى الصحة
والمرض، فى اليأس والأمل، فى الفقر والغنى .

الى التى أحبت المرأة من أجلها ، لأنها علمتني مدى
ما تستطيعه المرأة الفاضلة من خير .

الى التى لو وقفت كل حياتي للدفاع عن المرأة لما استطعت
الوفاء بذرة من جميلها .

إليك، أمّاه، أضع هذه الكلمات، تحت قدميك !

إلى أمى

مقدمة

للأستاذ الجليل أنطون بك الجميل

رئيس تحرير « الأهرام »

ليس مؤلف هذه المجموعة ، ولا مجموعته هذه ، في حاجة الى التقديم .

أما المؤلف فقد اقتعد مكانه في عالم الكتابة بما أنتجته قريحته من التصانيف الطريفة .

وأما هذه المجموعة — وهى متخبة مما يكتبه كل يوم فى «الأهرام» بعنوان «ماقل ودل» — فقد عرفها القراء قبل أن تضمها دفئا هذا الكتاب .

لهذا كان المؤلف والمؤلف فى غنى عن التقديم والتعريف . ولكن الأستاذ الصاوى — على ما فى كتابته من جرأة ، وعلى ما فى آرائه أحيانا من تطرف — رجل يغلب عليه الحياء .

وهذا دليل على أن قول «بوفون» إن «الإنشاء هو الرجل» ليس دائماً بالقول الصحيح . فان «موايير» مثلاً ، وهو الكاتب الروائي الهزلي الذي أضحك رواياته الخالدة الأجيال المتعاقبة، كان في حياته الخاصة أشد ما يكون الإنسان حزناً وكآبة .

فلم يكن بد، والصاوى حيي نجول، من أن يتقدم أحد أصدقائه فيأخذ يده بيده، ويأخذ كتابه باليد الأخرى، ويقول للقراء :

«هذا هو الصاوى، وهذا كتابه!» .

طلب الى في كثير من التردد أن أقوم بهذه المهمة ، عن حسن ظن بإخلاصى؛ فقبلتها أنا من غير تردد، عن حسن ظن بفائدة هذه المجموعة .

قد يكون غيرى أولى منى بتقديم سائر مؤلفات الصاوى؛ وقد أكون أولى من غيرى بتقديم هذه المجموعة، لأنى دارجت

* Le style c'est l'homme (Buffon)

كاتبها من أول عهده بكتابتها، وتابعت هذه المقالات من بداية ظهورها .

لا أزال أذكر «أحمد الصاوي محمد أفندي» يوم كان موظفا صغيرا بمصلحة المناجم والمحاجر، وهو شاب في مقتبل العمر، يجرب خطواته الأولى في ميدان الكتابة . أذكره ، وهو يحمل مقالته الى «الأهرام»، محاولا أن يُطلع عليها أيا كان ، قبل أن يدفعها الى رئاسة التحرير .

وقد شاءت الظروف أن أكون مرارا ذلك الذي يلقاه ليستأنس برأيه . فكنت أشجعه وأشدّد من عزيمته ، لأنني كنت أحس من خلال تلك السطور المحدودة نفسا توافقة الى الجهر بما تعتقد، كما كنت ألمح في عيني كاتبها بريقا منبعثا عن ميل الى النقد والتقريع ، وأتبين من وراء ابتسامته الساخرة جنوحا الى الإصلاح عن طريق الاستهزاء، وإذا كنت أجد في شكل تقديم تلك المقالات للنشر كثيرا من التواضع والحياء، كنت أقرأ في عنوانها «ما قل ودل» كثيرا من الفخر والجرأة .

ثم، لم يكد يصلب عوده ويشتدّ ساعده، حتى وقع له ،

وهو على ما ووصفنا ، ما لم يكن بد من وقوعه : طلق منصبه في الحكومة ، والمنصب الحكومي أعز أمانى شباننا وأحلاها ، وانصرف عنه غير آسف عليه ، ولا وجل مما يخبئه له المستقبل ، لأنه كان بفطرته طموحا الى الحرية ، تزوعا الى « الحياة البوهيمية » . وما كاد يستقر له ما أراد من الانطلاق من قيود « الوظيفة » حتى قصد الى باريس لأول مرة رغبة منه في زيادة التعلم والتحصيل .

ذهب الى باريس ليأخذ منها ، فتم له ما أراد ، ولكنها أخذت منه أيضا ، فاستولت عليه كما تستولى على غيره ، وطبعته بطابعها الخاص ، حتى ان أمانته لها اليوم أشد من أمانته لنفسه . وإني لأذكر ما كان يكتبه لى من تلك العاصمة معربا عن شدة أمله بالتوفيق فى مزاولة الصحافة وخدمة الأدب .

ولما عاد الى مصر ، وقد اتسعت دائرة معارفه وامتد أفق أفكاره ، انضم الى هيئة تحرير « الأهرام » وأخذ يدون ملحوظاته اليومية تحت عنوان ثابت ، حتى أصبح العنوان

يدل على الامضاء ، والامضاء يدل على العنوان ، كأن هذا
وذاك لفظان مترادفان .

وقد شئت الظروف أيضا بعد ذلك أن أكون بمقتضى
عملي في « الأهرام » أول من يقرأ « ما قل ودل » ويقدمها
للطبع . وهكذا أراني أول القراء اطلاعا عليها ، وأعرف الناس
بالشخص أو الحادث الذى أوحاها . وكثيرا ما أناقش كاتبها
ويناقشنى مغزاها ومرماها . فسرعان ما يبتدل ويحور ، لأنه
غير متعنت فى ما يريد من الاصلاح ، بل هو يدافع عن رأيه
عامدا الى الصلابة حيناً ، والى الملائنة أحيانا ، لايهمه القالب
الذى يبرز فيه فكره ، مادام قد أتيح له ابرازه . وقد يكون
هذا الرأى مخالفاً لما تواضع عليه الناس ، مناقضا لما جرى
به العرف ، ولكنه لا يبالى ما يقال ولا يعاب بما يوجه اليه من نقد ،
بل يقول كلمته ، تصريحاً أو تلويحاً ، ويمشى . وكثيرا ما يكتب
المرء والمرتين فى موضوع لا يتفق وهوى الجمهور ، فتشتد الحملة
عليه ، فيترك الموضوع أسابيع أو شهورا ، ثم يعود اليه حتى يغرزه
فى رءوس القراء . وهكذا أصبح قراؤه يحتملون منه ما لا يحتملونه

من غيره ، ونشأ بينه وبينهم اشتراك روحى هو أقصى ما يطمع فيه الكاتب .

بعض مقالات « ما قل ودل » وليد الحوادث اليومية العابرة يذهب معها وينطوى بطيها ، والبعض الآخر يتناول موضوعات اجتماعية وخلقية وقومية ثابتة لاتضيع بهجتها ، ولا تبلى جدتها . فسألته تخير طائفة من هذا النوع الأخير وجمعها فى هذا الكتاب ، فكنت مسئولاً عن تقديمها اليوم للقراء . والآن أرى أنه لا يليق بكتاب عنوانه « ما قل ودل » أن نتجاوز مقدمته حد ما كتبتُ ، بل كان من حق هذه المقدمة ، مراعاة للنظير ، أن تحصر فى بضعة سطور ، لافى بضع صفحات . ولكنى أردت التغلب على حياء صديق الصاوى ، فتبسط بعض التبسط فى تقديمه وتقديم كتابه للقراء .

فهذا هو الصاوى ، وهذا كتابه !

أنطون الجميل

القاهرة فى أول يوليه سنة ١٩٣٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . نشكره ، ونطمع فى المزيد من فضله وإحسانه ، ونسأله تعالى أن يوفقنا دائماً الى الوفاء بعهدنا لقومنا ، إن العهد كان مسئولاً .

أما بعد فقد أسلفنا الوعد فى كتاب « باریس » لأصدقائنا القراء بأن نخرج لهم كتابين أو ثلاثة فى العام تكون فيها للمشتريين مزايا السبق الى الفضل ، وقد لبوا نداءنا واستجابوا دعاءنا ، فأخرجنا لهم هذين الجزئين الأول والثانى من مجموعة « ماقل ودل » بعشرة قروش ، وجعلنا سعرهما بعد الطبع عشرين قرشاً ، تفريقاً ، كما قاننا فى « باریس » أيضاً ، بين المشترك المساهم فى نشر الأدب ، العامل على إذاعة الثقافة ، والآخذ بيد المؤلف على إخراج ثمرات فكره ، وبين القارئ العارض الذى لا يثق إلا بما يراه رأى العين .

ولقد كان أول مشترك عندى فى هذه المجموعة هو حضرة صاحب العزة جرجس أنطون بك مدير المستشفى القبطى بالقاهرة الذى اشترك فى عشر نسخ ثم حضرة صاحب العزة إسماعيل بك الحكيم المستشار ، بالاسكندرية ، فى عشر نسخ أيضا .

وقد طبعنا ستين نسخة على ورق «إمبريال» ثمين وجلدناها بالشجران وجعلنا عشر نسخ منها للهدايا مرقومة من ١ الى ١٠ والخمسين الأخرى المرقومة من ١١ الى ٦٠ للاشتراك مقابل جنبيين مصريين للنسخة الواحدة فكان أول مشترك هو الأستاذ ألبير القو من الاسكندرية ، ثم السيدة م . ع هانم .

وإنى شاكر لحضرات المشتركين جميعا جميل ثقتهم وحسن ظنهم ونعدهم بمضاعفة الجهد فى خدمتهم ونرجو أن نوفق قريبا الى إخراج سلسلة كتب قيمة فى حجم « ما قل ودل » بحيث يظهر منها جزء كل ثلاثة أشهر بانتظام وبذلك تتكون فى وقت قصير مكتبة جديدة أنيقة يسهل حملها فى الجيب وتزين البيت وتجمع بين الثقافة والطرافة .

وإنى مدين بالشكر لصدىقى النبيل الأستاذ أنطون الجميل بك

الذى أكرمنى بتقديىى وتقديم كتابى هذا لقرائى بأسلوبه الجذاب
ولا غرو فقد عودنى دائماً عطفه الخلاب .

ونشكر أصدقاءنا الفنانين الذين زانوا هذا الكتاب بالمحات
من فنهـم النابغ حضرات الأساتذة حسين يوسف أمين وراغب
عياد ومحمد حسن وعلى الديب و ب.أسعد و م.الغرابلى
ومضى واولقا وصاروخان وسانتيز .

ونشكر الأستاذ الجليل محمد أسعد براده بك ؛ مدير
دار الكتب المصرية ، على رقيق تشجيعه لهذا العمل وحسن
ارتياحه اليه ، كما نشكر صديقنا الفاضل محمد نديم أفندى ملاحظ
مطبعة دار الكتب المصرية على ما بذله من جهد وفن وعناية
فى اخراج هذا الكتاب .

ونجدد لقرائنا الكرام عهدنا بأنهم كلما زادونا إقبالا زدناهم
إتقانا والله كفيل بأن يوفقنا جميعا الى خدمة الفكر ومجد مصر .

١٠٠ ص ٠ م

فهرس

صفحة

٦٩	 سهم الشرق
٧١	 جيته
٧٤	 زوجة نيدلة
٧٨	 شوقى والجمل
٨١	 السينما والكتاب
٨٤	 المعلم الجاهل
٨٨	 الهجاس !
٩١	 الشرق والغرب
٩٣	 اللسان العف
٩٦	 الجمال المصرى
٩٩	 العطلة المدرسية
١٠٢	 الفنون والجنس
١٠٦	 الموسيقى

اجتماعيات

١١١	 المساواة
١١٥	 زواج الطلبة بالأجنبيات
١١٨	 غرام التلميذ

صفحة

قوميات

١٩	 دروس التاريخ
٢٣	 بلادى بلادى !
٢٦	 أمام الكرنك !
٢٩	 الأقصر
٣٣	 سر الماضى
٣٦	 حياة الجنديّة
٣٩	 الفلاح
٤٢	 بنك مصر وشركاته
٤٥	 زمزم والنيل
٤٨	 الوطنية العملية
٥١	 الوطنية الصادقة
٥٤	 فى الزعامة السياسية
٥٧	 اتحدوا !

أدبيات

٦٣	 "الأهرام"
٦٧	 لا يوم بغير سطر !

فهرس

صفحة	صفحة
١٨١ صوت المرأة	١٢١ الطيش
١٨٤ الغيرة ...	١٢٥ كرامة العامل
١٨٦ الغيرة أيضا	١٢٨ لا اسراف !
١٩٠ الشيطان	١٣١ فى الحياة الزوجية
١٩٣ الطلاق	١٣٥ » »
١٩٧ احذروا الخدم	١٣٨ » »
٢٠٠ محسوب للايجار	١٤٢ زواج الصغرى
٢٠٣ طلاب المحسوبة	١٤٥ خذوا عن السودان !
٢٠٦ المال نعمة ونقمة	١٤٩ شيخ العزوبة
٢٠٩ لو كان لى ولد !	١٥٣ النصف الأفضل
٢١١ مهندس الكبارى	١٥٦ الزوجة الموافقة
٢١٣ دخول الدنيا	١٥٩ جنة البيت ...
٢١٦ التأمين على الحياة	١٦٣ أنثاء البيت
٢١٩ يا ليت !	١٦٦ جيل وجيل
٢٢٣ مصدر السلطات !	١٦٩ ثمن الحرية ...
٢٢٦ الذهب القاتل !	١٧٢ حرية الفضائل ...
٢٢٩ رسالة الفضيلة	١٧٥ الأجار الزائفة ...
٢٣٢ دار المرأة	١٧٨ رسالة المرأة
٢٣٦ أيتها الراقصة !	

قورمات



دروس التاريخ

في ٢٠ أكتوبر من عام ١٨٢٧ ، وقعت معركة فاصلة في تاريخ العالم وهي موقعة نافارين التي اجتمعت فيها قوات إنجلترا وفرنسا وروسيا ، وهي الدول العظمى الثلاث في ذلك الحين ، لتغرق الأسطولين المصري والتركي . وكان المقصود بالذات أسطول محمد علي باشا الكبير مؤسس مصر الحديثة الذي كان من سادة البحر الأبيض المتوسط . وكانت خطته الحربية مع ابنه العظيم ابراهيم باشا من أروع ما عرف في تاريخ الحروب .

ولم تكن هذه المعركة الفاصلة بين الدول وانما كانت معركة الشرق والغرب ، كانت مظهر جزع أوروبا من راية مصر الفتاة التي جعلت نتقدم ثم نتقدم والنصر معقود لها في كل مكان .

وما كانت مصر لتطمع فى تهديد سلام العالم وانما تطمع
فى حماية حدودها، وحفظ كرامتها، وصيانة سيادتها . ويستحيل
على دولة ذات شواطئ طويلة كمصر أن تبقى بلا أسطول، لذلك
كان تحطيم ثلاثة أرباع الأسطول المصرى يوم حداد لمصر .

إننا نحب أن يسجل جميع أساتذة مدارسنا هذا التاريخ
عندهم ، وأن يقفوا ربع ساعة عن دروسهم اليوم لطلبته
وطالباتهم للكلام عن موقعة نافارين، وأن يذكروا لهم لمحة عن
محمد على الكبير، وعن ابراهيم أعظم بطل حربى فى تاريخنا
الحديث الذى يعيد الى الذهن فتوحات رمسيس الثانى، وأن
ينخبروهم أن أسود أيام مصر هو يوم نافارين ثم يوم الاحتلال
البريطانى ، وأن بريطانيا التى اشتركت فى اليوم الأول كانت
تمحضر لليوم الثانى .

وهذا اليوم المنحوس الذى هدم سيادة مصر فى البحار
قد بنى استقلال اليونان . ولكن اليونان قد عرفوا كيف
يرفعون بناء استقلالهم طبقات بعضها فوق بعض . ولسنا ننسى

أن تجارا يونانيين نشطين قد أثروا بيننا وأهدوا الى بلادهم سفنا حربية تزيد فى قوة أسطولهم .

أما نحن فقد كنا الى عهد غير بعيد نكثر الكلام ؛ وكانت جميع ثروتنا الأهلية فى حلى النساء من « الفرج الله » الى الخخال الى « البندانتيه » ؛ وكان أغنيائنا لا يعرفون إلا مصالحهم الشخصية . أما اليوم فقد ملست النهضة جميع الكائنات ؛ وتخلصت المرأة المصرية نوعا ما من أثقال الذهب والفضة ؛ وابتدأ الأغنياء يساهمون فى الأعمال الوطنية والمنشآت الأهلية ، وتأسست لمصر شركات للملاحة فى الداخل والخارج ، وتعلم شباب ناهض منا الملاحة ، ووضعوا شارة البحر على أكتافهم وأكمامهم ، ونالوا شهادات فى قيادة السفن .

فى اليوم الذى تهز فيه الوطنية المرأة المصرية الى مقدمة حايها ، كما فعلت المرأة الفرنسية التى قصت شعرها وباعته لتدفع جزية فرنسا لألمانيا لهزيمتها فى الحرب السبعينية ، فى اليوم الذى تفعل فيه ذلك المرأة المصرية لبناء نواة الأسطول المصرى ،

وينزل لهذا الغرض أيضا الأغنياء الذين يملكون ألوف الأفدنة
ولا يكادون يعرفون كيف يحصون دخلهم ، ولا يكادون ينزلون
عن قرش لوطنهم ، فينزلون عن بعض ما لهم لخدمة وطنهم ،
وبقاء مجدهم ، ففي هذا اليوم يحيا أملنا ، ونرفع رؤوسنا ، ونثق
بأن علمنا البحرى الذى نكس فى مثل هذا اليوم فى خليج
ناقارين لا يلبث أن يرتفع وأن يخفق فوق البحار فيقلب على
تاريخ ناقارين المؤلم صفحات تاريخ جديد مجيد .



بلادى بلادى !

وقفت أمس فى ساعة الغروب على شاطئ النيل ، عند
ذلك المنعرج العجيب بعد دار المندوب السامى ، أتأمل ذلك
النهر المقدس الذى عبده بالأمس أجدادنا ، وأرى الضفة
الأخرى بنخيلها وجناتها وأشجارها الباسقة ، والسماء ورد ذهبي ،
أجمل من البندقية ، ومن نابلي ، ومن فلورنسا ، ومن روما ،
ومن لندن ، ومن باريس ...

القصور الشاهقة على الجانبين تنبئ بالغنى الفاحش ،
وبعضها ينبئ بذوق سليم . وهى الى جنب بعضها البعض
متماسكة منفصلة كأنها تتدلل وتتناجى .

لا السين ولا التاميز ولا التمبرولا الرين ولا بحيرات
سويسرا وإيطاليا يمكن أن تفوق جمال هذا النهر .
من شرب من مائه مرة عاد فشرب مرة أخرى ولو راح
الى أقصى الصين ... هكذا كتب على ورق البردى . وكذلك

من كل جانب، ومن كل مكان، في مصر من أقصاها الى
أقصاها، ترى النيل، ولا تشيع منه . ملأت قلبي من جمال المساء،
ومن جمال الشرق، ومن جمال مصر ... رأيت الوداعة والسلام
والحنان كأنها تعطر الجو حولي وتنطق بكل ما في هذا البلد من
جمال وخير. هذا الخير تقدمه بسطاء الى الذين يقدمون الى هذه
الديار دون نظر الى جنس أو دين؛ ولكن هذا السخاء ليس هو
التفريط . فتحن كل يوم نزداد اعترازا ببلادنا وشعورا بمركزها
النادر الذي لا مثيل له، وبرياء العيش فيها، وبجمال الحياة بين
ربوعها . ففي يوم الاستقلال، ذكرت الموقف الشاذ الذي
نحن فيه : أمة عريقة ناهضة مستكملة كل وسائل القوة
والاستقلال لا تزال مقيدة بقيود تحير العقول من تحفظات
وامتيازات! فعلى الآباء والأمهات أن يأخذوا أولادهم منذ نعومة
أظفارهم ويقفوهم على روائع بلادهم . فليأخذوهم الى المتحف
الذي تنحني أمام آياته الرؤوس؛ وليأخذوهم أمام النيل ليروا
تلك التربة من حوله تطرح ذهباً وتعكس لون الذهب على
سطح الماء، وعلى وجه السماء ...

وليقولوا لهم أن يعتزوا بهذه البلاد ، وأن يحبوها حبا
خالصا مطلقا قويا لا حد له ، بكل عيوبها وحسناتها ، بكل ما فيها
من شقاء وهناء ، أن يحبوها محبة الابن لأمه لا يفكر هل هي
قييحة أو جميلة ، وليقولوا لهم إن أهمهم مصرا أجمل بلاد الدنيا ،
وهي بحاجة الى أنبائها ليزودوا عنها ، ويكسروا آخر قيودها ،
فيصبح يوم استقلالها حرا صادقا كأخلاق أهلها .



أمام الكرنك !

عند ما وقفت منذ يومين أمام الكرنك عند غروب الشمس ، وحولى عشرات من رجال الصحافة وأهل الأدب من كافة أنحاء المعمور ينظرون مثلى مأخوذين مدهوشين فاغرى الأفواه من هذا الجلال وهذه العظمة لقوس النصر الفرعونى الذى لم تمحه ثلاثون قرنا تعاقبت بأيامها ولياليها وشمسها وأعصارها وزلازلها ... ، عند ما وقفت هكذا ورسمت ظلا ضئيلا الى جانب ذلك الظل المهول شعرت بعظمة الأمس وذلة اليوم ، شعرت بأن هذه الأيام التى نحياها مهما ملأناها ستظل فارغة ، وبعد قليل سيمحو بعضها بعضها وكأنها لم تكن .

هؤلاء القديماء — وكل رأس مالنا الانتساب اليهم —
كان لهم مثل أعلى نقشوه على الحجر فأصبح كهذا الكرنك غرة

* هم أعضاء مؤتمر الصحافة اللاتينية الذى دعت « الأهرام » الى القاهرة
فى يناير ١٩٣٢

فى جبين السماء؁ وحققوه بالذوق وبالفن . وإن المرء لىتساءل :
أىكون الذوق أو الفن قد ارتقى عما كان عليه منذ هذه القرون
العديدة !؟ كلا . فهاهم أولاء الأمريكىون؁ وهم الآن أغنى
أهل الأرض وهذه الكهرباء والمناجم والآلات فى خدمتهم؁
فماذا صنعوا !؟ لقد أقاموا بفخر وكبرياء عمارات هائلة سموها
نواطح السحب؁ وهى أدوار وشقق ومكاتب ومخازن وغرف
للإيجار . وهذا ليس مثلاً أعلى؁ وإنما هى آلىة مادية ترمى إلى
استغلال المال بأنفع الوجوه؁ والمصريون القدماء لم يفكروا
فى المال وإنما فى الروح . فالإنسانية إذاً قد انحطت وتقهقرت؁
وتحول جزء كبير منها الى حيوانية؁ وهذه عواقبها نراها فى دول
مثقلة بالديون؁ منهوكة القوى؁ يريد بعضها أن يفتك ببعض
الآخر بالحرب أو بالمال؁ وبعد ما كانت تبحث عن سلام الروح
وهناءة الخلود؁ وتدخر دنياها لآخرتها؁ وتقيم الأهرام الشامخة لهذا
دون سواه؁ نراها اليوم قد تكالبت وأصابها السعار وأنكرت
آخرتها وأبت إلا أن تملأ دنياها بالصغار . وهكذا أيضاً سار
الناس فيما بينهم على دين دولهم وحكوماتهم؁ فقلّت النجدة

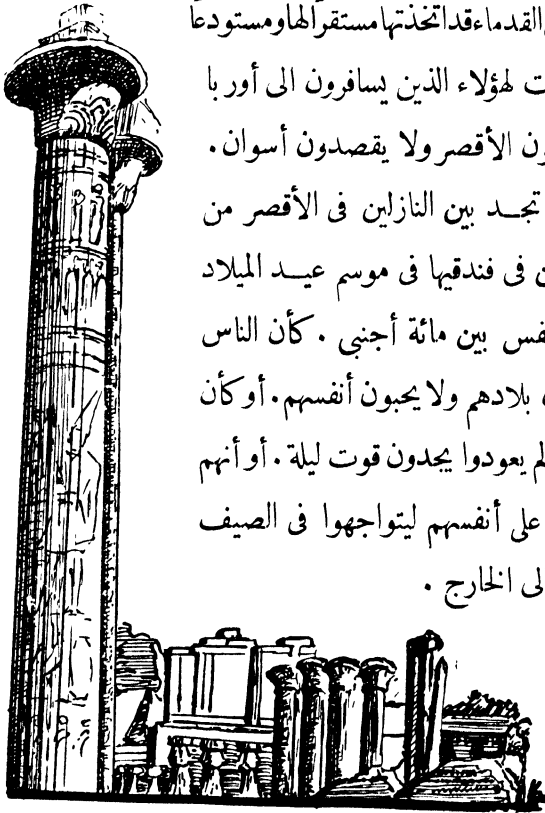
والمروءة والتعاون والخير والمعروف ، وأصبح الجار يسرق أرض
جاره ، ومستأجر الضيعة يحرق صاحبها ، والولد يقتل أباه من
أجل القرش .

فهذا زمن أسود لآخر فيه . فلنقف أمام عظمة الأمس
حاسرى الرؤوس لأنها كانت عظمة النفس ، ولنحاول أن نوارى
فى ظل هذه المقابر والمعابد حياء أيام المكسل والنمولى ، وأن
نوارى فى ظلها ذل الدنيا لتكالبها على الدنيا !



الأقصر

الأقصر! . جنة من جنان الأرض . لا عجب اذا كانت آلهة
المصريين القدماء قد اتخذتها مستقراً لها ومستودعاً
حزنت لهؤلاء الذين يسافرون الى أوربا
ولا يعرفون الأقصر ولا يقصدون أسوان .
فإنك لا تجد بين النازلين في الأقصر من
المصريين في فندقها في موسم عيد الميلاد
عشرة أنفس بين مائة أجنبي . كأن الناس
لا يحبون بلادهم ولا يحبون أنفسهم . أو كأن
الأغنياء لم يعودوا يجدون قوت ليلة . أو أنهم
يقترون على أنفسهم ليتواجهوا في الصيف
بالسفر الى الخارج .



تناولنا الشاي أمس ، مع أعضاء نادى السيارات الملكى
الايطالى الذين قطعت معهم الرحلة من القاهرة الى الأقصر
بالسيارة ، عند قنصل ايطاليا ، فى داره الجميلة المشرفة على
النيل . وكانت الساعة الخامسة والرابع مساء . وقفنا ذاهلين ،
فان هذه السماء هى سماء ملوك وسماء آلهة ، وهذه الشمس التى
عبدها يوما أسلافنا كانت فى تلك اللحظة بكل جمالها وجلالها
مغربة على وادى الملوك ، واذا الجبال قد اتخذت منها لون
الأرجوان الشاحب ، واذا النيل فضة وذهب وياقوت كالسما .
فكأن هذا النهر المقدس يردد وراء الشمس أغانيها ويتخذ من
السماء صورتها ، والزوارق الصغيرة ذات الأشعة البيضاء فوق
سطحه المديد كأنها زهور النيلوفر . ومن أقصى الوادى فى ذلك
السكون المخيم والسلام الحار ، كانت تصلنا كما لو كنا فى حلم ،
أناشيد النوتية يرتلونها فى حب النيل .

شعرنا عندئذ أننا أغنى أغنياء العالم . كانت قلوبنا قد
عمرت منذ قليل بروعة الكرنك ومعبد الأقصر ومنظر البحيرة
المقدسة . كنا وقفنا مشدوهين تحت الأعمدة الهائلة المتوجة ،

وأمام ذلك المجد الغابر الناطق في المسلات الرشيقة ، وفي تماثيل
الملوك والأرباب كذا قد انتشينا بنجر الماضي ، وثملنا من رائحة التاريخ
المجيد التي تسكر الجوارح . وجئنا الآن نشهد على أن الله لم يتخل
عنا . فإن الذين هذه أرضهم وهذه سماؤهم حقاً من أحباب الله ! .
إن عجبت لشيء في الدنيا فهو عجبى للذين أعطاهم الله المال
وحرّمهم المزاج . فكأنه تعالى لم يعطهم إلا ليديقهم معنى
الحرمان ! . فهو يكرههم ، لأنه لو كان يحبهم لجعلهم فقراء سعداء
أصفياء البال يأكلون بكل شهيتهم ، ويصلون بكل قلوبهم ،
وينامون ملء جفونهم . ولو كان يحبهم لعرفوا الأقصر ! .

كانت زيارتي الأخيرة للأقصر في العام الماضي مع مؤتمر
الصحافة اللاتينية الذي دعت « الأهرام » . وكان دليلنا إلى آثارنا
العالم الكبير « مسيو فوكار » فبهر عقولنا بتفسيره وفصاحته
ومعرفته . جعل الأبواب السحرية ، الأبواب التي أغلقت منذ
أربعين قرناً ، تفتح ثانية وتقبلنا في معابد الآلهة . نتقبل
إعجابنا العميق وتحيتنا وخضوعنا ، خضوع أربعين شعباً
كانت ممثلة في مؤتمر الصحافة .

والآن إذ أعود الى الأقصر لقضاء أسبوع لا يسغنى إلا أن
أذكر مسيو « فوكار » الذى جعل الحجارة يوما من الأيام
أمامنا نتكلم . وأن أذكر الصفاء والهناء الذين يشربهما كل
من قصد الأقصر، ففى جوفها الدائق يسترد البدن قواه، وتحت
سمائها الرائعة الصور والألوان تكتشف النفس أسبابا جديدة
للتمسك بالعيش وتقدير الوجود ، وعند آثارها الخالدة نستلهم
الأمس فننتعش للغد ونعترم أن نجعل الحياة أحفل وأغنى
بمعانى الحياة ! .



سر الماضى

قبل أن ننزل الى قبر توت عنخ آمون فى وادى الملوك ،
فى صباح يوم جميل ، بين رفاق طابت عشرتهم على قرب العهد
بهم ، شعرنا بأننا قادمون على زيارة عظيمة تستلزم الصمت
والوقار ؛ فسكتنا جميعا حتى السيدات ، وازلنا ستة ستة ،
وكان النور الكهربائى القوى مسلطا على التابوت الذهبى ؛
فوجدنا الذهب يكسف النور ، بل إن الذى كان يكسف
النور والكائنات جميعا هو روح توت عنخ آمون الملك
الشاب .

فعن طريق هذا الملك تملك مصر الآن أعظم ثروة أثرية
عرفها التاريخ . إنها لا تقدر بمال . إن جميع متاحف الأرض
لا تملك مثلها .

هذا التابوت الذهبى الرائع ، هذه العيون السوداء النجلاء

التي تنظر للناظر اليها بتهم فنان ، تهكم الذى وصل بمن
لم يصل ولن يصل مع مضى ثلاثة آلاف عام على العهدين !

وصل الى ماذا ؟

هذا هو السؤال الذى قد يوجهه القارئ الكريم . ولست
أريد أن أفيض هنا فى الروحانيات ، وإنما أشير بلمحة واحدة
الى المساديات . فإن الذى يقف أمام تلك النفائس المدهشة
بمتحف القاهرة ، وأمام هذا الناووس الذهبى بمقبرة توت عنخ
أمون ، بل وأمام تلك اللوحات المنقوشة على الصخر والأعمدة
والمسلات والتماثيل ، لا يسعه إلا أن ينحنى أمام هذا الفن
العظيم .

ولم يكن هذا العلم والفن قائمين على رمال خائرة ، بل
لإنهما نتيجة الدرس الطويل والصبر الجميل ، هنا نجد الإتيقان
الكامل فى أصغر الأشياء وأكبرها على السواء : من صور البط
الوحشى والقردة والثعابين والعجول على الصخر ، الى تلك
الحلى الذهبية والجواهر التى يعجز عن تقليدها أبناء القرن

العشرين . فآية الصانع كانت الإتقان . كان يعمل لا لساعة ،
أوليوم ، أولعام ، وإنما للابد ؛ لذلك وقف ممثلو أربعين أمة
من أمم الأرض مأخوذين يقولون : هذا هو الفضل العظيم
وهذا هو الخلود !

ذكرت هذا كله في هذا المساء لأننى وجدت بين أوراقى
خطابا من مؤلف كتيب صغير أرسله الى منذ مدة ونسيت
الإشارة اليه ، أو بالأحرى ترددت فى هذه الإشارة ، فوجدته
فى رسالته غضبان أسفا فهو قد وضع كل أمله فى هذا الكتيب .
وهو يأس ، ولو أنصف نفسه والناس لحاول خيرا من هذا ،
ولما علق مستقبله على كلمة تكتب فى الصحف وينساها
الناس بعد قليل . إن فى الحياة أشياء أجمل وأعظم من ذلك كله .

حقا إننا فى حاجة كل يوم الى النظر الى الورا لنمضى الى
الأمام ، وأخذ دروس عن الذين أتقنوا الحياة والموت ،
وتركوا فى كل خطوة عبرة وذكري . وإن نترك نحن وراءنا
عبرة ، وأكبر ظنى أننا حتى بما غبر لن نعتبر .

حياة الجنديّة

ضابطان في رتبة محترمة في جيشنا المحترم ، يتحدّثان
في مكان عام بصوت مسموع ، ويهنيئ أحدهما صاحبه بأن
خدمة (الطوبجية) عندنا قد أصبحت مقبولة محمودة ؟ لماذا ؟
هل اشترى جيشنا مدافع هائلة جديدة مثل « برتا » التي كانت
تقطع قنابلها الألمانية خلال الحرب بلجيكا طولا وعرضا ؟ !
هل زادت التمرينات (العسكرية) التي يطلق فيها الجنود المصريون
مدافعهم بحماسة ونشاط كما يفعل الانكليزي في صحراء هليوبوليس ؟
كلا ! ... ولكن هذه التهنئة راجعة الى نقل نقطة السالوم
الى الدخيلة !

نسأل الله أن يكون هذا في جيشنا استثناء ، فان هذه
الروح الناعمة من أخطر ما يكون على الضابط الذي يجب أن
يكون مثال الرجولة والشجاعة والاحتمال . فليست الجنديّة هي
الرغد ولكنها العناء والكفاح ، وليست الجنديّة هي الفراش

الوثير ولكنها المركب الحشن . وما هذه السلوم التي تعد فيها
الطوبىجية بحميا !؟ أليست قطعة من مصر ؟!

هذا هو المتعلم . فانظروا الآن الى الجاهل . فالقاطنون
هليو بوليس أو ضواحيها يرون قبل منشية البكرى الوف الخلائق
من نساء ورجال ينتظرون فرز أولادهم فاذا قبلوا لطم النساء
الحدود وضرب الرجال الصدور وساروا كأنهم وراء نعش ، لأن
ابنهم دخل الجنديّة . ويحاولون قبل ذلك أن يقطعوا أصبعين
من أصابعه أو يقلعوا له عينا أو يحدّثوا له عاهة في جسده .
فلماذا ؟ هل سيذهب ابنهم الى جهنم ! ؟ كلا ! ... إنه سيتنقل
من درجة بعيدة عن الانسانية الى درجة انسان ، فيعرف كيف
ياكل وكيف ينام وكيف يعيش وكيف يعمل وكيف يصبح
عضوا عاملا في المجتمع الإنسانى .

فهذه الروح الخائرة يجب أن تقاومها ، يجب أن تغرس
كل أم في قلب ولدها الشجاعة وحب البلد ! . يجب أن نعرف
أنه إذا كان للانكليز السلطة على المدرسة الحربية فليس للانكليز
سلطة على قلوب أولادنا منذ نعومة أظفارهم ، فيجب أن نصب

ففيها الجرأة والشهامة كما نصب الحديد في أخلاقهم ، فان هذا
الزمن اللين الناعم الذي نعيش فيه على الأرائك نلوك الكلام
كما يشتري البعير طعامه هو زمن لا خير فيه . وما أحرانا أن نمرن
أولادنا جميعا على حياة الجندية ، فهي تخلفهم خلقا آخر وتجعل
من « أولاد الذوات » رجالا ! ...



الفلاح

فى مولد السيد البدوى قد احتشدت ألوف الخلائق كأنه
يوم الحشر، أقبلت من جميع أنحاء البلاد التماسا لبركة السيد .
وعلى ذلك فقد انتهز أصحاب المقاهى الفرصة فكدسوا
الكراسى وجاءت « الغوازى » يرقصن رقصة البطن المعيبة،
وفاحت رائحة خبيثة لأطعمة يعلم الله كيف طبخت، وملاء
التراب الجوّأذى للأنوف ، وقذى للعيون؛ ووقف الأتباع
والمريدون وصغار الآخذين بالعهود على أبواب كبار المشايخ
والسادة وموزعى العهود ومقسمى البركات ، وكثرت العائم
الخضراء والحمراء ، وصدحت موسيقيات الحكومة بنغمة
واحدة ، وتقدمت فرقها الجنود ، وتقدم الموسيقيين جندى
يختال بعصاة طويلة فيها رمانة معدنية يلعب بها ويقذفها
ويلقفها، ولا يرى على الأرض أحدا أبرع منه ولا أبدع !
حقا إننى عدت محزون النفس من مولد السيد ، فقد

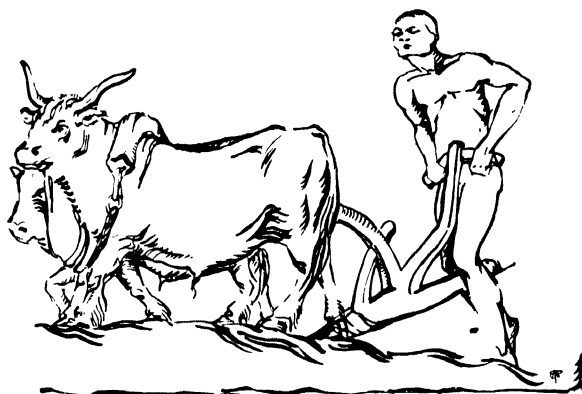
غلب لون واحد على جميع ما رأيته : من خضرة المزارع ، وصفاء السماء ، ومنظر الشفق الياقوتي الذى يأخذ بجمع القلوب . ذلك اللون هو تلك الصفرة الفاقعة التى اكتست بها وجوه الفلاحين . لقد جعلت أتأمل تلك الوجوه الذابلة الشاحبة الكسيفة الكئيبة فأرى فعل البلهارسيا والانكستوما .

هل هذا هو الفلاح الذى صمد عشرات الأجيال وأخرج مئات الذرارى القوية ؟ هل هذا هو الفلاح الذى ضرب بطن هذه الأرض منذ ألوف السنين وجعلها بهيمته وصبره وقوته من أخصب بقاع الدنيا ؟

هل هذا هو الفلاح الذى امتاز بذكائه المفرط ، بل بدهائه العجيب الذى يفوق فى «دبلوماسيته» ومكره دهاة الساسة ؟ ! هل هذا هو الفلاح الذى كان يتزوج ويترك عشرين وثلاثين وأربعين ولداً كلهم أقوياء أذكاء ؟ !

كلا ! ليس هذا هو فلاح الأمس ! إن تسعين فى المائة من الفلاحين الذين رأيناهم فى مولد السيد البدوى رضى الله

عنه تدعو حالتهم الصحية الى أشدّ القلق والجزع . واذا كُنا
نردّد حديث الأزمة والبؤس فعلينا قبل ذلك أن نعرف ما يهدّد
الثروة المصرية في يدها العاملة ، وذكائها الوقاد ، من انهيار
صحة فلاحها .



بنك مصر وشركاته

حضرنا افتتاح مصبغة شركة مصر لنسج الحرير، وكان يوما عاصفا باردا، لكننا كنا ممثلين دفئا وقوة من فرط الفرح والابتهاج بعيد من أعيادنا القومية .

فرأينا من بعيد، فوق ذلك الموقع البديع بكفر العلو قرب حلوان، مدخنة مصنع الصباغة وهي ترسم في الأفق علما هائلا من الدخان . هو علم الصناعة هو العلم الذي ينشره طلعت حرب باشا على هذه البلاد رمزا لنهوضها ووقوفها مع الأوربيين جنبا الى جنب .

هذا العلم المرسوم بالدخان في الأفق الأرزق هو رمز الكرامة التي جعل يستردها لنا طلعت حرب باشا جزءا جزءا .

منذ ثلاثة عشر عاما وهو يعمل بلا انقطاع ؛ في كل يوم يرفع مهانة عنا ويزيح عبئا من أعباء الخمول والتقاعد، في كل يوم يفتح فتحا جديدا بالفعل لا بالقول ؛ لأن رجل العمل

المنتج ، رجل العمل الصامت ، رجل العمل العظيم هو طلعت
حرب باشا .

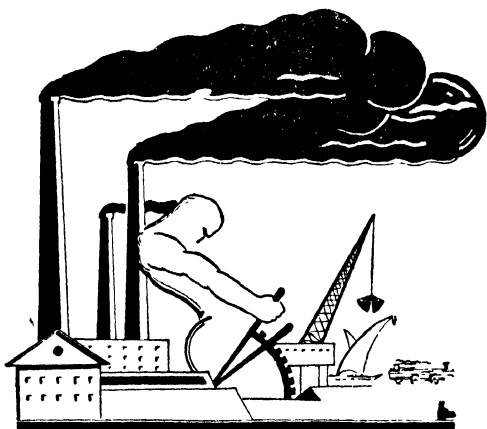
هذا الرجل هو خلاصة نهضتنا ؛ هو الذى أبرز للوجود
عزتنا القومية من دمياط الى القاهرة ، ومن باريس الى أسوان .
ولذا فإن قطرا بأسره ، شعبا بأسره من . ورائه ينظر ويتأمل
ويعجب وينحنى مغرورق العينين بدموع الشكر وعرفان الجميل .

كان بيننا أمس فى آخر الصفوف هذا الذى هو زعيم
أمة ! كان فى معطفه الأزرق وكوفية صوف الجمل لا يكاد
يبدو تواضعا . وفى نحو الساعة الثانية بعد الظهر كان لدى الباب
فى عصف الهواء ، ينتظر الموكب الحديد الوافد ؛ فقد وصلت
سيارات (أوتو كار) مكتب مصر للسياحة تحمل بعض موظفى
بنك مصر الذين جاءوا لمشاهدة المنشأة الجديدة ؛ فنزل مائة
شاب من ذلك الشباب الناهض الكريم الذى قامت على ذكائه
ونجابه وأمانته ووفائه دعائم بنك مصر وشركاته .

وكان الأب الكبير ينظر بعطف ومحبة الى أبنائه هؤلاء
الذين تربوا فى مدرسته العملية العظيمة . هؤلاء الذى تربوا
تربيتهم المالية مستظلين بعلمه وفضله وحنانه .

أى كلام أو أى إلهام يمكن أن يصور هذا الخير كله!؟

لسنا نحن الذين نرّد آيات الحمد لطلعت حرب باشا .
إننا أعجز من ذلك . إن هذا الجيل كله أعجز من ذلك . إن
الأجيال القادمة، الذريات القادمة هى التى ستعرف فضل
طلعت حرب باشا ، وهى التى ستعرف كيف تكرمه وتقّده
لأنه هو الذى مهد لها الطريق الوعر ، الطريق القفر ، وهو
الذى عبّده لها فصار طريق الحياة !



”زمزم“ و”النيل“

تهادت «زمزم» باسم الله مجريها ومرساها بين الاسكندرية وبورسعيد، في طريقها الى البقاع المقدسة التي وعد الله المتقين . فشعرنا بالدين العظيم الذى فى عنقنا جميعا كمصريين لرجال بنك مصر . ذلك البنك الذى يقدم كل يوم خدمة جديدة، خدمة لهذا الجيل لأنه يفتح صدره لشبابه يعملون فيه وينتفعون به ، وخدمة للجيل القادم لأنه أساس طيب لمستقبل مجيد، خدمة ليست مادية فقط بل أدبية أيضا ، لأنها ترفع من كرامتنا وتزيدنا ثقة فى أنفسنا وتجعل لاستقلالنا وجهة التدعيم الذاتى المتجدد المرتكز على عمل الشعب ، وثقة الشعب ، وتعاون الشعب .

فهذه البواخر التى ينزلها اليوم بنك مصر الى البحر، تحمل علم مصر الأخضر بهلاله الناصع ونجومه المتألقة، هى من أجمل رموز استقلالنا وأشرف علامات جهودنا فى سبيل حريتنا الاقتصادية .

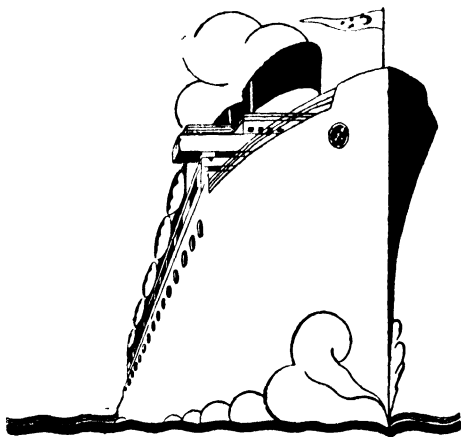
وهى دين آخر لهذا الزعيم العظيم « محمد طلعت حرب باشا »
ولعضده اليمين الصادق الأمين « الدكتور فؤاد بك سلطان »
ونحن نحب أن نكثر لها عندنا هذه الديون القومية ، لأنها هى التى
تقيم جبهة واحدة متينة مرتفعة شاحخة فى وجه الانحلال القديم
الذى كان يسود مرافقنا المادية ، وكان يجعلنا عالة فى كل ناحية
على الأجانب ، وكان يشعرنا بمذله هذه الحاجة ، وهذا الضعف ،
وهذا العجز .

فنحن فى هذه المشروعات الخطيرة التى يقوم بها بنك مصر
وشركاته نجد تحقيقا للأمانى التى تجيش فى صدورنا من زمن
مديد ولا نعرف الى تحقيقها سبيلا . نجد أن الدهر قد أصبح
أرفق بنا وأحنى علينا مما كان حتى الآن ، لأن المرأة الوحيدة التى
نعرف فيها أمة من الأمم نفسها إنما هى التى يصنعها بنوها
ويصقلها الأحفاد على مدى الأيام .

وعلينا إذا أن نضاعف ثقتنا بالله وبأنفسنا وبمصرينا ،
وأن نسأل الله أن يقيض لنا رجالا أبطالا كهؤلاء يخدمون
للخدمة فى صمت وسكون ، ويبعدون عن ضجيج الفراغ لينسجوا

فى هءوء نسيجا جءيءا لءياة بلادهم ، لءياة هءا البلد الءى نءبه ،
ونعش من أءله ، ونفءيه بالنفس ...

ءيا الله بنك مصر ورجاله ! فمن هءه الناءية تشرق علنا
كل يوم شمس تظل مشرقة ولا تغيب باذن الله أبءا . فان
وطننا الءى أشرق منه يوما شمس الءضارة بءاجة الى ءءءءء
قواه ، بءاجة الى ءرارة قوية والى ضوء شءءء يهر الأبصار
ويعمر القلوب بالاءمان ، بأن لمصر الءظةوء عءء الله يءبوها بالنعم
الءى ءتوالى ولا ءنقطع ، وهو سبءانه ولى العاملن المءلصن .



الوطنية العملية

انظر الى مدينة القاهرة، عاصمتنا الجميلة، عروس الشرق، وتأمل ماقام بها من عمارات نفخمة لا مثيل لها في لندن نفسها، وانظر الى السيارات الوجيبة التي تجرى في شوارعها، وإلى الأجناس التي تزدهم بها، وما تتكلمه من لغات، وما تعتنقه من ديانات .

انظر الى هذا وتأمل قليلا، تشعر بهيبة الحضارة ومقدار الضريبة الهائلة التي تفرضها على من يريد أن يعيش ممتعا بها ؛ لأن الاختلاط الذى نراه بين العناصر الشرقية والغربية يهذب الذوق ويلهب العزائم . فالتاجر الذى لا يجتدد بضاعته لتوافق مزاج الزمن الذى نعيش فيه ، ولا يتفنن فى عرضها بواجهة محله ، مقضى عليه بالفشل حتما .

أضرب مثلا تقريبا لصورته فى الذهن : تصوّر دكان

بقال تفتح فى شارع المناخ وتضاء بمصباح غاز فى فانوس ...
فهو بالطبع لن يبيع فى يومه بثلاثة قروش .

وقد أدرك ذلك الغربيون وأخذوا به ، ودرسوا نفسية
«الزبون» . والزبون هو هو لم يتغير ولكن كل ماحوله قد تغير .
فالأنوار التى تزين واجهات المحال التجارية كانت قبلا ساطعة
تخطف الأبصار فأصبحت اليوم مخفية تشع شعاعا غير براق
على الأشياء فتظهرها أجمل مما هى ، لأن فى ذلك الشعاع الخفى
نداء الى الذهن والقلب ، وفيه دون شك حنان وإغراء . فاذا
عرف التاجر أيضا كيف يختار بضاعته ، وكيف ينسقها ، وكيف
يعلن عنها بلباقة ، فانه ناجح حتما .

ودعوى الوطنية فى الأخذ والعطاء قليلة الحدوى ، لأن
الزبون أصبح مغاليا ، يريد أن يأخذ بأكثر من نقوده أو على
الأقل بما يساويها . وليس يهمه ان كنت من جنسه أو على
دينه ، وانما يهمه أن يأخذ ما هو فى حاجة اليه من أحسن صنف
بأرخص ثمن ، ولا يتكبد للذهاب اليه مشوارا طويلا بعيدا عن
الوسط التجارى للمدينة .

ومنذ شهرين اثنين رأينا مصريين عصاميين قد أنشأ
في أعظم حى بالمدينة مطعما ومحلى . هما الحاتى والرمالى . فأقبل
عليهما الأجانب قبل المصريين . فلماذا ؟ لأنهما عرفا كيف
يختاران المكان ، وعرفا كيف ينسقان محليهما ، وقدما صنفا
جيذا بسعر معقول .

وهذه عندى هى أعظم ضروب الوطنية . فنقتبس عن
الغرب آخر ما وصل اليه تقدمه المادى ، ونجتهد فى أن
نجعل له وجهها شرقيا محببا فى الوقت نفسه ، ونحرص على
ملاحظة هذا التقدم كل يوم فى تجارتنا وصناعتنا كما يحرص
الطبيب البارع على الوقوف على تقدم علوم الطب كل يوم .

فعندئذ ، وعندئذ فقط ، نرحزح الغربى الذى نشكو منه
بالكلام الفارغ والرغاء بالوطنية . فوطنية القرن العشرين
هى وطنية العمل والجرأة والتجديد لا وطنية الثروة والجمود .

الوطنية الصادقة

خطب الصديق النابغ الأستاذ فكري أباظة منذ أيام
في حفلة افتتاح سينما فؤاد فقال : ماذا تريدون أكثر من هذه
الوجاهة ؟ فنحن لانناشدكم الوطنية وانما نقول لكم انظروا هذه
الأنوار ، وهذه المقاعد المريحة ، وهذه القاعة الفسيحة ، وهذا
وهذه ... فرد عليه الأستاذ أحمد حسين بقوله : لماذا لاتناشدنا
الوطنية ؟ ! لو كانت هذه السينما « اسطبلا » لحضرنا اليها
طائعين مرتاحين لأنها خير من الدور الأجنبية .

فهاتان الفكرتان المتعارضتان بحاجة الى الوقوف والتأمل .
فنحن في دور انتقال نحاول تحقيق ما فاتنا من منشآت صناعية
ومالية وتجارية . وقد استيقظنا على الصوت القومى ينادينا
بالنهوض بعد السبات والركود فوجدنا كل شىء في يد الأجانب .
ولكن لو أن طلعت حرب باشا الزعيم العظيم قد جعل
يطبل ويزمر باسم الوطنية مع الطبالين والزامرين ولم ينشئ

هذا البنك الكبير وتلك الشركات النافعة الناجحة لنظر العالم كله
إلى وطنيتنا نظرة احتقار لأنها تكون وطنية كلام فارغ
وتهوئش .

فالوقت الحاضر هو وقت أزمة شديدة، كل انسان فيها
لا يعيش من ميراثه وانما بعرق جبينه . والوارثون هم في أزمة
شديدة حتى انهم الآن أفقر من العمال . فالرجل الذى يكسب
ويكدح ويكسب القرش ببذل دمه وقواه وروحه لا يرضى أن
يذهب إلى « اسطبل » ليتفرج على جريتا جاربو أو بهيجة
حافظ . لذلك عند ما فتحت سينما فؤاد أبوابها عمدت إلى
تجديد واجهتها على شكل عصرى ووضع النور بشكل فنى . واذا
لم تكن قد فعلت ذلك فانها كانت تبقى في حالة يرثى لها أمام
غيرها من دور السينما، منافستها وجها لوجه ، ولم تكن الوطنية
وحدها تكفى لتجذب الناس ، لأنه لماذا تكون الوطنية حقيرة
مظلمة قذرة ، ولماذا لا ترفع رأسها أيضا بالعز والوجاهة والنور
كالأجنبية سواء بسواء أو أعلى منها درجات ؟ !

فاذا فتح أحد الوطنيين مقهى قذرا فناجينه مكسرة

رخيصة، وماؤه ساخن، وبنيه ردىء، وخدمته فوضى، ونوره
ضئيل، ومناضده خشنة، فهل تنهافت على الجلوس عنده
وتترك الرومي الذي أمامه وهو ضده في كل شيء؟ !

كلا !

لأن الوطنية عندئذ لا تنطبق على ذلك «الوطني» ؛ لأنه
رجل لم يدرس حالة السوق، ولم يعرف أن النعرة وحدها لا تكفي
ليشرب الزبون « الدردى » من يد الوطني لأنه وطني . وكأن
الزبون اذا لم يقبل ذلك لا يكون وطنيا ؟ !

يجب أن يعرف الوطني كيف يبذل ليملك السوق، ويقف
وجهها لوجه أمام الأجنبي لا ليشحذ ولكن ليكسب ... وعلمنا
نحن أن نتساح إذا كان الفرق قليلا بينه وبين الأجنبي .
أما الفرق الشاسع فهو يضر بسمعة البلد بدلا من أن ينفعها،
وهو يضر بالتاجر نفسه ، ولن يكون الاقبال عليه إلا كالهشيم
تذروه الرياح .

فى الزعامة السىاسية

فى مثل هذا اليوم من عام ١٨٥١ كتب « جيزو »
المؤرخ الفرنسى السىاسى الكبير الى «الكونت دى جارانك»
يقول : « ينبغى أن أكون أشد الناس تفاؤلا حتى لا أياس
من المستقبل » .

وهذه الكلمة يجوز أن تكون شعار الرجل السىاسى ، سيما
ذلك الذى يضطلع بمسئوليات كبيرة قد تتعلق بمصير أمة .

وقف يوما «سعد زغلول» وقد تخلى عنه أكثر أنصاره ،
وكان القدر نفسه قد تخلى عنه ، فلم يياس بل صمد ، وانجالت
أزمة الأنصار عن أنصار جدد ليسوا دون السابقين قوة .

والحياة السىاسية كلعبة الروليت تظل تدور . فالكاسب
فىها اليوم خاسر غدا . والعكس بالعكس . لكن السىاسى
اللفظن عند ما تسنح له الفرصة لا يدعها تمر بل يقتنصها بعزم

وحزم . وهذه الفطنة من مميزات الزعامة ، وهى مزيج من الذكاء والحكمة وبعد النظر والصبر الجميل .

وإذا لاحظنا أن كثيرين من الناس تضيق بهم الحال ماديا فينتحرون . أو روحيا ، كأن يحبوا من ليس يحبهم فينتحرون أيضا ، إذا لاحظنا أن كثيرين يذهبون بمحض إرادتهم ضحايا أول صدمة لهم فى الحياة ، عرفنا المتاعب التى يلقاها الذين يتصدون للخدمة العامة . حتى هتاف الناس لهم على جوانب الطرقات لا يدفع إلا جزاء يسيرا من متاعبهم ومشاكلهم .

كل خطوة وكل كلمة يحاسبون عليها حسابا عسيرا . خصومهم يحيلون قوتهم ضعفا وأناتهم تزداد وصبرهم جبنا . إذا اجتمعوا أصحابا للمشاورة ، قالوا مؤامرة ، وإذا انفضوا إخوانا ، قالوا تشاحنوا ودب فيهم ديب الشقاق ! ... فالرجل السياسى الذى يناخ عن مبدئه بإخلاص وشهامة هو بمثابة الرجل الواقف فى حقله يدفع الماء وقد سال على جوانبه بشدة من اليمين والشمال .

حتى الأنصار، ليسوا دون الخصوم إرهابا لكبار الرجال .
فعند ما يكون الخصوم في الظل يحىء الأنصار في الشمس
يلحون على الرجل السياسى فى طلب أيام الصفاء . يرون
ذلك حقا لهم غير منازع . يقولون : إن من يعطى باليمين له
أن يأخذ بالشمال .

خياة الرجل السياسى ليست مما يحسد عليه إلا اذا حسد
على حياته الجندى الساهر فى الميدان بين الرصاص والقنابل .
ولكن على الذى يشعر بأنه أوتى رسالة خاصة أن يباغها ،
وله أجر القديسين المصطفين .

اتحدوا !

كل من راجع تاريخنا في الفترة بين ١٥ مارس ١٩٢٢ و ١٥ مارس ١٩٣٤ شعر بالحزن والأسى وقامت أمامه لوحة سوداء، لأننا لم نعرف كيف نقّس دم الشهداء ونحتفظ بكرامة التضحيات التي بذلت في سبيلنا، وفي سبيل الأجيال القادمة . فكل هذا الاستقلال هو نتيجة نهضة عامين اثنين كما فيهما مثالا للأمم في الجهاد والاتحاد، وكما فيهما مثالا للبذل وحب الوطن والفناء في سبيله ، فانظروا وقارنوا بين جهاد عامين قبل الاستقلال، وبين تجبّط اثني عشر عاما بعد الاستقلال . نسير على غير هدى، ونتجه الى الحكم كأنه هو كعبتنا من دون أمتنا، وليست لنا سياسة معينة مرسومة .

فنحن قد اندفعنا بشهوة الحكم الى أحضان الانكليز وترامينا على أقدامهم بمذلة لا تليق بالأمة التي بذلت أولادها المسلمين قرايين في سبيل الاستقلال . فلما اعترفت انجلترا تحت ضغط

نهضتنا وقوة تضحيتنا بهذا الاستقلال رحنا نتراحم على عشرة
مقاعد ويود كل امرئ لو شرب من دم أخيه حيا . وهذا
هو الفشل المروع . ولقد نلنا من أنفسنا في هذه الاثني عشر عاما
أضعاف ما نال الانجليز منا في نصف قرن . فنحن لم نعد كتلة
واحدة أمام الانجليز، ولا أمام الأجانب، ولا أمام برنامج معلوم
وخطه مرسومة نمضى في تحقيقها مهما كلفنا الأمر . وكل
محاولتنا السياسية والمالية والقضائية والاجتماعية بمثابة التوقيع
في ثوب خلق قد اتسعت خروقه على الراتق . فروحنا المعنوية
التي انتصرت بالأمس ودفعتنا لنساء ورجالا الى الوقوف عزلا
أمام الخصم المسلح قد ضعفت وخارت وذهبت بريحتها
الأهواء، وأصبح سلاحنا النفساني الذي غامرنا به وانتصرنا
مفلولا صدئا لا يصلح لحرب أو طعان .

ليس الانكليز هم الذين منجونا ما نحن فيه من خير حتى
نترامى على أعتابهم ونترلف الى رجالهم ونتوسل الى مقاماتهم
بكل الوسائل . بل إن قلوبنا هي التي ثارت وهي التي فازت
بقوة الحق وعون الله . فكيف يضعف أيماننا في أنفسنا وكيف

نتولى عن عسائرننا وتنصر منا الأنانية ، حتى ينفصل بعضنا عن بعض ونتكيد ونفرح لتولى الانجليز عن حزب ونصفق لا بتسام الانكليز لحزب آخر ونعد رضا الانجليز أو غضبهم هو أقصى منانا؟ ... « وكل حزب بما لديهم فرحون » !

فلند كر هذه الهزيمة المنكرة فى يوم استقلالنا لنعرف ضعف مركزنا وسخرية القدر والخصم منا . ولند كر تلك الدماء الزكية التى سفكها الشهداء من أجلنا فدنسناها فى سبيل شهواتنا .
ولله الأمر من قبل ومن بعد .



روبیات

الأهرام

عند ما يتجدد شباب « الأهرام » — كما تراه اليوم —
تجدد به عزائمتنا ، ونقف في هذا المعتكز الهائل الذى اسمه
« الصحافة » نخورين بهذا الميراث العظيم يقوى على الأيام ويزيد
ويتضاعف ، حاملاً على جبينه سمة معجزة الدهر ورمز
حضارتنا القديمة ، كما ان « الأهرام » رمز من أجمل رموز
حضارتنا الحديثة . وكان الفيلسوف الفرنسى « لابولاي »
يقول : « حدثني عن صحافة قوم أخبرك بمكانهم من المدنية » .
فالיום عند ما نقلب النظر فى صحافة أوربا نجد « الأهرام »
فى حجمها الحالى وطبعها وتنظيمها ومادتها تقارع كبريات صحف
الغرب . فهى دنيا نمتع بمتاعها دون أن نتكبد متاعها . تذرع
بها المعمورة طولاً وعرضاً مع مراسلين من أنحاء العالم كافة لاعمل

* بمناسبة صدوره فى قطع وحجم جديدين وبه صفحة كاملة مصورة .

لهم إلا اقتناص كل طريف وسبق سواهم فى إرساله ، دون أن
تثقل عن كرسىك أو تبذر أموالك . يشترك فى تقديمها لك على
هذه الصورة شيوخ وشباب . شيوخ بتجاريتهم وحنكتهم
وحكمتهم وشباب بحاستهم وتطلعهم وإطلاعهم . شيوخ بلبثهم
أهوال الليالى والأيام ، وعركتهم حوادث الدهر : من الباسمة
كالزهور الى القاصمة للظهور . وشباب تواقون للجديد ، راغبون
فى الحكمة ، دائبون فى العمل . وهؤلاء يأخذون عن أولئك كل
يوم أمثالا فى الحلم وسعة الصدر والجلد والتجدد والفطنة وحب
الصنعة حبا يستهينون من أجله بصحتهم وحياتهم . والشيوخ
يكونون الشباب والشباب يتممون الشيوخ . فهو تعاون مجيد .
فالיום إذا معدود من مفاخر أيام نهضتنا . ولست أنظر
الى الأمر كعضو من أسرة « الأهرام » وإنما كعضو فى المجتمع
المصرى . لأن هذه الصحيفة ، عند ما تفتح اليوم فى أى مكان
فى أوربا أو فى الشرق من أقصاه الى أقصاه على صفحاتها الأربعة
عشرة ، كفيلة برفع اسم مصر وزيادة كبريائها الوطنى ؛ وليس
فى فرنسا نفسها اليوم صحيفة كالأهرام . فالصحافة من أهم مقاييس

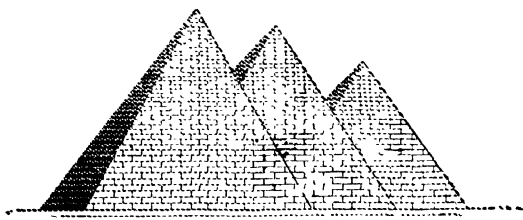
الحضارة، وقد ارتفع بنهضة « الأهرام » الجديدة مقياس حضارتنا .

نعم ، نفخر بذلك ، نحن الشباب الذين احترفنا هذه الصناعة النبيلة بثقة في الغد واطمئنان الى المستقبل ، لأننا نعلم أنها من أشرف الحرف ، وأن سرّها ليس براعة الأسلوب ، أو سعة الاطلاع ، أو رجاحة العقل ، أو دقة الملاحظة ، بقدر ما هو الأخلاق . فنقول ما نعتقده بقوة وشجاعة دون وقاحة ، ونصمد في الحق للحق نفسه دون تهيب أو تردد أو ارتداد ، ونثبت حتى النهاية ، ونعتذر للذين يشتموننا لأنهم ضعاف عجزوا عن اللحاق بنا أو الارتفاع اليها . وليست تنطبق نظرية بقاء الأصالح على قوم مثل انطباقها على الذين يشتغلون بالصحافة ، فان عشرات الذين يفدون عليها من باب يخرجون من الباب الآخر . وإذا أصروا على البقاء فانما ليكون نصيبهم الخمول وأداء أتعفه أعمالها ، أو يعيشون ويموتون دون أن يبقى من بعدهم سطر واحد . على حين أن الصحفي الموهوب مصوّر ومفكر . وما تصوّره وتفكيره إلا لفائدة الجماهير التي يعيش لخدمتها . أما الشهرة التي يكتسبها

فهى عبء ثقيل ما إن يناله حتى يزهد فيه ويمله ويود لو كان
قد خلق خلقاً آخر .

وهذه الصحافة الرشيدة التى نخدمها هى التى عنها
« جفرسون » الرئيس الثالث للولايات المتحدة عند ما قال :
« لو خيرت بين دولة تديرها حكومة أو دولة تقودها صحافة
لاخترت الثانية » .

وهذه هى الصحافة التى نعنيها ونفهمها ونحبها ، ونعمل على
إعلاء كلمتها ، وتدعيم نفوذها ، ومد سلطانها ؛ وكلمتها كلمة الأمة ،
وسلطانها مستمد من سلطة الأمة ، لا نضن بشيء فى سبيلها
ولو ذهبنا ضحيتها .



لا يوم بغير سطر !

كان في بيت الكاتب الفرنسى العظيم أميل زولا لوحة محفور عليها باللاتينية Nulla dies sine linea وترجمتها الحرفية « لا يوم بغير سطر » أى لا يجوز أن يمضى عليه يوم واحد دون أن يكتب ولو سطرا واحدا . وكان هذا منه مبدأ متواضعا لأنه كان من أكثر الكتاب إنتاجا . كان يكتب في اليوم ألف سطر . وخلف لنا عشرات الكتب الممتعة والقصص الشائقة . ولكن هذا المبدأ المتواضع هو الذى يجب أن يكون للشباب شعارا . فان الكثيرين منهم في المدارس يتركون كتبهم ودروسهم الى قبيل الامتحان ، ويتركون حياتهم نهبا مقسما بين الفراغ والفوضى .

وقديما قال الشاعر العربى مثل هذا تماما :

إذا مرّ بي يوم ولم أستفد يدا

، ولم أكتسب علما فما ذاك من عمرى !

فتنظيم العمل هو من أهم أسباب النجاح في الحياة .
والمثابرة عليه كل يوم دون انقطاع فيها سر السلامة ؛ لأن
التعب القليل أو بعض الضجر والسآمة ، وطلب الراحة الكاملة
والوعد بالتعويض غدا هو بمثابة تلقيح النفس والعزيمة بالخور
والفتور .

فالنفس معرضة للرض أكثر من الجسم . فإذا كنا نتقى
البرد والزكام والتراب حرصا على صحة الجسد فكيف لا نتقى
الآفات التي تنتاب النفوس وتعمل على انحلالها ؟

وليست العبرة أن نبداً فنسرف ثم نحط تدريجيا في مهمتنا ،
بل أن نتدرج كل يوم ونزيد مجهودنا حتى لا يكون لتقهقرنا
تأثير سيئ في روحنا المعنوية .

هذه هي الدروس التي يمكن أن يتلقنها الطفل منذ أيامه
الأولى . فالآباء والأمهات يستطيعون أن يسدوا يدا عظيمة
الى أولادهم وبلادهم اذا نظموا عزيمة الطفل منذ أول عهده
بالوجود ، ويمكنهم أن يجعلوا منه رجلا عاملا بدلا من أن
يجعلوه طول حياته طفلا ولو تدلت لحيته على صدره .

سهم الشرق

ظهر « سهم الشرق » وهو كتاب فرنسى للكاتب المعروف بول موران . بطل هذا الكتاب « ديمترى » رجل روسى مبعده من بلاده جاء فتوطن لأمد طويل فى باريس وأثرى وطاب عيشه . وفى ذات يوم يركب الطائرة فى رهان من باريس الى بوخارست ، ويقوده صديق الى « بسارابيا » على تخوم رومانيا وروسيا الجديدة ، وهناك يرى الريف الروسى ، ويعود فيحتك بالفلاحين السذج ، ويستنشق أريج مسقط رأسه وعطر زهور البرية ، ثم يسمع نورية تنشد أغانى روسية فيشعر بأن قد استيقظ فى روحه حنان لا يوصف ، هو مزيج من القوة والقنوط لأنه الحنين الى الأوطان ؛ حنين رجل مبعده عن بلاده الى بلاده ... فذلك الرجل الذى صار مواطنا فرنسيا عاقلا حكيما مثريا وقد ربتة فرنسا وأنضجته وأغنته آن أو ان انحلاله وذوبانه وعودته الى أصله ، وظهر فيه

ثانية العنصر السلافي الغلاب، وانحلت العقدة التي كانت تربطه الى الحياة . ذلك الرجل الذي كان يعيش على فلسفة أبيقور، ويتمتع بصباحه ومساءه، ويشغل نهاره وليله بالعمل واللذة في هدوء، قد آن له أن يختفى ليفسح المجال للروسي الصميم الذي ألقى به الموسيقى في قلق وحشى، وأحدثت عنده انجذابا محزنا نحو الأرض التي أنبتته ثم لفظته وألقى به خارجها شريدا ... أجل ! ... لقد تجاوزت أضالعه بنداء روى قوى متكرر، يتردد مائة مرة ومرة، حتى أصبح لا يقاوم ولا يدفع . فلي النداء ... وطلق حياته العصرية ورفاهيته وقصوره وسياراته، بل وطلق امرأته الأمريكية وعاد الى وطنه مجرّدا من كل شيء ... لأنه فى روسيا لا يوجد غنى وفقير .

هذا رجل أدرك تفاهة الحياة وعدم فائدتها على الوجه الذى كان قد ارتضاه لنفسه، وخرج عن شخصيته الزائفة، واستعاد آخر الأمر نفسه المفقودة : استعاد الاحتكاك بروحه ، روحه التي كأنها كانت فى الغربة قد ضلت ثم عادت الى الوطن فاهتدت ...

حیدر

أقرأ الآن « جيته » لأكتب عنه شيئا « للاهرام » .
تغرقني قراءته في معين عذب ، وتنسيني كل شيء حتى الكتابة ،
وتجعلني أتساءل : هل توجد في الدنيا لذة تفوق القراءة ؟! أعتقد
أن الرجل الذى يحب القراءة هو من أحباب الله ، لأن القراءة
تنقل الروح الى عالم ممتلئ بالأرواح التى هى فى حاجة الى الوجود
بينها ومناجاتها . أشعر وأنا أقرأ غرام جيته كأننى مغرم ، كأننى
أرى ذلك الجمال الذى عشقه وفهمه ، وأننى لو وجدت أمامه
الحكم على بما حكم عليه من دموع ولوعة ووحشة حتى
فى الهناءة ؛ فقد كانت هناءة الحياة تثقل عليه وتصيبه بنوع من
الكتابة ، وكانت القراءة أكبر ملذاته . كان يخلى بالكتاب كأنه
أعز صديق ، كأنه الحبيبة . وكان الوسط الذى حوله يبدو له
غريبا لأنه لا يفهمه ؛ فان الناس يكرهون الشعراء ويضحكون
منهم ، ولو أتيح للناس أن يروا لمحة من عالم الشعروالتأمل

لانهشوا من تفاهة العالم الذى يعيشون فيه ، يأكلون ويلعبون
وينامون ...

إن الكاتب والشاعر كالمُتصوِّف . فهذا المُتصوِّف المنصرف
الى التأمل والانجذاب ينظر الى هذه الدنيا نظرة الغريب عنها
الساخر منها ، الذى يعلم أن وراء ذلك ما هو خير وأبقى .

خذ منه كل شيء ، خذ منه المال والحب ، بل خذ منه
نور عينيه فإنه سيستمع الى من يتلو عليه الكتب ، من كتب
الله الى كتب البشر ، فيشعر أن كل عرق فيه ينبض بالحياة ،
وأن الدنيا ممتلئة بالنور والحبور ساعة فهو بها سعيد ، أو أن
الدنيا عبث كلها وتعب ، فهو غير معنى بها أو مقبل عليها ، فهو
سعيد أيضا .

يقول جيته : « كل المثل العليا لا تحول بينى وبين أن
أكون أنا نفسى كما خلقت ، أعنى طيبا ورديثا كالطبيعة » .

لقد ظل هو نفسه ، صدقها ورسمها لنا كما خلقت . كانت
دموعه حارة ونحن نراها الآن مرأى العين ونحس حرارتها لدى

قراءتنا « فتر » . و « فتر » هو جيته . فهل يستطيع الكاتب
المصرى أن يصدق نفسه والناس ، ويطلعهم على خبيئته لا يحابى
ولا يغش ولا يلون حياته بألوان براقة أو كئيبة ؟ لا يتصنع
الفرح ولا الحزن ، وإنما يكتب ما يشعر به من مشاعر ،
ويذكر ضعفه على علاته مهما كان بشعا ، ويذكر قوته كما هي
إن كان قويا .

لنفرض أن كاتباً مصرياً عاش فى أوروبا ، وكان له حب
عظيم ، فهل يستطيع أن يكتب اعترافاته ، ويرسم غرامياته ،
ويبوح بكل ما خالج قلبه وما انضمت عليه جوانحه إذ ذاك ؟
هل يستطيع أن يقول مثلاً إنه كثيراً ما كان لا يجد طعاماً
ومع ذلك كان أهناً بالاً وأسعد حالاً من أيام جاءت بعد ذلك
يلعب فيها بالمال لعباً ولا يجد للعيش طعاماً .

كلا ! وعلى ذلك سيظل كل واحد منا مثلاً أعلى ، وليس
كما خلق طيباً ورديئاً كالطبيعة . ولذلك لن يكون منا بعض
« جيته » ولا ظل « جيته » .

زوجة نبيـلة

نعود الى « جيته » . تركت ما كتبه عنه اميل لودفيج ،
وأخذت كتاب « جان مارى كاريه » الأستاذ بالجامعة المصرية .
هكذا تكتب السير وإلا فلا ! . هل يوجد أبدع من هذا العقل
الفرنسى المنظم ؟ هل توجد أبدع من طريقته فى البحث
والاستنتاج ؟

وقفت عند صفحة منه وتأملت طويلا . وذكرت قاسم
أمين الذى كان ينشد امرأة لها جمال المرأة وعقل الرجل .
انتصر نابليون فى معركة « ايانا » المشهورة ووصل غداة
فوزه الى فيمار حيث تقام الآن أعياد « جيته » العظيم التى يشترك
فيها العالم بأسره ، حتى مصر . وصل فى موكبه الظافر الى قصر
دوق فيمار الذى كان فى خدمة ملك بروسيا عدو نابليون .
وكانت فى أعلى سلم الشرف امرأة تنتظر الفاتح العظيم الذى
دوخ الدنيا دون أن يصيبه دوار . وكانت متدثرة بمعطفها ،

طويلة القامة ، نحيفة ، نبيلة التقاطيع ، على وجهها شحوب
الحزن ومسحة الهدوء .

فصاح فيها نابليون بصوت صادع : من أنت ؟ فأجابته :
« أنا دوقة ثيمار » فقال لها : « إننى أرثى لك ، لأننى سأعدم
زوجك ! » .

ثم دخل الجناح المعدّ له فى القصر . وتعشى وحده . ولكنه
فى اليوم التالى خفت حدته قليلا فقبل الغداء مع مضيفته .

وكانت هى فى ثوبها الأبيض الناصع وشالها الحريرى
الأسود على كتفيها العاجيتين تنظر بصفاء واستسلام الى حكم
القدر . وجعل هو يروح وييجى فى الغرفة كأنه محبوم ،
ويداه وراء ظهره ، ثم فاجأها قبل الجلوس الى المائدة
بقوله :

— ولكن كيف كان زوجك من الجنون بحيث تجرأ على
محاربتى ؟

فأجابته : لو أنه لم يفعل لاحتقرته جلالتم .

— وكيف ذلك ؟

— إنه منذ ثلاثين عاماً في خدمة ملك بروسيا ، فهل يتحلى عنه في اللحظة التي عليه فيها إن يواجه خصماً مهيب الجانب بكلماتكم ؟ أفلا يكون ذلك جبانة منه ؟

فبهت الامبراطور لهذا الجواب اللبق الجريء الجدير بها وبه ، وأبدى على الضعاف دماً ولطفاً ، وأصدر أمره بالعفو عن الدوق إذا استقال لخال من وظيفة القيادة وعاد الى أملاكه ، وختم ذلك بقوله :

— إنك يا سيدتى أشرف امرأة عرقها ، فقد أنقذت زوجك ، وإني أعفو عنه ، وإنما يرجع ذلك اليك ، أما هو فلا يستحق ، لأنه مسيء .

وعند ما عاد الى جناحه في القصر همس في أذن أركان حربه : ها هي ذى امرأة مع ذلك لم تخش مدافعنا المئتين !...
أما الذى جهله نابليون فهو أن هذه المرأة كانت أعظم من ذلك شجاعة ، كانت تبدى بطولة في حياتها الخاصة ، وعظمة

نفسانية ليست دون ذلك . لأنها كانت امرأة شريفة صابرة على
ما قدر لها ، فقد كانت تعرف أن زوجها يخونها علانية ، وله خليله
ممثلة ... ولد له منها ولد ، كتب عنه « جيته » خطابا يبشر به الأمير
بقوله : « أنه شبيه جميل ، نضر الوجنتين ! » . وكانت تترفع
عن الشكوى وتأنف أن تشير في حديثها مع زوجها الى خيانتة
بكلمة !



شوقى والجميل

عند ما فرغت من قراءة الدراسة التحليلية الشائقة التى وضعها الأديب، الشاعر، المفكر، أنطون الجميل بك، فى شوقى أمير الشعراء خطرت لى مقالة « ما كولى » فى « ملتون » .
وليس ذلك راجعا الى أن ثمت وجهها للمقارنة بين ملتون وشوقى .
فان القدر قد حرم الأول كل شىء، وحبا الثانى بكل شىء .
ولكن لأن الأدب العالمى مدين لما كولى بتلك الصورة الخالدة التى حفظناها فى المدرسة عن ظهر قلب .

فشوقى ككل نابغة له من الأعداء بقدر ما له من الأصدقاء .
وبين هؤلاء وهؤلاء يقف الكثيرون حائرين بين جيشين متقاتلين، أحدهما يجزده من أهم صفاته، والآخري لثم طرف ثوبه بنخشوع كالقديسين حتى يحىء المنصف الحكيم فيعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله .

* شوقى — بقلم أنطون الجميل بك — مطبعة المعارف بالقاهرة سنة ١٩٣٣

فرسالة الأستاذ الجليل بك هي ميزان الإنصاف لشعر شوقي .
موازينه الدقيقة مأخوذة من فطرة الناقد الشعرية ، ومن ثقافة
واسعة عربية غربية ، وحساسية مرهفة ، وذوق سليم ، ونظرة
عميقة صادقة في الأدب والحياة .

لقد تجول المؤلف المجيد في تلك الجنان الفيحاء الفسيحة
الأرجاء التي غرسها شوقي ؛ وتجوّل تكبير بسر الأشواك وسر
الزهور ؛ وجمع لنا بعد ذلك طاقة نضرة في نحو مائة صفحة
جمعت نحو أربعمئة بيت شعري ؛ ونمّقها بيد بارعة وذوق
سليم ؛ وبذلك أبرز لنا فن شوقي وفضل شوقي دون أن يحملنا
عناء الجهد أو عذاب التشكك .

هذه الطاقة الياقة التي يقدمها إلينا الجليل لا ترضى العين
وتصقل النفس فحسب ، بل إن كل زهرة منها على جمالها
عظة ودرس . نجد فيها معنى الشعر وقيمة الشاعر ، ومواقف
الروع ، ومواقع الحروب ، ومواطن الطمانينة والابتهاج ،
ونسَمع فيها أوتار الدين والإيمان ، والتسامح والوطنية ،

والإخلاص والحرية، والحكمة والهوى، وتمجيد السيف والقلم،
والشورى والدستور، واستنهاض الشباب وحثهم على العمل
والإقدام، وهدىح الأمل الموموق من مصر فى مستقبلها، وغناء
فى وصف الجارات الشرقية . ونرى فيها لوحات رائعة للنيل
والأهرام وأبى الهول وأنس الوجود ودمشق ولبنان ...

ورسالة الأستاذ الجميل بك هى أنموذج بديع للدراسات
التحليلية القائمة على الأصول العلمية . هذه الأصول التى تنكر
الغرض من تحامل أو ملق . وهى المذهب الأمين الذى يجب
أن يعتنقه الشباب المتأدب ويأخذه عن أهله . وحبذا لو درس
جميع الطلبة هذه الدراسة فهى تعرفهم بشوق ومميزات شاعريته
ومميزات عصره . وهى لوحة اجتماعية لمصر فى نصف قرن ،
وهى مثال لأدب النقد جدير بأنطون الجميل ، فهو جدير
بأن يحتذى .

السينما والكتاب

من أخطر الأمور على أخلاق الفتى أو الفتاة أن يذهب أحدهما الى السينما مرتين أو ثلاثا في الأسبوع ثم لا يقرأ كتابا



واحدا كل ثلاثة أشهر . فان الجيل الذى ينشأ هذه النشأة يهدد بلاده بالانحلال . السينما تسلية وليست ثقافة . والشاب أيا كان اتجاهه فى الحياة بحاجة الى الثقافة ، سواء أ كان عاملا بيده أم عاملا بفكره ، سواء أ كان مدرّسا أم طبيبا أم محاميا أم مهندسا

أم موظفاً ؛ فإن الثقافة هي التي تعترفه بمناطق جديدة ينهل
الذهن منها غذاءه كما ينهل النحل من الورد غذاءه . والفتاة
المصرية يجب أن تطالع على آخر الكتب وأن تنقدها لنفسها
وأترابها وأن تكون لنفسها فكرة عن الموضوع وعن الكاتب ،
فلا تغتر بالأسماء الضخمة بل تستقل في رأيها دون غرور .
وتكون تلك الكتب الجديدة موضع أحاديث الصالونات
المصرية بدلاً من أحاديث الفساتين البائخة ، ولا يجوز للفتاة
المصرية الجديدة أن تكون دون العاملة الأوروبية الصغيرة
الفقيرة ، فإن أولئك العاملات لا ينقطعن عن مطالعة الصحف
اليومية والمجلات الأدبية والكتب الجديدة . وهن في حالة
عجزهن المطلق عن الشراء يلجأن الى مكاتب البلدية فيجدن
فيها كتباً وإن لم تكن جديدة فهي لا تقل عنها فائدة ولذة .
وهكذا لكل فرد في البلاد الحية ميزانية للثقافة مهما كانت
ضئيلة .

وكل من الوالدين مسئول في هذا البلد أمام الله وأمام
الوطن عن وضع الكتب المختارة في أيدي بنيه منذ نعومة

أظفارهم . فانه بذلك يحصنهم ويحميهم بأحسن مما تحميهم التعاويذ والتائم ، وبأحسن مما تحميهم العضلات القوية المفتولة .

الكتاب الجيد أفضل ألف مرة من الفلم الجميل . خذوا أى فلم مهما كان جميلا ودلوني : أليس فيه ناحية من الاغراء والابتذال الذى لا يتفق وحشمتنا الشرقية وحياءنا الفطرى ؟ !
ألسنا فى أحوال كثيرة نحمد الله على أنه ليست لنا بنات تشهد تلك الأفلام التى تبيحها وزارة الداخلية عندنا إباحة تدعو الى أشد العجب والاستنكار ؟ !

فيجب أن يتذوق أبناءنا القراءة منذ الصغر ، فانهم سيرون تجارب الدنيا منبسطة أمامهم مبذولة لهم بسخاء . وإذا نظر طالب العلوم الى كتاب الأدب بنفور واستصغار فهو دليل على حماقة تستحق الرثاء ؛ لأن طالب العلوم عند ما يتعصب ضدّ الأدب ؛ أو طالب الآداب عند ما يتعصب ضدّ العلم ، يكون كلاهما قد دل على أنه أبعد ما يكون عن العلوم والآداب جميعا .
والقرش الذى يدفع فى الكتاب هو قرش مدخر طول الحياة .
لأن الكتاب الجيد يظل طول العمر ، كالقلب الطيب ، منبع الخير .

المعلم الجاهل

سيارات وزارة المعارف الكبيرة تجوب الشوارع
في الصباح نانخة في أبواقها، لتحمل البنات والأطفال الى
المدارس والرياض، وكأنها تحمل الزهور والورود .

إنهم أسعد حظا منا . لم يكن في زمننا سيارات ولا رياض
أطفال . كان «الوجيه» فينا يأتي راكبا حمارا يتعثر في الوحل
صيفا من ماء الرش ، وشتاء من ماء المطر . وكان الذي يأتي
في مركبة بحصان واحد أبيض يقبل غارقا في ركن من أركانها
وينخرج يتعثر في نجل وغرور .

إنهم اليوم أسعد حظا لهذه الديمقراطية الشاملة ، فقد
أصبحوا يركبون سيارة واحدة ويتزيون بزي واحد ، وتمتج
عواطفهم ولا تتضارب .

وهم أسعد طالعا كذلك لأن لهم معلمات رقيقات ومعلمين
فضلاء لا يعرفون ضرب المساطر ولا ضرب «الأقلام» ! . .

وما أنس لا أنس يوم دخلت عام ١٩٠٨ المدرسة الابتدائية
(ج) الأميرية فقد كان يوم نحس لم تطلع شمسهُ . وكان معلم
اللغة الانجليزية ، ومعلم الحساب فى الوقت نفسه ، رجلا جاهلا ،
وكنْتُ قد تأخرت أياما لسبب لا أدريه ، فمارأتى حتى كأنه
نسبت بينى وبينه عداوة . (هل كانت قد ضايقته منى مخائل
التجاة والذكاء الواعد مثلا ؟) وراح يمتحنى فى اللغة الانجليزية ،
وكانت لوحة (الألف باء A B) مسندة انى حامل — ولا زلت
أرى لونها أصفر فاقعا كوجهه — فسألنى فيها فكررتها . لكنه
سألنى بعد ذلك عن (حرف H) ولم يكن يسعنى معرفته إلا اذا
ابتدأت — ولو فى سرى — أكرر الحروف من الألف حتى
الهاء ، فغضب (لبلادتى وجهلى) ! .

ولم يكفه منى أنى لم أكن أعرف ، ولم يرد أن يعطينى فرصة
ولو الى الغد لأتعلم ، فصفعنى هذا الـ ... صفع صبيا صغيرا عمره
سبع سنوات أول يوم دخوله المدرسة ! كأنما كان يجب
أن أولد فى لندن ! فنظرت اليه بكل ما كان يمكن أن
تنطق به عيناى ، أنا الصبي الصغير الضعيف ، من شرر واحتقار .

فضايقته نظرتى وأدركها، فأمعن فى النكاية، وأعلن فى الأولاد أن كل سؤال عن حرف أعجز عن معرفته ويحيب عنه أحدهم فله الحق فى أن (يضربنى قلما) ؛ فرفع عشرة منهم أيديهم ووقفت أنا كتمثال بارد من الرخام فقد الحس والشعور، لأننى لم أكن أعتقد وجود حيوانات فى المدارس الأميرية .

وكان بعض الصبيان يسمح على وجهى والبعض يضربنى فعلا .

ولكننى لم أكن أشعر بالمشرب لأننى كنت قد غرقت فى ألم الإهانة . ثم أخذت يومها من «الأقلام» ؟ ! عشرة، عشرين ؛ والله ما أدرى ! . أظن بعدد حروف الهجاء الانكليزية ! .. أما الذين امتنعوا فقد كانوا سلفا أصدقائى . فعدت الى البيت وبكى طول ليلتى . وأصررت على عدم العودة الى المدرسة، أو على الأقل، على عدم تعلم اللغة الانكليزية، ومن يومها كرهت الانكليز . أما والدتى فقد جن جنونها وحرنت حزنا شديدا . فأشارت عليها صاحبة لها أن تلجأ الى السيدة زينب — رضى الله عنها — فلجأت وتعلقت بشباكها،

وبكت بين يدي ضريحها ، ونذرت ثمن حروف لصندوقها ،
ووفت بعد قليل نذرها .

تذكرت كل هذه الآلام إذ رأيت تلاميذ اليوم وكيف
ينعمون . وحمدت الله على تطوّر التربية وتنوّر العقول . ولو جاء
« حمدي افندي » اليوم وامتحنته في اللغة الانكليزية لأريته
كيف يكون الصفح الأدبي ! ..

والآن ، وقد مضى على ذلك ربع قرن من الزمان ، فقد
غفرت له الألم الذي انتابني ، والاهانة التي لحقتني ، ولكنني
يستجبل على حتى الممات أن أغفر له حزن والدتي ...

الهجاص !

ما أقل الناس الذين يعملون عملهم بإتقان ! وكل الذين لا يتقنون عملهم في هذا الزمن المادى يخسرون خسارة قد لا يعرفون هم أنفسهم مدادا إلا بعد الأوان . وإني أحب أن أضرب لك مثلا عمليا على ذلك لترى الفرق بين الخلق الشرقى والخلق الغربى ، وإن ما طبعنا عليه حتى فى أبسط الشؤون من الإهمال وعدم الاكتراث يكلفنا أحيانا السخرية بنا .

هل رأيت مرة ذلك الرجل المعمم الذى يلبس جبة زرقاء ونظارة، ويضع فى عمامته قلما من الرصاص ... ويسير وراءه رجل يجلباب قذر جدا يحمل له ورقة من الكرتون عليها رسم كف بجبر أحمر ... وهو يدور على المقاهى يقول : « دكتور ! ... البخت ! ... الكف ! ... شانس ! ... علم الكف الهندى على أصوله ! ... » ويتمايل عجباً واختيالاً بمهارته فى الكلام و ... و « خيابه » فى علم الكف ! ...

هذا الرجل هو من أجهل الناس بهذا العلم . وأول دليل على جهله ذلك الكيف الذى رسمه بحبر أحمر ولا معنى له مطلقا . وبالأمس فى بار اللواء، جعل يقول لسيدة أجنبية ويعيد لها القول عن زوجها وحبها وأولادها وحياتها . وبعد ربع ساعة فى هدير ورغاء كانت خلاله تهز رأسها إعجابا بعلمه الغزير قالت له « لقد صدقت فى كل شئ ... بس أنا مش متجوزة ! » .

وانظر الآن اعلانا ظهر يوما ما فى صحف باريس : « السر العظيم ، الطريقة المضمونة للنجاح فى الحياة والتأثير فى عقول الآخرين وإعدادها لتكون فى جانبك وتراح اليك، والأمر يرجع الى تيار حيوى موجود فى جميع الناس ، ولكن العالم المشهور فلان ... هو وحده الذى يعرف استخدامه . وهو يعلمك ذلك مقابل عشرة قروش ... وقد أصبح من الآن فصاعدا فى الإمكان أن يقال : ان الذين لا ينجحون فى أعمالهم ليس معهم عشرة قروش ! » .

فانظر مبلغ ما وضعه هذا الرجل فى اعلانه من الذكاء والفتنة . ولست أشك فى أن الذين بذلوا القروش العشرة

عن طيب خاطر كثيرون جدا . لأنه يوجد في كل أمة أناس لا يحصى عددهم يبحثون عن وسائل النجاح ، وهم لا يعرفون استعدادهم وما خلقوا له ؛ فيتعللون بالخرافات .

ولكن مقابل هذا الرجل الذكي الفؤاد نرى ذلك «الهجاص» يخب في جيبه وقفطانه متمشدا بكلمات مضحكة يكررها بذاتها لكل الناس ويفقد بذلك كل ثقة في معرفته ، مع انه لو كان قد انعكف شهرا واحدا على دراسة الكف لعرف هذا الفن البسيط وأتقنه ، وكان يستطيع أن يقول فعلا أشياء حقيقية تسترعى النظر والاهتمام حتى من الناس المتعلمين .

والخلاصة : ان شيئا من الصبر الجميل يمكننا من اتقان ما انقطعنا له ، ويجب أن نحب هذا الذي نعمله وأن نقنع بأنه الخير كله وأن نؤمن به ليكون كاملا .

الشرق والغرب

نشر كاتب ظريف فى إحدى زميلاتنا مقالا استهله بقوله :
انه يضحك ملء شذقيه من أوربا ثم يضحك ملء فمه من
فضيلة أوربا ...

وبالطبع سيجد هذا الرأى أنصارا كثيرين ومعجبين
كثيرين . ولست أنا الذى يدافع عن أوربا لأنها أوربا
أولأننى عشت فى أوربا ، وإنما أنا كمصرى ، أحب وطنى
وأحارب الرذيلة وأنصر الفضيلة ولا أتردد فى قول الحق مهما
كلفنى ذلك ، أعتقد أن هذه الآراء غريبة جدا وليس
فى تشجيعها إلا تضليل الناس وتملق الحمقى .

إن كل ما نراه فى بلدنا من وسائل التقدم والرفاهية والحضارة
هو من واردات أوربا . هذا النور الكهربائى الساطع الذى
نعيش فيه ، هذا التليفون الذى يربطنا بأقصى البلاد ، وهذا
التلغراف وهذه السيارة وهذا الترام وهذا القطار وهذه البواخر

وهذه الملابس وهذه العلوم وهذه الفنون وهذه الأدوية وكل شيء! كل شيء هو من صنع أوروبا ووارد أوروبا .

فنحن لا نستحي من أن نمد أيدينا الى أوروبا في كل شيء ، لأن الانسانية تتجاوز التخوم وحدود البلدان وتصل القطب بخط الاستواء ، وأمس صعد الأستاذ بيكار مدى ألوف الأمتار في الهواء مجازفا بحياته من أجل وأجلك ، وكذلك مدام كورى التى مات زوجها المنقطع معها للراديوم تعمل فيه مع ابنتها من أجل وأجلك ، وهؤلاء الذين قد انقطعوا لدراسة الميكروب ووصف الوقاية منه والعلاج له هم أصحاب الفضائل الحقيقية التى تهزأ بها وتضحك منها .

فعند ما نعرف كيف نصنع أصبع الطباشير ، أو مصلا للحمى التيفودية ، أو نورا كنور الكهرباء ، عند ما نعرف كيف نبتكر ما هو دون الطائرة أوزبلين ، عند ما نعرف شيئا من هذا أو من مثله أو من بعضه يجوز لنا أن نتحدث عن فضيلة الآخرين الذين نعيش عالة عليهم ... أما قبل ذلك فهو افتئات وإسراف ونكران للجميل .

اللسان العف

فى إحدى القضايا الشرعية المرفوعة من سيدة على ضابط
قدر علينا أن نطلع على خطاب منه إليها تقشعر من وقاحته
الفضيلة وتولى الأدبار جزعا . قرأنا فيه جملا وألفاظا لو قطعت
يد كاتبها لكان العقاب هينا . ويصدر هذا من رجل هو
بمهته حارس للنظام والأخلاق ! ...

لو كنت قاضيا لحكمت عليه بالسجن والتجرد من رتبته .
إن هناك بعض الضباط هم عار على إخوانهم وزملائهم وعار
على الأمة جميعا .

أليست هناك لغة يخاطب بها الإنسان زوجته أو حبيبته
غير لغة بذيئة غريبة فى إسفافها الى حد ترفع عنه —
فى ظنى — فى مخاطبتها البهائم ؟ !

نعم توجد . وجهاتهم هى التى تحول بينهم وبينها . وإنما

المخيلة الشهوانية الوضيعة هي التي نتعرض لذكر ما ينبو عنه
حسن الذوق وسلامة الطبع . فهم قوم مرضى ولا شك .
وللب قداسته . فكل من لا يعرف هذه القداسة
أو لا يحترمها يسىء الى الحب ويحرم . وهذا الضابط الوق
قد كتب ما كتب وهو يزعم أنه سيكون فقط بينه وبين تلك
السيدة . ولكن ها هو الآن خطابه (واخذ رقم في حافظة)
ويتداوله كتاب المحكمة والمحامون والقضاة، ويتنقل حتى يصل
الى الصحف . لذلك كان ينبغي أن يكون له من نفسه وازع ،
وأن يحسب حساب الحب نفسه وحرمة الأثوثة قبل أن يحسب
حساب وقوع خطابه في يد الغير .

ونحن سنضرب له مثلا لضابط آخر يعرف الحب وبدرك
أن عمله رجس من الشيطان . ولسنا نقتبس له رسالة كاتب
كبير أو شاعر عاشق ، وإنما خطاب ضابط انجليزى كتبه
فى عام ١٧٤٦ الى زوجته عشية معركة «كولودن» التى هزم فيها
آخر أنصار «الستيوارت» وقضى كاتب الخطاب فيها نجه .
وقد وجدته بطريق الصدفة كاتب كبير فنقله وهذا نصه :

» حبيبتى

عدت الى معسكرى الآن . الساعة تبلغ الحادية عشرة مساء . ليس
فى روحى إلا الله وأنت .

ولست أستطيع الرقاد قبلها أقول لك إننى لا أشعر أبدا بالتام عند
ما أكون مفترقا عنك . ما أسعدنى لو كنت الآن بين يديك ! سأذهب للرقاد
على أسف دون مسرة أخرى غير تلك التى يمكن أن يمنحها لى ضميرى . حمدا لله
على سلام الروح الذى يسودنى ؛ وعلى المدد الكريم الذى أمدنى به شخصك .
إن طباعنا جبلت بحيث لا يكون إلا سعادة فى الغاية أو أشقياى للنهاية . انك
تعطينى كل المسرة التى تستطيع أن تعطىها امرأة أحبا وكل الهناء التى يمكن أن
تهبها رفيقة فاضلة فى نفس مائة بها ، إن فى مقدورك إحالتى شقيا أشقى عما أستطيع
أن أعبر لك لأنه فوق كل تعبير ووراء كل تصور . ولكننى أومن بحقيقة وقوة
محبتنا وأؤمل ألا ينتهى إلا بانتهاء الحياة نفسها .

سأوى الآن الى فراشى ولا أدرى هل أنام ؟ وإذا نمت هل أستيقظ ؟
قد تكون اليوم غفوة الموت . شكرا لله على نعمه الغابرة وإنى أسأله المزيد فليباركك
الله أنت وولدنا العزيز . وإنى لك الزوج المحب المخلص .

ولكن تمت فرقا كبيرا أيضا بين عام ١٧٤٦ وعام ١٩٣١
وقد انحطت صلات الناس بعضهم ببعض ، واختفت أجل
وجوه والشهامة والنبالة . فكيف يسلم من الشر أرق المشاعر
وأشدّها تأثرا وهو الحب ؟ !

الجمال المصرى

غدا يكون بيننا «المسيودى واليف» على رأس وفد الصحافة اللاتينية التى تعقد مؤتمرها العاشر فى القاهرة فى ضيافة «الأهرام» .

وهذا يذكرنى بتلك الشخصية المحبوبة من جميع أهل الذوق لا فى فرنسا أو أوربا وحدها ، بل فى العالم كله . فالرجل حجة عالمية فى الجمال . آراؤه أحكام . وطوبى للتى يشهد لها «موريس دى واليف» . فهو منظم ومدير مسابقات الجمال التى تجرى فى باريس .

وكنت أقرأ جريدته «بارى — ميدى» بلدة وسرور . فهو صحفى متفنن قدير وستنوب عن هذه الجريدة عقيلته «مدام دى واليف» . فى حين أنه هو يمثل جريدة «الجورنال» الذائعة الصيت . فانت ترى أن هولاء الناس يتعاونون فى داخل البيت وخارجه على السواء ، وأن للمرأة شخصيتها ، وأن هذا

يزيد المحبة بينهما ولا ينقصها ، وأن هذا التعاون الفكرى يزيد
فى ثروة الرجل الأدبية وفى كبريائه ، لأن صاحب المرأة الممتازة
النابهة هو غير صاحب المرأة الخاملة . وكذلك كم من امرأة
تطفئ الذكاء فى عقل الرجل وتخذ الأمل فى قلبه .

ترى ... هل يتاح «للسيو دى واليف» أن يشهد بطريق
الصدفة لمحة من جمال المرأة المصرية ؟ ! هل يمكن أن يقدر
أنه توجد فى مصر فتيات من أجمل بنات الأرض ؟ !

فنحن لانشارك فى مسابقات الجمال بفتياتنا . واسنا نأسف
على ذلك الآن فان التقاليد ما زالت تحول دون ذلك . ولو أن
مسابقة البيجامات فى كازينو سان استفانو هذا العام كانت
بذلك نذيرا . وسيأتى يوم نرى فيه الفتاة المصرية تعرض
وجهها النحيل الخمرى الجميل ، وعينيها السوداوين النجلاوين
العميقتين اللتين تشعان بسحر هاروت وماروت ، وتطفئ كل
جمال غربى الى جنب جمالها . ولكن نرجو ألا يدركنا هذا
اليوم إلا وقد بلغنا من الكبر عتيا ! .

نهايته . إذا لم ير « المسيو دى واليف » قبسا من ذلك
الجمال الشرقى العريق فليته لا يرى أيضاً أولئك السائلات المقنعات
المخيفات اللواتى يتعلقن بأهداب المآزة فى شارع قصر النيل ،
ويضطهدن السائرين بشوارع فؤاد الأول . وليته لا يشهد من
شرفة شبرد جنازات تبتعها نساء حافيات الأقدام ، مخضبات
بالنيلة الزرقاء ، ربطن أعناقهنّ بالمناديل السوداء ، يولولن ويملأن
بعويلهنّ الفضاء ، وهنّ يشققن الجيوب ، ويلطمن الحدود .



العطلة المدرسية

يسألني تلميذ نجيب كيف يقضى عطلته المدرسية، وهو موفور الحظ من المال والراحة لا ينقصه شيء، وإنما ينقصه ما يملأ عليه أيامه ولياليه . أى أنه فى الواقع ينقصه كل شيء . فليس المال والراحة إلا فى متناول ألوف الناس الذين مع ذلك يقتلهم الفراغ . والرجل الذى يعرف كيف يشغل كل لحظة من حياته ، هو الرجل الذى لا تتسرب اليه الوسوس والهواجس . بقى أن نعرف بماذا نشير على هذا الفتى المستيقظ الحريص على أن يشغل أجازته الصيفية بما يجعل لها قيمة .

أقول له إننى لما كنت فى سنه كنت أسافر الى الريف، وأبقى ساعات برمتها فى الغيط أتأمل تلك الأرض السوداء التى تثبت أزكى النباتات وألذ الفاكهة وأغنى المحاصيل . وكنت أحيانا كثيرة أمسك الفأس الثقيلة بيـدى الصغيرة وأداعب الأرض أشق فؤادها كأننى أسألها مكنون سرها . وكنت أحب

ما حولى من تلك المواشى الوديدة الجميلة التى ترى فى عيونها
الصفاء والسلام، من الجمل الى البقرة الى الخروف الى العنزة...
وهى تحيي الدار عند خروجها وتحييها عند عودتها، وتعرف
طريقها دائماً ولا تخطئ أبداً، وتعرف أهل الدار والمنوط
بخدمتها، وهم يعرفون مكرها ودهاءها اذا تمارضت أو تكاسلت.
وكنت أحب أن أجلس الى النيل ساعات . أراه أحيانا
يغضب فيأكل الأرض التى لم يخلق الله أخصب منها ويلتهم
خيرها وبركتها . وأحيانا يرضى فيحمل اليها ثروتها من الطمى
والخصب فلا تزداد كل يوم إلا قوة كأن شبابها خالد يتجدد أبداً.
وكنت أحب أن أجلس لأستمع الى القرآن الكريم يرتله
شيخ رخم الصوت غالباً كنيّف البصر . فتفتح لى تلك القراءة
عوالم مجهولة من الخير والبر والصلاح والتقوى ، وأرى الجنة
والنار جنباً الى جنب أحدهما تجرى من تحتها الأنهار والأخرى
تتلظى سعيراً أعدت للآثمين ! ...

وكنت أحب المرأة الفلاحة، وهى عضد زوجها وساعده
الأيمن، تعرف دخله ونخرجه، وتحفظ له مكسبه، وتوجه أعماله

ما طاب لها . فهي سيدته من جانب وهي خادمتها من جانب
آخر . جبارة أحيانا ومطبعة أحيانا .

وكنت لا أتلهف من القاهرة إلا على الجريدة أقرأها ، فإذا
فات القطار ولم يحضرها الخادم أو لم أعر عليها شعرت بنكد طول
يومي . ووضعت همي في الكتب التي أجدها وهي كتب الأزهر
لأنك لا تجد في بيوت الفلاحين «أنا تول فرانس» أو «فولتير» .

والى هذا كله كنت أحمل البندقية أحيانا وأطلقها في الحقل
على هدف كنت قلما أصيبه ! ... وكان قلبي يخفق لمرور قطار
العصر الراحل الى القاهرة . وكنت كلما شعرت بحنين
الى العاصمة أقيت في النيل بعض (النكلات والقروش التعريفية)
سلاما على مصر ! ... فيغوص الأولاد وراءها يحدون
في العثور عليها .

والآن وقد حرمنا الأيام عيشة السذاجة والبطرة لا يسعنا
إلا أن نشيد بها فهي عهد الصفاء الخالص . وطوبى لمن يحب
الفلاحة ويعيش ويموت فلاحا بعيدا عن المدنية ! ...

الفنون والجنون

يقولون إن الجنون فنون، فهل الفنون جنون؟ ! هذا هو السؤال الذى كثيرا ما يتبادر الى الذهن عند ما يرى الإنسان بعض الفنانين يلبسون زرى اللباس زهدا وتقشفا. وفى أحوال كثيرة لا يكون الفقر حائلا دونهم ودون الهندام اللائق . فقد عرفنا «مارى باشكرستيف» الفنانة الروسية المشهورة تسير فى باريس ، وان كان لا ينقصها المال ولا الجمال ، فى قميص الفنانين الأسود تربط زناره حول عنقها وتخب فى أكمامه .

وأمامنا الآن حياة فنان مشهور كان يضمن بلوحاته أن تباع ولو مات جوعا، هو «هارولد فاراوى» مصوّر البحر الذى صوّر الموج، وصوّر الزبد، وصوّر النوء، وصوّر الخضم الفائر، وصوّر البحر فى روحه لا فى شكله . فهو لم يرسم الأمواج ولكن رسم سرها . كذلك يفعل الفنان النابغ . كذلك يفعل الموسيقى العظيم الذى يوقع على البيانو لا النوتة الموضوعة أمامه ، ولكن ماوراءها

من نداء أو بكاء . فإذا جلس الموسيقىار يضرب ألحانا تمثل ،
في نظر المؤلف ، هياج البحر ، فانه يسمعك هياج نفسه هو قبل
هياج البحر . فاذا لم يكن نائرا بطبعه ، أو اذا لم يكن محبا لفنه
حبا يملك كل حواسه ويجعله يتقمص في روح البحر نفسه وفي
سر أمواجه وهياجه فإن الأنغام تصدر فاترة كأنها رذاذ المطر .
وهكذا كانت لوحات «فاراوى» الثلاث عن البحر من أروع
ما تراه العيون . يقف أمامها الناقد ذاهلا إذا يشعر أنه بازاء قوة
خارقة ، بازاء شيء ليس من هذا العالم ، يقف بازائها شاعرا بالخوف
والرهبة والوجل كأنه أمام سر هائل محذور على البشر . ثم يتبع
ذلك شعور مثير غامض كأنه عقيب مخدر قوى ، فاذا ما وجب
التخلص — آخر الأمر — من هذا الإعجاب المضنى ومغادرة هذه
العجائب المصورة بالألوان الزرقاء الخضراء ليعود المرء فيستأنف
تكاليف الحياة ، يشعر بما لا حد له من الكآبة الخرساء .

ومع ذلك فإن هذا الفنان قد رصخ لبيع لوحاته الثلاث
النابعة عن البحر أمام عرض باهظ من أمريكي ثرى هاو عمل
ما لا يعمل للحصول عايتها . وما أن سافرت لوحاته حتى راح

فريسة للهم والغم . ولم يره أحد أياما طويلا . سجن نفسه
في غرفته لا يزور ولا يزار كأنه في حداد يأبى العزاء .

ثم جاء نبأ مؤلم عن غرق الباهرة «الباتروس» التي تحمل
اللوحات ، فحمله له أحد أصدقائه فلم يكد يصيبه من الحزن
إلا ظل شاحب ، وهمس كأنه يناجي نفسه : إن آلهة البحر قد
استردت سرها لأنها لم ترد فضيخته على الجهال ! فهو عند
ما كان يلاحظ البحر ويدرسه ليصوره قد كشف عن بعض
خفاياه ، وتعود على طبعه وسروره وغضبه ، وأحبه وراح
فغاص في أعماق الأعماق ولم يقنع بالطفو على سطحها . فهو
طالب حقيقة . وهذه هي وظيفة الفنان المصور والموسيقى
والكاتب الشاعر . وقد أدرك « فاراوى » القوة الهائلة
تحت البلجة ، وفاجأ الارادة الكامنة في الموجة ، وعرف
الناس القاطنين في الأمواه ، وسمع وفهم أصوات الشجى
والحنان التي تتجاوب بها شواطئ البحر وحنياه ، وأصغى
وأحب غناء بنات البحر وجنيات البحر ، وهيمن على روحه
رب هذا كله ، رب الأرض والسماء جميعا ، فراح يحثو خاشعا

على الشاطئ تكاد عيناه من نور الله تعشى . وعكس
فى تصويره الأمواج لمحة من هذا النور الربانى ، أو لمحة من ظل
النور ، كاللحاحات التى نراها ونسمعها فى أنغام «شوبان» . فكيف
يحزن إذا إذ استردت جنياى البحر سرها الغالى ؟ ! وكيف
يبكى لوحاته الأرضية وقد اجتذبتها القوة التى أوحىها ؟ !

ولكن !... هذا الاستدراك الأبدى ، الأليم غالبا ، ولكن
البحر لفظ صندوقا من الصناديق المفارقة وجدوا فى خباياها
اللوحات الثلاث لم تمس بأذى .

أما مصوّرنا الفنان فلم يتقبل هذا النبأ السار بارتياح بل
وجم له فى قنوط غريب ، وراح يكتب هذه السطور الأخيرة
قبلىما ينتحر : «زعمونى محبوبا . وقد أصابوا فقد كنت مجنونا
إذ زعمت أن رجلا فانيا مثلى يمكن أن يصوّر لمحة من النور الأعلى ،
ولو أن عملى كان كاملا لا احتفظ به صاحب السر الأسمى ، ولكنه
رده الى ، ولست أستطيع العيش بعد هذا الازدراء ... ! » .
كم قارئنا سيفهم هذا ويحبوه ! ؟ قليلون جدا ... ولكننى
أكتب أحيانا لشخص واحد ! .

الموسيقى

حضرت منذ يومين الحفلة الساهرة التي أقامها المعهد الملكي للموسيقى العربية . حقا ان الموسيقى نعمة من نعم الوجود . كيف يمكن أن يوجد في هذه الدنيا أشرار، ظلمة، جبايرة، قساة، أنذال، جبناء، وفي الدنيا موسيقى ؟ !

عند ما كان السيد المهدي أو كان السنباطي يوقع على العود تساءلت أى فؤاد يخفق في هذا العود، أى سرفيه وأى حنان ؟ انه يزيل وحشية الضارى ! . ان في العود سلا ما حارا لو عرفه «شكسبير» لذكره في روايته «تهذيب الشريرة» . ان في صدر العود قلب رجل، رجل يعانى ويألم ويحب ألمه ويراه جزأ من الرجولة ويعتد العذاب قطعة من الحياة لا تنفصل عنها .

وعند ما وقع الأستاذ مصطفى رضا بك رئيس المعهد على « القانون » دب في النفوس أمل خفى . وبدأت الحياة غنية

غنى طائلا تستحق البحث فى جوانبها عن أسرار جديدة، كان
التوقيع الفنى على أداة غنية، كفيلا بأن يغنى الشعور، أحسنا
لذة فى التمنى والرجاء من جديد . شعرنا بأن الأمل ليس بعيدا
عن اليأس، وما دام هناك أمل فكيف نياس ؟!

ونفخ عزيز صادق «بالناى» . هنيئا له هذا النبوغ، انه
متواضع نجول كالناى ، الناى فيه حياء غريب ولكنه حياء
فاتن، ان شكواه فى وحدته ، فى وحشته ، ذات لوعة مرة
تضنى النفوس . ذكرتنى يجبران خليل جبران الذى قال :

هات لى الناى وغن فالغنا خير الصلاه

وأئين الناى يبق بعد ما تفنى الحياه

نعم ان أئينه غريب ، أئين يحمل الإنسانية كلها معه على
الأئين ، أئين تتجاوب به أجواز الفضاء ولو كان همسا .

ومع ذلك فليس الناى كله حزنا . ان فيه فرحا ومرحا ،

ان فيه الى جنب قلب الشيخ قلب الطفل . ان فيه هتافا بالحياة،

هتافا نبىلا ليس جهيرا مبتذلا ، بل مكثما متغلغلا يدخل حنايا

القلوب ويسكن فى الضلوع ! .

جزى الله المعهد الملكي للموسيقى العربية خيرا . انه أنقذ
كرامتنا الفنية من جوانب كثيرة ولو أنه أبعد « الكمنجة » عن
التخت العربى واستعاض عنها بالرباب لأحسن صنعا لأن
الموسيقى تكره التنافر بين الذوق العربى والغربى . والموسيقى
الصادقة تنكر توقيع الأغانى الشرقية على الأداة الافرنجية .
يستطيع الناس أن يجدوا عزاء وهناء فى الموسيقى . لأن
الموسيقى وحدها عالم قائم بنفسه ، معتمد بنفسه ، يسخر من
هذا العالم .



المناعية

المساواة

رأيت فى سينما ريجال لما كنت فى لندن رواية «ابن الآلهة» وهو فتى صينى طائل الغنى واسع المعرفة، مهذب ظريف يقود السيارة ويلعب الجولف . وقد لقي من تناقض الوسط الذى حوله فى نيو يورك وشدة تعصبه ضد الشعوب الملونة ما حمله على هجر أمريكا الى أوربا . وهناك فى إحدى بلاد فرنسا الجميلة التى يقصدها السياح، التقى بفتاة أمريكية متأنقة بصحبة أبيها . فيتحابان ويخفى عنها أنه صينى ، وليس فى مظهره أو خبره ما ينم عن شعب ابن السماء ، الى درجة أنها تهيم به وتجنح حبا وتبوح له ؛ فيؤمن لها على الحب وتصير خطيبته . فيضجر أبوها الرجعى ويعنفها ويوقفها على حقيقة جنسه قائلا لها : أما كيفاك تعلقا بهذا الصينى ! وعندئذ تجرى كالمجنونة الى (الكازينو) وهو حافل بعاية القوم وأغنيائهم وخطيبتها الى مائدة فى انتظارها وكان فى يدها سوطها الذى تقود به

حصانها فتزل به على وجه ذلك الغنى الصينى الكريم . واحد!
اثنان! ثلاثة! أربعة! خمسة! ستة! سبعة! ...

لقد عددتها والسوط يصفر فى آذاننا وهو يمزق وجهه
من اليمين واليسار ووجتاه تتضحان بالدماء وهى تصيح فيه :
« أيها النذل! أيها الجبان! أيها الصينى الخسيس! . »

فسافر لساعته وعاد الى بلاده يخفى عاره وانكساره فى صدر
أبيه المحتضر . أما هى فلم تلبث أن أخذتها اللوعة وجنت من
وحشة الفراق ، وندامة الجرم الفظيع نحو رجل لا ذنب له ،
فتنصرف الى الخمر تحسوها فيزداد بها الشجن والحزن حتى
تصبح شبحا . ويذهب بها أبوها الى نيويورك يتوسل
الى صاحبنا «ابن الآلهة» أن يقف الى جانب فراشها وهى
فى غيبوبة الخطر، فقد كانت تلك هى آخر وسيلة لجأ اليها الطب
لإنقاذها ، ففعل . وكان نبىلا . وتعرف هى بعد إبلاها أنه
هو الذى أنقذها . فتأتى تترامى على قدميه، وتطلب الصفح
عن كفرانها بالحب والحق ، وتقول : «مالى ولجنسك؟ أنت
هو أنت يا حبيبى!» فيغفر .

أما أنا الشرقى الجالس فى مقعدى محزوناً فما غفرت له غفرانه
لأننى عند ما انهالت على وجهه تلك الضربات الممزقة من سوط
الفتاة شعرت بأنها على وجه الشرق كله .

واليوم تدور الدائرة ويبدأ العدل يقيم ميزانه . فقد أدخل
نائب السنغال وهوزنجى فى الوزارة الفرنسية . فباله من درس
جميل فى المساواة تضربه فرنسا لأوربا وأمريكا ، والنفور من
الشعوب الملونة ما زال فى كل مكان .

وهذا الحادث التاريخى الذى لم يسبق له مثيل قد أناه رئيس
الوزارة الجديدة «المسيو لافال» ، وهو فى السابعة والأربعين
من عمره ، وهو ابن جزار ، رأى أباه منذ نعومة أظفاره يضرب
(بالساطور) والسكين ويقطع فعمل مثله فى السياسة . وبيننا
الزنج حتى اليوم يشنقون فى أشجار الغابات بأمريكا ويمجرون
بالحبال وراء الخيول الجامحة ويمثل بهم بأكثر من ذلك . يجرى
ابن الجزار ويشرك الزنجى معه فى حكم جمهورية فرنسا والملايين
التابعة لها .

فلمنأ الشعوب الشرقية والأجناس الملونة بهذا التقدير من
الدولة التي حررت بثورتها أكثر العالم من قيوده السياسية
والاجتماعية ، وهو مثل رائع وخطوة كبرى في المساواة
بين الناس .



زواج الطلبة بالأجنبيات

حسنة لمعالى وزير المعارف يحزى عليها الجزء الأوفى بقدر ما تأخر الى اليوم تحقيقها ، وهى تحريم الزواج على أعضاء البعثات العلمية فى الخارج .

فهذا درس جديد يعطيه الوزير لأبنائه الطلبة . وهو يريد به أكثر من تجنب المشا كل القضائية التى تنتج للوزارة عن مثل ذلك ، أن يقول لهم أنهم انما أرسلوا للعلم أولا وخدمة بلادهم فاذا ما حصنوا أنفسهم بما سافروا من أجله فهم أحرار . ولم أشهد تخبطا فى الزواج بالأجنبيات مثل تخبط الطلبة المصريين فى أوروبا . فان الطلبة يتزوجون غالبا بنساء لسن فى العير ولا فى النفير بل هن نفاية النساء . خذ مثلا : أمة كالأمة الفرنسية ، شديدة الحرص على تقاليدها ، وأستطيع أن أقول صراحة إنها شديدة الكراهية للأجانب إطلاقا . فكيف يتيسر لطالب مصرى أن يختلط بأسرة كريمة حقا إلا فيما ندر؟ !

إذا فطالبنا يتزوج من فتاة (على فرعها) ... جريئة مغامرة من ذلك الجنس الذى يقبض على الرجل فلا يفلقه لاحيا ولا ميتا ! كنا يوما فى الحى اللاتينى فى باريس نتحدث فى ظلال « البانتيون » مقر العظماء الراحلين ، فأقبل علينا فتى مصرى فى الثانية والعشرين من عمره ، جميل الطلعة وجيه البزة ، وكانت هذه هى المرة الأولى التى رأيناه فيها ، فقدموه الينا باسمه ، وقدموا فتاة تصحبه باسمه أيضا لأنها « مدامته » بالميم لا بالنون ! ... حقا اننى وأصحابى دهشنا . لأنه يصعب على الإنسان أن يتصور كيف اختار هذا الفتى زوجته : بل كيف فكر هذا الصغير فى الزواج . ! لأنها فى نظرى آخر فتاة يحوز للإنسان أن يكلمها فكيف يتزوجها ! قصيرة حتى لتكاد إذا خاطبتها تشرف عليها ، ضئيلة حتى لا تكاد نلتينها ، ليس فى لبسها ذوق ولا أناقة . وهذا فى باريس فضيحة ، لأن باريس تربي الذوق وتمنحه الذين حرموه . تكلمت ... ! انها تجر كلامها جرا كأنه عربية نقل خاوية ! . ليس فى صوتها نعومة أو حنان . وماذا قالت ؟ شيئا نافها أتعف من ورقة الترام التى تبقى فى جيبك بعد التزول ! ...

وآخر من يجوز له الزواج هم الطلبة الذين لم يضعوا بعد حجرا واحدا في مستقبلهم وحياتهم المادية . هؤلاء الذين يدرسون في انتظار ما يأتيهم به الغد . فأما أن يربطوا حياة خلائق أخرى بحياتهم ، خلائق قلما تأتلف مع الوسط الذى نعيش فيه ، فأقل ما يوصف به هذا التصرف من جانبهم أنه تسرع وطيش .

فالحّد الذى يضعه اليوم وزير المعارف ضرورى جدا ليقف مبعوثى الحكومة المصرية عند حدّهم اذا تركوا حبيل أنفسهم فى الهوى على غاربه . وعند ما يخرجون الى ميدان الحياة سيكون لديهم الوقت والعقل والمال للاختيار . أما قبل ذلك فهذا كله ينقصهم .

غرام التلميذ

تلميذ فى المدارس الثانوية أحب تلميذة تدله فى حبها ،
فزجره أبوه فلم يزدجر ، فأبى أن يدفع له مصاريف المدرسة
فرفت . وفى تلك الأثناء نالت التلميذة شهادة كفاءة المعلمات
فقطعت صلتها به وصرمت عهوده وهى التى كتبت له يوما على
صورتها : « وسواك فى خاطرى لا يخطر » .

والآن تسألنى رأى ؟ أقول لك صراحة يا بنى : إن أباك
قد أصاب بالتخلى عنك ، وإن حبيبتك قد أزكت رأى أبيك
فيك بهجرها إياك .

ففى الوقت الذى مازلت فيه غير قادر على كسب (نكلة)
وأبوك يصرف عليك من عرق جبينه ويكد ليطعمك ويكسوك
ويعلمك ويسعدك ، أخذت أنت نفسك بالعبث والغزل وأغريت
قلبك بحب بنت لم تطلع ولم تنزل ، وجعلت تهمل حفظ دروسك
لتدبج لها الرسائل الغرامية ، وتستشير فى ذلك « ماجدولين »

وتخيل نفسك «استيفن» تارة وتارة «روميو»! . وطفقت متأخر
في الصباح عن مدرستك لتوصلها الى مدرستها، وتخف عصرا
اليها لتودعها في إياها . وجعلت تطلب بنفسك لنفسك تباريح
الهوى والجوى والضىنى . وكان السالب والموجب من كهرباء هذا
الحب منك وفيك وحدك! .

لقد كانت عابثة بك . وأكلت (الشوكولاته) التى حرمت
نفسك مصروفك اليومى لتشتريها لها وهى ساخرة بهديتك
الضئيلة . ولعلك تطفلت كثيرا من وراء أبيك على السيدة
والدتك لتجمع لها القروش لتشتري زجاجة عطر ... ولو « ماء
القسيس» بسبعة قروش، وتذهب بها مرة في الحين بعد الحين
الى (سينما أولمبيا) أو (المنظر الجميل)! كل هذا لأنها تنظر اليك
يابنى وتخفص من بصرها كأنها النجول من نظراتك . أولأنها
ترد على رسائلك بأحسن منها .

أجل! . إننى هكذا أتخيل هذا الحب العظيم الذى تريد
أن توهمنى به في رسالتك . وليس أدل على أن هذا الحب كان
عبثا كله من أنه شاع وذاع وملا الأسماع حتى عرفه أبوك

ثم فُصلت من المدرسة بسببه ، ولست تعرف الآن يا بنى وأنت
فى سن العشرين ما كلف ذاك أباك وأمك من الحزن والأسى ،
لأنك الآن كما يقول « الفونس دوديه » فى السن التى تلمع فيها
العيون ولا ترى شيئاً . ولكنك ستدرك ذلك كله حتماً يوماً ما .
والآن أرأيت كيف نجحت البنت حيث فشلت ، وكيف
وقفت هى حيث أخفقت ، ووصلت الى شهادتها وأنت يابطل
الغرام فى أول الطريق وقفت وتخلفت .

نالت كفاءة المعلمات ، بعد ما نلت كفاءة الغراميات ،
ولم تعد تجدك كفئاً لها ! ؟

كيف تدهش لخياتها ، ومتى كانت صادقة ؟ ! إنها الآن
قد ارتفعت قليلاً بتلك الشهادة الصغيرة وصارت لها مطالب أكثر
وحاجات أوفر ، وفرص أسنح ، وأنت اليوم صفر اليدين من كل
شئ حتى من كرامة التلمذة وطلب العلم ! . وهى لهذا أنصرفت
عنك الى سواك . وإنا لناسف على ما أصابك ، وهذا درس نضربه
لتلك الناشئة المتطلعة الى حياة موفورة حتى يشغلوا بما هو أنفع
لهم وأجدى عليهم وترفعوا عن الجرى وراء الطائشات العابثات .

الطيش

نسمع من الشيوخ والعجائز، نحن الذين ما زلنا ننتسب الى الشباب، إن حقا وإن باطلا، أن بعض العمدة وأغنياء الريف في الزمن الغار عند ما كانوا يقدمون الى القاهرة تبهرهم الكهرباء والترام وحنفيات الماء؛ وتبهرهم أولئك المغنيات اللواتي كن في الالدرادو والهمبرا وحوالى دار التمثيل العربى ... أولئك المغنيات الراقصات السمينات سمنة فاحشة لا يمكن أن يتم معها رقص ولا غناء بالمعنى الذى نفهمه الآن ونتذوقه .

ونسمع عما كان يأتيه بعض هؤلاء العمدة الريفيين الأغنياء الساذجين من ضروب التهؤر وشرب الخمر والإسراف ... فعند كل لفطة أو إشارة تفتح زجاجة شمبانيا، هى شمبانيا بالاسم فقط، لأنه لا المغنية ولا العمدة يعرفان ما الشمبانيا ولا ما طعمها . ويمثلون للمرأة السمينية وهى على المسرح الحقيير المزين بالبطيخ الزجاجى الأحمر والأصفر والنجف والشموع والليارق ،

يملاؤن لها كأسا وتعود الزجاجة كما هي بعد أن تبل شفيتها
من تلك الكأس وتحني له رأسها إحناء خفيفا جدا



(ياسيدى !) وفى الزجاجة الثانية تخنيها له أكثر وفى الثالثة
تصحب التحية بابتسامة تنفرج فيها شفتاها عن أسنان صفراء
قدرة كأسنان البقر .

ويعرض غالبا لذلك الساذج مزاحم أشد منه سذاجة
وأكثر مالا ، فيرسل اليها بدل الزجاجة ثلاثا أو ستا دفعة واحدة
تذوق من واحدة منها كأسا كالعادة وترد الباقي ... (ويصفق
المطيب : يعيش الجدع !) .

بل قد حدث ، وهذا آخروأروع ما رواه لنا شيوخنا
وعجائزنا الذين كانوا خيرا وبركة ، أن أحد العمد كان معه
مبلغ كبير فأراد أن يضرب الرقم القياسى فى زجاجات الكونياك
فأمر فعملوا للغنية الراقصة سلما من صناديقها الخشبية نزلت
عليها حتى وصلت الى منضدته بخلست معه بين تصفيق الحمقى
والمعجبين والساحرين ... ودفع حضرته ، أو ضرب وساقوه
الى القسم .

نسمع هذا كله فنعجب ونراه ضربا من ضروب السذاجة
القروية ، ونوعا من التذمر من حياة الريف والشعور بالرغبة

فى الانطلاق عند الوصول الى المدينة . ونحمد الله على أن
الأيام قد دارت دورتها وجاء عسر بعد يسر نبه الناس الى نواحى
من الخير واللهو أسعد من تلك الناحية التى لم يكن فيها من
اللهو والخير شىء .

ولكن تصّوروا أنه ما زال بيننا أولاد أغنياء يرثون أموالا
طائلة فيضيعونها بين يوم وليلة ، وتصّوروا أن هؤلاء الشبان
الأغنياء متعلمون نجباء ، فليسوا من أولئك السذج الريفيين
فى الزمن الخالى ، وتصّوروا أنهم يرهنون من أجل ممثلة أجنبية
أو عجفاء غربية كذا مائة فدان بكذا ألف جنيه ، أو يستدينون
كذا وكذا بربح كذا فى المئة !

ان جميع أهل القاهرة اليوم يعرفون هذه الحكايات
ويضحكون على أصحابها الذين ستوقظهم من غفلتهم الحاجة
والبؤس ، وسيصبح خدمهم أسيادهم ، فليسوا بأفضل من
فلاحى الأمس فى الهمبرا والألدردادو ، والتاريخ يعيد نفسه
دائما بشكل آخر !

كرامة العامل

منذ نحو ثمانية أشهر كنت أقص شعري في (صالون) بشارع
فؤاد الأول، ولم يكن قد مضى على عودتي من أوربا شهران .
وكنت ما زلت مثقلا بما رأيته من رفاهية يرتع فيها العامل
الانجليزى . وكنت وأنا جالس مستسلم الى حلاقة الشعر المملة،
التي هى أثقل على القلب من السير فى جازة رجل بخيل، تتوالى
أمام ناظرى تلك الصور البهيجة لحياة العامل الانجليزى
فى ضواحي لندن، وأقول فى نفسى وأنا أفكر فى العامل المصرى :
هيهات ! ...

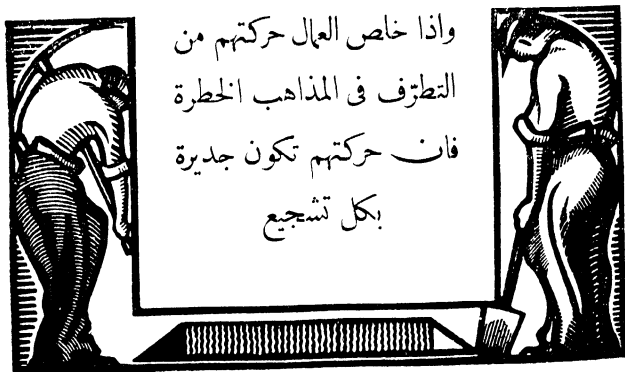
وإذا الشاب الذى يخلق للزبون الذى الى جانبي غاضب،
لأن الزبون كان يكلمه فردّ عليه طبعاً، ولكن صاحب المحل جاء
فهمس فى أذن عامله كلمة عذها هذا العامل تعنيفاً فى غير محله
ونار عليه . ولم أشهد مطلقاً مثل هذه الثورة إلا فى باريس
حيث الطبع الفقوار الجاح يشبه الطبع المصرى من كل الوجوه؛

وحيث آراء الاشتراكية والمساواة تملأ النفوس . وكانت لغة ذلك العامل المصرى سليمة الى حدّ موجب للدهشة ، وكان منطق راعيا كما لو كان قانونيا بارعا ، وكان قوى الاعتزاز بالذات يأبى على صاحب المحل التدخل بينه وبين الزبون ، وأنه إذا خوطب له حق الردّ ، وأنه ليس بالحيوان الأعجم . ولم يذكر فى هذا كله كلمة جارحة ، ومع ذلك كانت كلماته كأنها السياط . وعندئذ شعرت بأننى انتقلت الى المستقبل عشرين عاما فى غمضة عين ؛ فباركت الساعة التى حضرت فيها للحلاقة ... وبعد ذلك جاءنى يوما ذلك العامل نفسه مع زميل له طلبا لكلمات تشجيع لنهضتهم المباركة . وكتبت لهم كلمة . ولم أذكر له هذا الحديث لأننى كنت أذكره لأذكره يوما لقراء (الأهرام) . وإننى أذكره لأننى رأيت صورة ذلك العامل الكريم أمس فى الأهرام ، فهو « أحمد المصرى » وكيل الهيئة التنفيذية لحزب العمال المصرى .

فالعامل المصرى قد بدأ يتنبه للوجود ، وقد ارتفع ميزان كرامته ، وقد جعل يعتدّ بنفسه ومهنته مهما كانت — فإن كل

عمل شريف — وقد أخذ يضع قدمه بثبات على الأرض موقنا
بأن له الحق في ذلك ، وأنه عندما يطالب بتحسين حاله ورعاية
الدولة لحقوقه ليس مبالغاً وإنما هو في دائرة المعقول ، وهو أيضاً
قد تنبه الى أنه لا يجوز أن يكون آلة في يد الحكومة أو على
الحكومة ، وعند ما تصبح تلك عقيدة عنده ويأبى أن يستغل
باليمن والشمال لأهواء السياسة سيصل الى ما يطمح إليه من
احترام جميع طبقات البلاد .

وكل ما نطمح فيه ونتمناه أن يفصل العمال عن السياسة ،
فيكون لكل عامل الحق في اعتناق ما يشاؤه من المذاهب
السياسية ، ولكن ليحرص على أن يكون عاملاً قبل كل شيء .
وسوف تستغل حركة العمال ، ككل حركة نافعة ، من أناس نفعيين .



لا إسراف !

« السلام عليكم ورحمة الله . وبعد : أريد سرد حكايتي عليك ولكنها طويلة ، وتلخص في أنني من عائلة شريفة معروفة ، ولكنني متزوجة من منذ اثني عشر عاما ونعبي جدًا مع قريني ، وأريد التخلص منه بأي كيفية مع أنني ولدت له فتي سنه عشر سنوات ... ومات مني ولد آخر ، وعندى فتاة في نحو الخامسة من عمرها . فما رأيكم يا نصير الفتيات والسيدات التعمسات ؟ هل أشكو الى الله أمرى أم اليكم تنشرونه في الأهرام ولكم مني مزيد الشكر .
مع هذا إذن بوسنة بعشرين قرشا للكنوب الشيخ الفاني والد شهيد المروءة أحمد عبد السلام وهذا الريال من مصروفى الخاص اذخرته هو وآخر للنعوسين والمعوزين لأننى شاعرة بمرارة فى حياتى فما بال الفقراء ! » . سيدة



أما شكواك يا سيدتى الينا فنحن نتقبلها لأن وظيفتنا هي أن نأسو الجراح ونضطهد القتلة .

ولكن رجاء اليك أن تكونى منصفة صادقة ، فلا تحملي زوجك الأوزار كلها . اعرفى أيضا عيوبك وراجعى بدقة وذمة وأمانة

تاريخ الشقاق وأسبابه ، وهل بدأ من جانبك أو جانبه ، وهل لم تكن هناك وسيلة لتلافيه .

إن كلمة الفراق ياسيدتى ، التى ترادفها عندنا كلمة الطلاق ، هى كلمة بشعة فظيعة جدًا ، تهتز من هولها الأرض والسماء . إن الأثم عند ما تخرج من بيتها ومعها أولادها أوليسوا معها هو يوم تلبس فيه الانسانية ثوب الحداد . فلا تستهينى يا سيدتى به ، وصبرا جميلا ، واذكرى دائما أن الدنيا لم تعودنا الصفاء . وأنها اذا منحتنا من دهرنا ساعة سعادة حرمتنا إياها بعد ذلك الليالى والأيام ... وما أسهل يا سيدتى ما يعمل الإنسان على تكوين حزنه وألمه وسأمتة وضجره ! ما أسهل ما نتصور المرأة خيانة زوجها اذا غاب عن مواعده مثلا ! فقد أوتيت المرأة خيالا قويا نتوالى عليه اللوحات السريعة سرعة المناظر السينمائية ؛ والمرأة الحريصة على سعادتها لا تستسلم الى الخيال ، ولا تجعل من الحبة قبة ، وتكون دائما هى المرأة الحنون ، تنظر الى الرجل على أنه مخلوق ضعيف فى حاجة دائما الى العطف والصفح والحب ، فلا تذخر فى ذلك عطفًا أو صفحا أو حبا .

ويوجد ياسيدتى فى كل رجل الطفل وفى كل امرأة الأم .
ونحن الرجال بحاجة أحيانا الى من يدللنا ومن يمسح رؤوسنا
بأصابع الحنان ، ومن هو أولى من الزوجة بهذا ! وهى التى نتسلم
الرجل من أمه وتولى بعدها تدليله ومعاشرته .

ان الشقاء يتطاير ياسيدتى فى كل مكان ، ومن كل نظرة ،
ومن كل كلمة . فتجنبي ياسيدتى المكان الذى تسمعين فيه
قيل وقال ، وتجنبي ياسيدتى النظرات الخائنة من النساء
والرجال ، واعلمى أنه لا يوجد فى الدنيا أشرف من أن نبذ
السامة والحزن عن نفوس من نحبهم ، وليس فى الدنيا أنبل من
تقديس البيت والحرص على أن تكون الأسرة كالعروة الوثقى
التي لا انفصام لها .

والآن تكلمى ياسيدتى . وفى هذا الحق الذى حاولت أن
أحيطك به أرجو أن تتفضلى اذا شئت بـث شكواك .

فى الحىة الزوجية

« لا أعر ف قط أنه نشأ بينى وبين زوجى خلاف جدى ، وأعر ف أنه لا تناقض فى المزاج بينى وبينه يصح أن يكون سببا فى الخلاف ، وكل الظواهر تدل على أننا أبق ما يكون أحدنا للآخر .

هذه هى وقائع المسألة : اقترنا منذ سنوات عديدة ، لذلك قد وصلنا الى النقطة التى يتحول فيها الحب بالمشاعر ، دون أن نشعر ، الى حب هادئ عميق ؛ ذلك الحب الذى يتولد عن اشتراكنا فى السراء والضراء ، وعن اطلاع كل منا على نفسية الآخر .

ومن المحقق أن هذا التغير الأساسى فى طبيعة الحب بين الزوجين يحدث بالتدرج وببطء ، وبدون أن يحاول أحدهما المحافظة على ظواهر الحب التى كانت بادية فى أوائل حياتهما الزوجية .

ولكن زوجى المحترم لا يطبق أن يحتمل بهدوء أى تفكير فى هذا التغير لامناص منه ، فهو يجاهد فى إبقاء « الرواية » التى لا بد من انتهائها ؛ بل يريد أن يحل مكانها رواية حب أقوى من الأولى ، وهو قوى الرغبة أن يدمج حبيبته فى زوجته .

الواقع إنه يريد أن يجعل فترة الغزل والتحبب ممتدة طول الحياة الزوجية ،

وما لذلك من نتيجة إلا أنه كدّر صفاء سعادته وسعادتي . إنه لا يزال يحبني
بالمعنى الأولى من الحب ، وأنا من جهة أخرى لم أعد أشعر بنيران الحب متأججة
بين ضلوعي ، ولو أنه لا يزال حائرا لكل ما يحوزه الزوج في قلب زوجته ، ولذلك
أرفض رغبته وأرفض أن يستمر على البقاء في مركز الحب أو العاشق لي ، فقد
خرجنا من دور عاشقين الى دور زوجين .

ول أن أقول ، وبواقفي كثيرين : إن سعادة إظهار الحب — بطبيعتها —
لا يمكن أن تدوم إلا زمنا معينا ، وإن محاولة إطالة هذا الزمن ليس من ورائه
إلا إحراق القلب بغير ضرورة

من هذا تراء مندفعين الى الصخور التي تحطم عليها سفن الزوجية لأسباب ،
على ما يلوح لأقول وهلة ، غير مقبولة شكلا وموضوعا .

فما رأيك أنت يا قاضي ... ؟
زوجة
من خريجات المجلات السنية



رأى القاضي يا سيدتي يقضى بأنك لا تحبين زوجك كفاء
حبه . وكنت أتمنى أن يكون الحال على عكس ما هو بينك
وبينه ، أي أن تكوني أنت لا العاشقة المفتونة المتهورة ،
ولكن الزوجة المحبة الحنون التي تجدد كل يوم ضروبا من الود

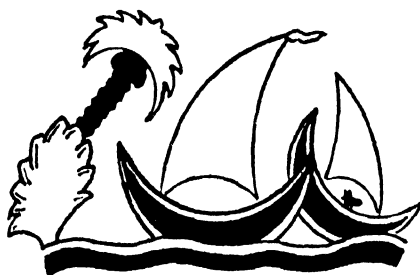
وألوانا من العطف ، لأن هذه هى وظيفة المرأة ، ذلك المخلوق
النوراني ، الرقيق الإحساس ، الحاد الشعور ، الذى ما وجد على
هذه الأرض إلا رحمة بنا ، ليزيل ما بنفوسنا من كآبة الأيام ،
ومرارة العيش ، ويملاً علينا فراغ الحياة ...

أتريدىن ياسيدتى أن ينظر اليك زوجك باعتبارك الزوجة
دون الحبيبة ؟ ! باعتبارك ربة البيت التى تطهى وتكوى وتربى
الأولاد وتستقبل وتزور وحسب ؟ ! أتريدىن ياسيدتى ستارا
من الملل يسدل بينك وبينه بدلا من أن يدخل عليك كل يوم
بالزهور والحلوى والعطور ... والبسمات ... والقبلات ؟ !

إن من سيئات الزواج الشرقى عندنا أنه يطفىء تلك الجذوة
المقدسة ، فلا تلبث بعد العام الأول أن يصبح الزوج فى ناحية
والزوجة فى ناحية ، كأنهما أصبحا يجتمعان على كره منهما تحت
سقف واحد ، ولم تعد تربطهما إلا ظروف المعيشة المادية .
والمألوف ياسيدتى أن يبدأ حب المرأة عند ما ينتهى حب
الرجل ، وهكذا نراك زاهدة نوعا ما لأن حب زوجك لم ينته
بعد ، وإنى أخشى عليك وعليه هذا الزهد .

انى ياسيدتى نصير الحب فى كل لحظة من لحظات الحياة،
الى آخر رمق فى الحياة، إبنى نصير الزواج الذى أساسه الحب .
وبقاء الزواج ما بقى الحب .

أسرعان ماشاخ قلبك وأنت فى نضارة الصبا؟ ! ألا فاحرصى
ياسيدتى على هذا الحب القوى الصادق المتجدد الذى لا يمل
ولا يتشاءب ، لأنه مازال فى عنفوانه ، وهو دليل حيوية وطبيعة
غنية ... وغداً ... غداً لا تلبث أن تأتى أيام الشيخوخة الطويلة
السقيمة ، وأماننا فيها مجال أى مجال للفتور والرزانة والتعقل .
وعندئذ بالله صدّقينى ، نعود فنعيش على ذكريات الشباب .



فى الحىاة الزوجىة

« قرأت أنشودة الزوجة التى يحبها زوجها حبا مبرحا ، وهى تريد إنهماء روىة الحب بسرعة . فها نحن نشهد عكس النظرىة ، فبعد أن كان السر فى فشل كثر من الزىجات هو قلة الحب المتبادل بين الزوجىن أصبحت المسألة الآن زىادة الحب عن القدر المناسب .

الزوج معذور اذا فاضت ىناىع قلبه المضنى ، فهو لا ذنب له ، ولا تستطىع قوّة أن تطفى شعله حبّه ، لكن الزوجة أىضا قد تعذر اذا هى خافت على نفسها أن تغرق فى هذا الطوفان ، فهى تعيش على الأرض لا فى السماء ، وللنزل مطالبه وللحياة تكاليفها ، وللزوجة نفسها واجبات عاىها تأديتها له ، واذا انصرف الاثنان الى هوى عذرى وطارا مع الملائكة الى سماء الحب ، فن للنزل يعنى بشؤونه ؟

الاعتدال فى هذه المسألة الحساسة أمر ضرورى ، ولا أقصد بالاعتدال إلا الحب العاقل الهادى الذى لا ىصل الى درجة التتىم . والظاهر أن حىاة الركوند التى انتابت الشرق هى المسئولة عن هذه الأمور ، فانّ تفرغ الزوج لأن ىلهم بزوجه ، على أنها دمية جمىلة محببة الى قلبه فىصىح ولا شاعل له سواها ، أمر قد ىدعو الى إتلافها . فالطفل عند ما ىحب قطنه يأخذ فى (شلىها ورزعاها) وعضها حتى تكره الحىاة ؛ وما هكذا ىجب أن تكون الزوجة الحىية .

وليس هناك خير من التغير في المعيشة : سياحة مثلا الى جهة أخرى ،
رياضة في الخلاء ، التلهى بعمل يشغل الزوجين معا كتعلم العزف على آلة
موسيقية أو أى شئ آخر يشغلها قليلا عن « كيوبيد » ، ويمنعه من أن يفوق
سهامه الذهبية الى قلبهما .

والواقع أننا في مصر مساكين : زواج من غير حب دائما لا ينفع ،
وزواج بحب يخشى عليه من الفشل . والأمر لله .

« مفرم »

وهذا رأى آخر جدير بالاعتبار ، فانه يفتح بابا جديدا
أمام الزوجين ليحول دون الاحتكاك المباشر المستمر الذى يلح
فيه الزوج وتزهده فيه الزوجة . يحول دون ما يسميه الفرنسيون
« Tête-à-tête » أى المسارة ووضع الرأس فى الرأس والأنف
فى الأنف ...

شئء إذا من الرياضة البدنية كلعبة «التنيس» أو السباحة
أو الموسيقى يدخل ألوانا بهيجة أخرى على الحياة الزوجية
ولا ريب .

ولكن لا بد لذلك من التعود والتدرج ، وأعتقد أن الاشتراك
فى أحد الأندية الرياضية من زوجين شئء لم نتعوده بعد وننظر

اليه باعتباره خروحا على التقاليد في حين أنه أنفع وأجدي
لصحة العقل والبدن من الزيارات والاستقبالات الطائشة
التي تجرى عادة بين السيدات عندنا ، وهي وخيمة العواقب
ماديا وأدبيا .



فى الحىاة الزوجىة

« القراء ىءعونك ىا سىءى بالقاءى ؁ وأنا أءرفك باءا نفسىا قبل أن ءكون قاضىا ىربط بالقواىن .

إنى مءقمة فى السن ؁ وقء نسءرب هءا ءصرىء من امراءة . ولكنة شعور بءأ عءى من سن الأربعىن ؁ شعور كان زوجى ىغذى بالنور والسءط ءى أصبء أنا — ءون سائر النساء — أرى ءقىمة سنى كبىرة ؁ بل مجسمة ؁ لا بل أكبر مما هى بكئىر .

موقنى هو عكس موقف السىءة الءى ءاءء ءشكو الىك زوجها لأنه ىرىء أن ىءعل منها زوجة وءىبة معا . أما أنا فأشكو الىك أن زوجى قء أصبح لا ىاءلنى الحب لأننا أصبحنا عءازء؁ أسءفر الله ؁ بل هو ىءنى ولكنة لا ىىاءلنى ذلك الحب القوى الشاب الذى كنء أراء منه ءىن كنء صبىة ؁ والذى لازلء أءرص عله رغم أنى مءقمة فى السن .

قرأء كلءك الوم فى « الأهرام » الذى ىءصره زوجى معه كل ىوم ؁ وكنء أوء أن أسقىن أن زوجى قء قراءها . ءأءرء بها رعم كبىرى ؁ وأرجو أن ءكون الزوجة الشابة قء ءأءرء بها هى أىضا . وقء بكىء بءموع غزار ءىن وقءء على العبارة الآءىة فى مقالء :

« ... وغدا ... غدا لا تلبث أن تأتى أيام الشيخوخة الطويلة السقيمة ،
وأما منا فيها مجال وأى مجال للفتور ... » .

أنا كبيرة السن . والأستاذ الصاوى ، الذى هو سلوكى هذه الأيام بما
يطالغنى به فى «الأهرام» ، يعترف مع زوجى بأن كبير السن لا حق له فى المتعة
ولا خير له فى الحياة . ولكنى لا أعترف إلا أن الحياة هى شباب النفس .
أما غضون الشيخوخة فماء الشباب يروىها ، والحب يماؤها ، والحياة تخرج فيها ،
فاذا بها قد استلانت واشتدت . ولا أرى للانسان غير حياة وموت : حياة
يحيا فى ظلها الشباب والحب ، ويمتنع بشبابها الشاب والعجوز ؛ وموت يطوى
فى قبره الشاب الى جانب الهرم لا يفرق بينهما . وإذا كان الموت لا يفرق بين
الصغير والكبير ، فكيف تطالبون الحياة بأن تنجس العجوز حقها على حين يتمرغ
الشباب فى متاع تلك الحياة ؟

ترى ماذا يكون تعليقك على رسالتى ياسيدى ؟ ! آه ... أترانى أهدى أم
أحلم ؟ ! أكون نصيبها خيرا من سلة المهملات ؟ ! . هكذا تقابل الشيخوخة ! ...
إذا كان زوجى الشيخ لا يعطف على شيخوختى ، فهل أجد هذا العطف
فى شاب يحب أن يتحدث عن الشباب للشباب ؟
عجوز عطشى



إننى أعترض مبدئيا يا سيدتى على وصفك نفسك بأنك

عجوز . فالمرأة لم تعودنا المبالغة في سنها ، والشابة تعدّ نفسها عجوزاً ، كما أن العجوز تعدّ نفسها دائماً في ربيع العمر .

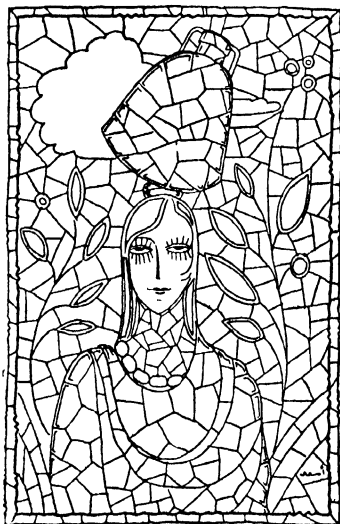
وأنا أفهم اعتراضك وأتقبله متسائلاً : أيعرف الشباب حقاً ما هو الحب الى جنب ما يعرفه الشيوخ ؟ ! ما أكثر ما يكون حب الشباب عبثاً ولها ولعباً بالنار ! ما أكثر ما يكون حب الشباب من هواجسه وأحلامه ! يكون من نفسه لنفسه السالب والموجب معا . وقد عرض لهذا الموضوع الكاتب اللبق «بول جيرالدى» في رواية « الحب » عند ما قال : « إن الفتاة في سن العشرين لا تعرف ما هو الحب ، وإن هذه العاطفة المقدسة لا يمكن أن توصف هذا الوصف إلا عند ما يتم تكوين عقل المرأة وجسمها ، أى في نحو الثلاثين » .

فاذا كنت أنت يا سيدتى محبة بكل معانى الحب فانت عند وظيفة المرأة ، تؤيدى ما خلقت له ، ويجب أن تحمدى الله على أى حال لأن زوجك يحبك ، وإن كان بداهة وهو فى الخمسين غيره وهو فى العشرين . حبه الآن هو حب الطمأنينة الساحرة من اضطراب الشباب وانفعاله ، وهيجته ولوعته ، وفورته

وغيرته ، حب رزين منسجم صادق مستمر ، مع ذلك يخطر

ببال صاحبه فى الحين بعد الحين قول شاعرنا :

أواه لو عرف الشبا ب وآه لو قدر المشيب



زواج الصغرى

الى أى حد يجوز للوالد أن يحول دون زواج ابنته لأن
أختها التى أكبر منها بعامين أو ثلاثة لم تتزوج بعد ؟
هذا سؤال يختلف الجواب عليه اختلافا كبيرا ، وقد وجهته
الى الكثيرين قبل أن أثير هذه المسألة التى هى مع ذلك ليست
عويصة الى هذا الحد .

لى صديق طبيب شاب من أسرة شريفة معروفة ، أحب
فتاة ليست أعلى منه حسبا ولا أكثر مالا ، وتربطه بأسرتها روابط
صداقة قوية . تمنى أبوها لو تزوج الصديق الطبيب من ابنته
الكبرى ، ولكنه أبى كل الأباء أن يزوجه من الصغرى ، التى
يميل فعلا إليها ، بحجة أن فى ذلك مهانة لا يرضاها للكبرى ؛
مع أن الفارق بينهما فى السن لا يتجاوز ثلاث سنوات . وكانت
النتيجة سيئة على الحائنين ، فلا الكبرى ولا الصغرى
تزوجت منذ عامين الى الآن ، ولا ينتظر أن يتزوجا فى وقت

قريب لأن إقبال الشبان على الزواج ضعيف جدا لعوامل عديدة سبق أن تعرضنا لها ، ولا حاجة الى إثارتها من جديد . ثم إن صديقي هذا الذى كان مثالا للشبان ولم يشرب الخمر فى حياته قد شر بها بعد تلك الصدمة المؤلمة ، وللخمر ما وراءها . وقد حاولت عبثا أن أعزيه فكان لا ينفعه العزاء . فانظر إذن الى أى حد تكون التقاليد وبالا على أسرتين وتكون حائلا دون تشييد بيوت كريمة تقوم على الحب الطاهر والتفاهم الشامل ، لأن صلة الأسرتين كانت ولا تزال متينة لم تفصم عراها هذه الصدمة وإن كانت قد مزقت قلبين .

فهذا الوالد المتعصب إنما يسىء الى ابنته الصغرى إساءة لا محل لها ، لأنه يحرمها رزقا حلالا ساقه الله اليها وليس بالرزق الضئيل . لأن طبيبا يربح خمسين جنيها فى الشهر ، ولما يمرض على تختجه فى كلية الطب عامان ، له مستقبل بسام بغير نزاع .

وأمامنا حوادث عديدة تدل على أن كثيرات من الفتيات قد عشن عوانس فاتتهن سن الزواج وحرمن الى الأبد الحنان

والحب والأمانة بسبب هذا التعصب لتقاليد ليس لها وزن
ولا قيمة أمام العقل السليم .

مثل هذا الوالد إذاً مخطئ مسيء ، لأنه يقتصب سعادة
فتاته باسم أختها دون أن يكون له أولأختها الحق في هذا
الاغتصاب . فهو آثم إذاً في حق الأبوة ، وفي حق المجتمع ،
وفي حق الفضيلة . .



خذوا عن السودان !

وقف صديقتنا الكاتب المحبوب الأستاذ فكري أباطه المحامى يحاضرنا فى الجامعة الأمريكية عن مشكلة الزواج فقال :
إنه مضرب عن الزواج لأنه رُفض أربع مرات . أول مرة أراد أهلها « جاردن سيتى أو هليو بوليس » لا الزقازيق محل عمله .
والمررة الثانية أرادوه قاضيا موظفا لا محاميا حرا . والمررة الثالثة أرادوا أن تدخل الفتاة لصغر سنها عند أهلها لا عنده وحده .
والمررة الرابعة، وهى بيت القصيد وفضيحة للأخلاق العامة، أنه اتفق على كل شئ وتحدد (كتب الكتاب وتعليق الجواب) فما شعر إلا وقد جاءته قبل الموعد بأسبوع دعوة لعقد زواجهما من شاب أغنى منه !

ففكرى أباطه الذى يكتب بهذا الأسلوب العذب ، ويتكلم بهذا اللسان الفصيح ، وهو أخف الناس روحا ، ومن أشرف العائلات المصرية العريقة ، وهو حائز لشهادة عليا، ويتولى

عملا نبیلا یدر علیه خیرا کثیرا ، وهو بعد هذا كله رجل کامل
الرجولة ، یتفق معه علی کل شیء ثم ینحان عهده من أجل
عشرة أو عشرين جنیها فی الشهر ، ومن أجل مائة جنیه زیادة
فی المهر . یا للعار !

ولسنا فی هذا الصدد بحاجة الى ضرب الأمثال للناس
من الغرب دائما ، فما زال الشرق بحمد الله مصدر الحکمة
والنور . والیوم نتلقى مصر عن السودان درسا بلیغا جدا ، فإن
عینا من أكبر أعیانه ، وسیدا من أشرف ساداته ، وغیا من
أعظم أغنیائه هو السید عبد الرحمن المهدی قد احتفل
فی ۲۵ نوفمبر بعقد قران نجله السید الصدیق افندی الطالب
« بکلیة غردون » . وقد رغب سیادته فی تجدید سنة النبی
صلی الله علیه وسلم فی تسهیل الزواج بتقلیل قیمة الصداق ، فمهر
عروس ولده ، وهی ابنة شقیقه ، یجنین (۲۰۰ قرش !!)
تضاف لیها ثلاثة جنیها رسما للجهاز .

والظاهر أن هذا العمل أحدث فی نفوس الحاضرين
أثرا عظیما ، وكان أكثرهم ممن ینتمون الى أسرة المهدی بالروح

أو بالدم، وقد أحجموا عن الزواج بسبب غلاء المهور، فاتهزوا فرصة هذا الحادث وأخذوا يتبارون في مصاهرة بعضهم بعضاً .

قالت « حضارة السودان » وهى الجريدة التى روت هذا الخبر : « وفى هذا المجلس تم عقد الزواج المبارك لـ ٤٥ شاباً، وقد اتصل بنا والجريدة ماثلة للطبع أن العقود استمرت ليلة البارحة حتى وصلت الى ٥٥ عقداً، ولا تزال مستمرة الى صباح هذا اليوم السبت ٢٦ نوفمبر ١٩٣٣ » .

فانظر إذا الى هذه المناقصة النبيلة بين هؤلاء الأشراف الكرام الذين اتبعوا سنة نبيهم، ولم يجعلوا المهر والجهاز غرض الحياة الزوجية، وإنما هو سنة لا إرهاب فيها ولا تعجيز معها، ولم يكن المهر يوماً من الأيام أو الجهاز ضماناً للسعادة .

نحن نخجل إذا من المزادات التى تقام بين العرسان لتخاطف البنات، ونأبى حفظاً لكرامة بناتنا ولكرامة أشرف رابطة فى الوجود أن يكون شأن الزوجة فيها شأن ايجار الأطنان

فى الدوائر أو شراء الأثاث القديم يدق على بابه ناقوس ، وىنادى
عليه المنادى .

وهنىئاً للسودان هذه الحضارة الجديدة التى يرسمها للشرق
كله ، ونرجو أن تأخذ مصر منها نصيباً ولا تنجبل ، فما برح
السودان شقيقها ، ومن مفاخرها أن تأخذ عنه حيناً وياخذ
عنها حيناً آخر .



شيخ العزوبة

هل يكون الكاتب يوما ما في إجازة فعلا ؟ أغنى هل يكف عن التفكير في قرائه ولو سكت عنهم وظل فترة من الزمن لا يخطط لهم حرفا ؟ كلا ، لأنه في تلك الأثناء يقرأ وينظر ويتأمل ويختزن لهم في زوايا نفسه وخبايا فكره ما سوف يطلعهم عليه بعد حين . فما أخذه منهم اليوم يدفعه لهم غدا مضاعفا . وإني لمدين لطائفة طيبة منهم تكلمت على بالرسائل حتى اليوم الأخير من إجازتي كما في يومها الأول . وكنت أحسب أن الكاتب لا يكاد يسكت حتى ينساه قرائه فلا يسألون عنه غاب أم حضر ، أقبل أم هجر ، عاش أم مات ! ...

أليس البعيد عن العين بعيدا عن القلب ؟

هذه هي الحال عند الذين يأخذون بالظاهر ويتعلقون بالحاضر ، أما الذين يغزون القلوب بإخلاصهم وولائهم فإنهم في القلب مهما بعدوا . والقصص القديمة تروى لنا حكاية

« بنيلوب » التى غاب عنها زوجها « عوايس » وتكاثر عليها
طلاب يدها للزواج ؛ وهى تعتذر اليهم تارة وتمنيهم أخرى ،
وتعدهم بأنها ستختار منهم واحدا عند ما تفرغ من تطريز نجم
بدأت بتطريزه على قميصها . وظلت تفتق فى ليالها ما تحيكه
فى نهارها حتى عاد زوجها الحبيب بعد عشرين سنة . لهذا ضرب
المثل بإخلاص « بنيلوب » .

وهذا « قيس » ، أو لم يظل ينشد خيال « ليلى » فى رمال
الصحراء التى لا نهاية لها حتى أضناه البعاد وأفقده الرشاد ،
وهى ما زالت ملء نفسه حتى الرمق الأخير ؟

وهذا « عنتره العيسى » أو لم يظل يحب عبلاه وينشدها
ويراها فى ميدان القتال فى الوقت الذى لو غفل فيه لحظة
واحدة لطاح رأسه ، فىرى صورتها على حدة سيفه ، ويخيل اليه
أن لمعانه من لؤلؤ ثناياها ، وأن دم الأعداء من حمرة شفيتها ؟
ففى الصداقة والمحبة يجب أن نمضى الى أبعد غاية ، لأن
هذا هو الذى يشعرنا بأننا إنسانية حساسة تنبض قلوبها

بالحياة ، بالحياة الحافلة الموفورة ، فتتغزل فيها ولا نعيش على هامشها ، فالحياة كما يقول « دزرائيلي » : « قصيرة أقصر من أن تكون صغيرة » .

وبضع الرسائل التي وصلتني من قرأتى أثناء عزلتى وراحتى قد أشعرتنى بوجود تيار روحى بينهم وبينى . وهذا التيار هو الذى يجعل الكاتب يطمئن الى أن من حوله عناصر طيبة كريمة يقظة ، ويشعر الكاتب بأن له من قرائه أسرة تحبه وتحوطه بعطفها وحبها وتذكره ، ويشعره فوق ذلك بأن عليه دينا واجب الوفاء لهذه الأسرة .

وفى هذا الوفاء أيضا هناء الكاتب ، لا ، إن كلمة الهناء كبيرة جدا، أريد أن أقول : عزاء الكاتب ، مهما كان مشغول البال أو شقى الحال . أليس مما يدعو الى الابتسام ذلك السؤال الذى جاءنى خلال إجازتى : هل يكون سكوتى راجعا الى أننى فى شهر العسل ؟ ! وردى على ذلك اننى اليوم أبعد عن هذا الشهرمنى فى أى وقت مضى . وعلى العازب أن

يحب عزوبته، وعلى المترج أن يحب حياته الزوجية . لأن
الضجر والتأمل من إحدى هاتين الحياتين هو سر الشقاء .

إنى غيور من صديقنا العلامة الكبير أحمد زكى باشا
«شيخ العروبة» وأريد أن أكون يوما ما شيخ أى شىء، ولو
«شيخ العزوبة» ! ...



النصف الأفضل

« رأيتك مغرماً بالعزوبة وبتريد ذكرها ، ورأيتك يوماً تتنى أو أصبحت شيخها . وأنا فرد من الناس معجب بك متتبع قولك مرسوم خطاك . ولكن لما أن رأيتك تسأى بجانبك عن أن يكون لك زوجة لم أسلمك قيادى ولم أرض لنفسى أن تصوى تحت شياختك ، إذ لم أفهم للآن ما تنطوى عليه سريرتك نحو حليلة تشاطرك حياتك وتمهبا قلبك . وأنت على ما أظن لست بالمحب الذى يرى فى الزواج مقبرة لحبه ، ولا بالعاثب المستهتر الذى يرى فى ميادين النساء ما يصده عن الاستئثار بواحدة منهن ، إن أضحكته يوماً فقد تبكيه أياماً . ولا بذلك الذى يرى البيت حائلاً بينه وبين الناس ، فلا أخذ ولا رد ، ولا بحث ولا تقييد ، ولا تلهس أسس السعادة وأساليب الحياة الصحيحة التى طالما أجهدت أعصابك من أجلها ياسيدى الأستاذ ... أنت مقبول شكلاً ، ولو كنت لم أطلع اليك وأرى صورتك إلا على صفحات الجرائد . وأنت عبقرى نافع فلا يمكن لمسألة اجتماعية — وأنت الاجتماعى الكبير — كمسألة الرابطة الزوجية أن تتعارض مع طبيعة نفسك حتى تتطلب شياخة العزوبة وتمناها بحرارة . أنا أثق بأن امرأتك سوف تحبك ، وسوف تفسح أمامك ميدان المجد والشهرة ، وأنت ولا شك ممن يحسنون الاختيار ، فخذها عربية أو أنجمية وإلا فاشرح

ن ... فإما (علبة ملابس) على قدر الحال تفوز بها منى وإما أن أتبعك للنهاية ،
ويكفينى عزاء ، أنى أتبع شيخا يَحترق للمرأة ويهافت عليها ويدوب من أجل
سعادتها وجمالها ، وهو منها كما قال أبو نواس :

* فى كفه الكأس يهواها ويخشها *

الابراهيمية دمل : سيد اسماعيل صبحى



أريد أولا أن ألفت نظر أنى الأديب كاتب هذه
الرسالة الرقيقة البليغة ، الى أنى لست لسوء الحظ أو لحسنه
« شيخ العزوبة » فى أسرة « الأهرام » ، فإن فيها أساتذة لنا
وأصدقاء وزملاء يتجاوزون العشرين عدا ، وكلهم من العزاب
المتعصبين ...

أما عن نفسى ، فأقول لكم الحق اننى رجل لا يهمنى جمال
ولا علم ولا مال ، فقد رأيت من هذا كله الشئ الكثير
ولم يغرنى ، لأننى من ذلك النوع البوهيمى الذى يظل عنيذا
كأنه أصم أعمى ، وهو مع ذلك يشعر بكل شئ ، حتى تمر
فى حياته امرأة ، امرأة واحدة ، فيرتجف وينتفض انتفاض

العصفور بالله القطر ، ويسلمها حياتة ويسلمس لها قياده .
وسواء لديه سارت به الى الصدر أو الى القبر .

أما إن كانت تلك المرأة قد مرت في حياتي أو لم تمر
بعد ، فهو الوجه الوحيد من المسألة الذي أخفيه عنك وعن
كل الناس ، لأنه لا يهم أحدا سوى .

وفي «الميتولوجيا» علم أساطير الأولين : أن « چوبيتير »
رب الأرباب خلق بادئ بدء آدم وحواء في جسد واحد ،
وعندئذ ظهر له أنه قد خلق خالقا مثله يلد وينشر الذراري
في الأرض ، فغضب وفي غضبه فصل آدم عن حواء بضربة
واحدة ، ومن ذلك اليوم ظل كل انسان يبحث عن نصفه الآخر .

وفي سبيل هذا النصف الآخر نجوب الأرض ، ونرحل
كالعرب ، ولا نستقر على حال من القلق حتى نجده ، اذا لم نكن
قد وجدناه ، وحتى نتعزى عنه اذا كنا قد فقدناه .

أما بعد ، فأرجو لك الله يا أخى أن يتم نعمته عليك ، وأن
(يلمك ويلم) كل حائر على نصفه الأفضل !

الزوجة الموافقة

رأيت في حفلة الجمعية الدولية لرعاية الطفولة ، بحديقة
الأزبكية سلساً حديداً ضيقاً مكوناً من عشرات الدرجات ،
منصوباً في الهواء الى ارتفاع سبعة وثلاثين متراً ، فكأنه
يناطح السحاب . وتحت هذا السلم حوض من الزنك
مرتفع الجوانب ، عرضه متران ، ممتلئ بالماء الى حافته ،
وحوله حراب مديبة .

وتجئ امرأة جميلة فتصعد الى منتصف السلم ، ويحيىء
رجل فيصعد الى منتهاه ... وتلقى المرأة بنفسها في الماء ،
ويتبعها الرجل بعد قليل من ذلك العلق الشاهق الهائل الذي
ترتجف منه فرائص المتفرجين ! ...

قلت : سبحان الله الذي وفق رجلاً للحصول على زوجة
توافقه على عقله ، وتوافقه على جنونه ! ... أليس الصعود على
ذلك السلم الذي لا آخر له هو رمز الجهاد في معترك الحياة ، هو

رمز التعاون على الخير والشر ، على السراء والضراء ، على أكل
الخبز بعرق الجبين ؟ !

ومثل هذا المنظر قد شهدته في لندن منذ سنوات . تصوروا
رجلا يابانيا قد أوقف امرأته أمام لوحة ، ثم أخذ يرشق
اللوحة بالسكاكين حول جسم المرأة من ذراعيها إلى رأسها إلى
عنقها ليرسمها بهذا على اللوحة ، والمرأة لا ترمش لها عين مع أنه
لو حادت السكين مليمترا واحدا لأودت بحياتها ، وكان هناك
مئات الانجليزيات اللواتي لا يصبرن عادة عن الصياح لأقل
صورة في (السينما) قد لزم الصمت حتى صار المسرح كالقبر .

مثل هذا التعاون في الحياة هو مثال مجيد للذين يضعون
العقبات في سبيل أنفسهم لأنفسهم ، ضيق وخطر كساعة
إلقاء النفس من أعلى السلم الى حوض ماء صغير ، أو ساعة
رشق المدى ، أو ما شابه ذلك ... هذه الساعات يجب أن
تجمع القلوب وتزيد وحدتها وتقوى عاطفتها بدلا من أن تفرق بين
أصحابها . وعلى المرأة أن تحب في الرجل الذي ارتضته شريكا

لها ساعات جنونه أيضا ، إذ لا يجدر بها أن تكون من الأنانية
بحيث نتمتع بطيبة قلبه وعذب حديثه وثمره جهده ، ولا
تكافئه ، في الحين بعد الحين ، تسامحا عن نزواته الطائشة ، بل
وحبا كريما لحال الضعف هذه التي تطرأ عليه بما اكتسبه
في دمائه عن أسلافه ، وبذلك لا تكون الزوجة فقط ، بل تكون
الأم أيضا .



جنة البيت

طالما تحدثنا عن محيط البيت الذى يجب أن تؤلفه المرأة مطبوعا بطابع شخصيتها، وقلنا أن لوحة زيتية أو بالطباشير الملون أو بالحبر الصينى أو بقلم الرصاص فى ركن من أركان الغرفة تجعل لهذا الركن معنى ، وكذلك الأشغال اليدوية . وإلى هذا كله نجد أن العناية بذلك تعد، فضلا عن الفائدة المادية ، رياضة نفسية ثمينة .

سكنت مرة عند أسرة سويسرية ألمانية فيها فتاة تناهز السابعة عشرة . فى الصباح تساعد أمها فى تنظيم الأسرة وترتيب البيت . وتخرج مع عمته إلى السوق لتدرس البيع والشراء وتتمرن على الأخذ والعطاء . وتعود لتجلس إلى كتب القانون ساعة وبعض ساعة . وبعد الغداء تأخذ فى التصوير على (شال أو كيمونو) فتجعل القماش التافه قطعة فنية قيمة يدفع فيها جنيهات . وفى الأصيل تعزف على (البيانو) وتقرأ

فى الأدب والفلسفة أو تفصل ثوبا أو (يجمام) . لا تزور
ولا تزار إلا لما ، مرة كل خمسة عشر يوما على الأكثر .
وكنى أسكن عندهم مع شاب انجليزى هو آية فى جمال الخلق
والخلق ، يجمىء أو يخرج فلا ترفع رأسها أو تنظر وتلتفت .
فاذا أقبلت عليها تحدثها نهضت فى أدب وابتسام وخفىفت
القلوب . يستحيل على « دون جوان » أن يجد عيشا عندها
ولا ماء . لم تكن بحاجة الى (الليسانس) فى القانون لأن لها
فى المصرف خمسة آلاف جنيه ، ولكنها لا تجد معنى لضياع وقتها
وعدم تنوير فكرها . ففى العمل وحده هناءتها . وعند ما تفتح
باب المسكن تجد الجدران مغطاة بصور من ريشتها ، وتجد
الدمى فى أثواب فضفاضة من طراز لويس الرابع عشر قد
اضطجعت على الأرائك والمقاعد تنظر اليك من تحت
أهدابها الطويلة كأنها تريد اختلاس أسرارك ! ... هذه
الدمى هى أيضا صنع يدها . وهى تحبها وتداعبها وتجلس
أحيانا لتحدث إليها وتسرها النجوى ، ونجواها بريئة . انها
حتمًا تنتظر الرجل مثل كل فتاة ، ولكنها تنتظر الزوج لتحبه .

تقول ان حبيبي هو زوجي ، أما الذي يضمن علي باسمه فاني
أضن عليه بقلبي . وهي لا تجلس الى النافذة ثلاث ساعات ،
ولا تقضى في الشوارع ثلاث ساعات أخرى ، ولا تقضى
في الزيارات (البائخة) ثلاث ساعات أيضا ! ... انك تجد أحيانا
فتيات في الطرقات كأنهن تأهات ، كأنهن هاربات من بيوتهن ،
كأنهن ينكرن وجود أهلهن ، كأنهن يبحثن عن شيء مجهول ، عن
رجل مجهول ، يتخبطن بين المحلات التجارية ويشتري أشياء
تافهة ويرجعن الى البيت بقطعة من (الدنتله أو مترين من
الركامة أو زجاجة كولونيا) وقد لا يكون بهن شيء فيذهبن الى
الطبيب متمارضات لفتح لمن فرصة الحديث . ومثل هذا الفقر
الأدبي يرثى له . ويحسن بالكريم أن يخفي جوعه . ويخفيه
بين جدران بيته . ويأخذ بالمسليات النبيلة التي تجعل الزمن
يمر بلذة وفائدة ومتاع وثقافة ... أعود فأقول :

الموسيقى وشغل الابر والتصوير والمطالعة ... فإذا كان
للقناة أخ صغير وعينت بتعهده وأشرفت على تربيته ، ووجدت

مزاجا فى تهذيبه بدل (تدابعه) ، فانها تكون قد جمعت الفضائل
المنشودة فى الفتاة الجديدة العصرية ، الفتاة الجادة الأمانة
الطاهرة ، لا الفتاة الهازلة الهزيلة التى تهز وسطها فى حلبة
رقص قبل أن تكون قد عرفت أو عملت من كل ما ذكرنا
شيئا .



أثاث البيت

نقرأ أحيانا ، ان لم يكن كل يوم ، في جريدة يومية
(حجوزات) توقعها المحال التجارية الكبرى على أسر كريمة ،
ونقرأها تحت عنوان كبير : « بيع منقولات » . وتحديد اليوم
والساعة والمكان ... الخ .



وهذا محزن حقا ، ولكنه درس بليغ لمن يغالى فى شراء
الأثاث والملابس ، فما زالت البيوت المصرية تحرص على
الاستراة من (الموبيليات) ومن الأقمشة ، وهذه قاعدة قديمة كما

نرجو أن يأتي عليها التقدم العصري ويطلها ، فهي تتنافى مع ضرورة الاقتصاد أولاً ، ومع الذوق السليم ثانياً . وليس أمراً على النفس من أن تستدين الأسر الكريمة ثمن الفراش الذى قد لا تكون فى حاجة إليه كله ، فهي قدرت لنفسها المقدرة على الدفع من حساب أطيان لم تدر عليها شيئاً . ولم ترحمها تلك المحال التجارية رغم ما كانت تبديه لها من الصداقة والوداد .

بجميع الذين يسترون بضاعة كثيرة ، أو يترجون يفرشون بيوتهم بالدين على أقساط ، يخطئون خطأ فاحشاً لا سيما إذا كانوا يعتمدون على ايجار أطيان أو بيوت ، لأن ايجار الأطيان الآن أصبح كالعدم والبيوت قد تخلو فى تلك الأثناء وتظل خالية وتستحق الأقساط ويقع المدينون فى حيص بيص فما بالك إذا كانا عروسين بنيا عشمهما الجميل على هذه الطريقة ! إن مجرد وقوع حجز كالذى ذكرناه يعد كفيلاً بالقضاء على الحياة الزوجية .

وكثير من الناس عندنا يشترى أثاث بيوتهم دون دراسة فنية ، فلا يعرفون ضرورة انسجام حجم الغرفة مع لون الحائط ونوع الأثاث . بل مع موقع البيت نفسه وشكله وحجمه إذا

كان (فيللا) أو شقة . بل هم يأخذون الأمر (جهجهون) فيخطئون . وقد تطوّر الذوق العالمى حتى أصبح الأثاث الآن لا يشتري من صنف واحد ، بل يُجمع فيه بين القديم « الكلاسيكى » وشئ من الحديث غير المتطرف . والبيوت العريقة لا تحب شكل الأثاث الجديد ، والانجليز أنفسهم لا يفرشون بيوتهم ، ولا سيما غرف الطعام ، إلا بالطراز الانجليزى العتيق الذى يشبه القروى ، وهو دون شك جميل جدا وله لون مستحب ترتاح اليه النفس . وكل هذا الأثاث ليس أغلى الأثاث ، ولكنه أكثره ذوقا وألفه وآتقه ويجوز أن يوصى به الصانع المصرى الماهر ، طبقا للكتالوجات الأوربية . وليس عارا أن يننى الخطيبان يتهما مقعدا مقعدا ، ويشتريا اليوم منضدة وبعد أسبوع أو شهر سريرا ، وهكذا حتى يتم الأثاث ، وانما العار أن تتغلب (النفخة) الكاذبة والغرور فيشتري فرش البيت كله بالدين والتقسيط ، وبعد شهرين أو ثلاثة يحجز التاجر عليه ويبيعه أمام العدو والحبيب ، وينشر ذلك فى الصحف ويعلنه على المارة فى الطرقات بواسطة ذلك (الشيال الأعمش الكلاسيكى) أيضا الذى يدق الجرس ويقول : (حراج . . مزاد) .

جيل وجيل !

أنظر الى سيدة مصرية تسير وفتاتها في الطريق ، تندهش
للفرق الهائل بين الأم والبنت ، في الزي ، في الحركة ، في النظرة ،
في الجسم كله ...



هذا هو الفرق بين ذريتين : ذرية كانت صالحة
متواضعة بسيطة تحب البيت وتعبد الرجل وتثق بالله في الشرف
والولد ... وفتاة اليوم تتمرد على غير أساس ، الثورة في روحها

بالرغم منها ، لانها نتيجة حتمية لتطور الأيام وتقدم الصناعة والحضارة والاندفاع فى الحرية . توجد فتيات تنطق عيونهن بما يحير العقول والأفهام ، فى نظراتهن معان مدهشة للخيرة والتذمر ونفاد الصبر والرغبة فى الانطلاق ، وأحيانا الرغبة فى استمرار التضحية . هؤلاء الفتيات معذورات لأنهن أدركن أشياء شعرن باستحقاقهن لها مع حرمانهن منها .

الزى قد تحول من ثوب أسود يضرب على البدن ، كأنه سجن لا نوافذ فيه ، الى ثياب خفيفة، بهيجة ملونة أنيقة ...

الرأس — وكثيرا ما يكون رأس المصرية جميلا — كان يلف فى منديل أو يغطى بالملاءة أو بالطرحة أو بهذه كلها . أما الآن فقد أصبحت (البريه) المעوجة الى جانب تكشف ثلاثة أرباع الرأس ، وتحسر عن الشعر المعتنى به ، فتزيد جمال الرأس وتصغره حتى كأنه رأس الحمام ! ...

الحركة ، كانت بالأمس مضطربة نجمة تتعثر بها القدمان ، أما الآن فالفتاة تسير وتعرف أنها تعجب الناس ولا تهتم ولا تكثر ، وهى بذلك تزداد فتنة .

الجسم ، كان كآلة واحدة من الشحم واللحم لا تناسق فيه ، لا تعرف الحصر النحيل من الردف الثقيل . أما الآن فالفتاة تلعب الألعاب الرياضية ، وتسير في الهواء الطلق ، وتستحم في البحر . وهذه كلها تزيد في صحتها واستعدادها باعتبارها أم المستقبل .

أما الفكر فهو أعظم ما تطور . بالأمس كانت المرأة المصرية تأكل مع ضرتها وحمااتها وأخت زوجها (ثلاث مصائب !) في صحن واحد . كان الرجل سيدها ومولاها ، اذا دخل ساد الصمت ووقفت نساءه كالجوارى بين يديه في ذل وخشوع ؛ أما اليوم فالفتاة المصرية تجلس بحضرة أبيها كأنه صديقها ، ليست قليلة الحياء ولكنها موفورة الكرامة ، وهي كثيرا ما تستحق التقدير والتكريم . مثال ذلك فتاة اليوم ، بطلة اليوم ، أستاذة اليوم : الأنسة نعيمة الأيوبي التي حازت (ليسانس) الحقوق وقدمت طلبا لقيد اسمها في جدول عموم المحامين ؛ وهو حادث فذ في تاريخنا الاجتماعي .

ثمر الحرية

فى البلاد التى تحبو الى الحرية يكثُر التزعزع الاجتماعى ، كالرجل الذى يظل محجوب البصر بعد عملية جراحية فى عينيه ، لا يستطيع أن يواحه النور ، فهو فى حاجة الى بصيص ضئيل ، يتزايد شيئاً فشيئاً ، حتى يحىء يوم يواجه فيه الشمس الساطعة .

مثل هذا ينطبق على بلادنا فنحن فى دور تطوّر عنيف خطير ، تنقلب فيه تقاليدنا حتى تصبح فى بعض العيون ماثراً للضحك ، فى دور تحول كالفقى فى سن المراهقة . مثل هذا الدور بحاجة الى التبصر الشديد لأن الحضارة التى ننشدها يجب أن نفهمها لتدركها . وفهمنا لها الآن غامض ، لأننا نعيش أفراداً لا رابطة لهم ولا صلة بينهم . الأم لا تفهم البنت ، والأب لا يفهم الولد ، والزوجة لا تكاد تعرف زوجها وتذكر من عمله وماله وفكره شيئاً ، تعيش مفككين ، نعيش كالأشلاء المبعثرة .

لذلك لا يسع المتتبع لتطوّر المجتمع المصرى إلا أن ينظر بإشفاق الى ما يراه من إسراف فى التبذل . وليس « ستانلى باى » إلا من رموز هذا الإسراف ، لأنه الآن مجتمع فى نصف دائرة ستانلى باى ، ولكنه غدا ، بعد انقضاء الموسم ، ستسرى روحه فى كل مكان ، سيكون بمثابة عملية تلقيح واسعة الأطراف . إنه تلقيح بالداء لا بالدواء .

المرأة الأوربية التى تقلدها اليوم الفتاة المصرية هى امرأة من بلاد عريقة فى الحرية ، حرية اشترتها تلك البلاد بدمائها ، وكانت فى مقدمة الصفوف النساء . والمرأة الأوربية تعرف كيف تنظم بيتها ، وكيف تطرز ثوبها ، وكيف تعيش بالمليم والذائق ، وكيف تربط ميزانيتها ، وكيف تربي الى جانب هذا كله وقبل هذا كله ولدها . فهى اشترت حريتها بثمن باهظ ، اشترتها بما بذلته من دم وتضحية وجهاد . إنها اشترت الحرية على مدى أجيال . أما هنا فالفتاة المصرية التى تعتقد نفسها آية الايات فى الرشاقة والأناقة ، التى بدأت تقتبس « البيجاما » الساحلية الفضفاضة ، وتكشف عن نخذيها ونهديها وظهرها

وصدرها ، والتي تعرف كيف تخرج من وراء الجفون بنظرات
معسولة فيها السر والخفاء والإغراء ، والتي تحسن الرقص
الحديث ، وتعرف كيف تتلاعب بالألفاظ والقلوب ، هذه
الفتاة الحديثة العهد بالحرية ، هل تعرف ثمن ما تنشده ؟ !

كلا ، لأن هذا الثمن يكلفها العذاب والألم ، وهي غير
مستعدة ، لأن الجحيم الذي تعيش فيه يريد لها على القفز والتنقل ،
يريد لها على عدم الاستقرار ، فهي لا تستقر ولا تصبر على الخير ،
وهي لذلك قلما تشعر بالسعادة . إنها في تنقلها المبتذل كالذي
يتعاطى مخدرا ، يغيبه ساعة ثم يستيقظ ليعانى الآلام ...

حرية الفضائل

محدثنا أمس عن الحرية، حرية الفضائل والعمل الجّد .
وقلنا : إن هذا هو معناها و ليس هو الانطلاق وراء الشهوات
والتزوات . ولكننا من الجانب الآخر نجد بعض الآباء يسرفون
في التشديد على بناتهم تشديدا هو من الخطورة بمكان ، لأنه
ينبه ذهن الفتاة الى أشياء لم يكن يحسن تنبيه ذهنها اليها . وهو
يشعرها أن وراء جدران البيت المطبقة عليها باستمرار شيئا آخر
فيه البهجة والمرح والمتاع ، مع أنه قد يكون فيه الويل كله .
وهي لذلك تنفذ صبرها ويبدأ تمزدها . فإذا كسرت قيودها بعد
ذلك وانطلقت على فرعها فليس الذنب ذنبها وحدها ، لأن شدة
الضغط تولد الانفجار . وهي نظرية في الطبيعة ثابتة لا تحيب .
فالرجل الذي له بنات الآن في ضيق لا يدرى كيف يفعل .
يجد الحرية لها عواقب وخيمة ، وهو بشدة حرمانه بناته من
الحرية غير مطمئن البال . انه في موقف يرثى له ، لأن الأبوة

فن ، فن عظيم . لا يستطيع كل رجل ان يكون والدا ،
وخصوصا ان يكون والد بنت .

لو كانت لى بنت لصادقتها وفتحت عينها للوجود، وصحبتها
الى كل مكان أسمح لنفسى بالذهاب اليه ، وما أخفيت عنها
شيئا ، ولعرفتها منذ نعومة أظفارها ما أعرفه من سر الحياة ،
وما أعرفه من خدع الرجال ، وما أعرفه من غش العالم، وما
أعرفه من حوادث يشيب لها الولدان ؛ وأفسر لها كل نظرة
وما ترمى اليه ، وغاية صاحبها ، وكيف تحكم هى بدورها على
ما تراه من وجوه ونظرات وافتات وحركات ... وهذه هى
الدروس التى تكونها ، وهى بمثابة التطعيم ضد الفساد المنتشر
حولنا، المتطاير فى الجو مع الذرات ، الممتزج بالشمس والهواء .
أما أن أحبسها وأقفل النوافذ وأحرمها (السينما) والخروج ،
فبمثابة الحكم عليها بأنها ليست لها شخصية ، ولا كرامة ، وليست
جديرة بالوثوق بها ، ولا بالاطمئنان اليها ، وأنها فتاة قلبها هواء
لا تعرف الخير من الشر .

وهذه مسبة يجب أن يرفع الأب فتاته عنها ، مسبة فى طريقة تعليمه إياها وتأديبه لها ، مسبة لأصلها وأخلاقها . ثم هى إنكار للفضيلة فيها . واعتراف بأنه إنما (يرسرسها ويصمغها ويصلبها حتى يلزقها للعريس) .

ومهنة الأب أشرف من ذلك ، وواجبه أشد عسرا وعناء ، ومسئوليته أعظم .

فالأب الذى يترك بيته خمس عشرة ساعة فى اليوم ولا يدخله إلّا لياكل وينام ويأمر وينهى هو الأب الذى يضيع على فتياته جانب العناية والولاية والموعظة الحسنة . فإذا ورثهن بعد ذلك مالا وفيرا كان لهن مفسدة ، لأنه مال بغير أساس . فإذا أغلق من دونهن النوافذ والأبواب فهى حيلة الضعيف ، المتهاون . الجبان ، الذى يزعم انه حريص شجاع ... وربما راعه يوما ما تكسير تلك السلاسل والأغلال بشكل يدعو الى الرثاء ، حتى رثاء أعدائه له .

الأجـار الزائفة

فى الأسبوع الماضى رأى أحدهم سيدة تنزل من سيارتها وتدخل متجرا كبيرا فى محطة الرمل وهى لابسة (البيجاما) فكتب رسالة بذلك الى «الغازيت» مستنكرا ؛ فاحتج عليه آخر طالبا ترك الناس أحرارا ؛ فرد عليه الأول يسفه فكرة الحرية عنده .

أقول لكم الحق إن الانسان المهذب ، سواء أكان رجلا أم امرأة، يتردد فى أن يظهر فى الشرفة (البيجاما) ، فما بالك بالتزول بها فى الطرقات ، ودخول محل عمومى للبيع والشراء ! يقول الحكماء : إن من ليس له سر يخفيه فلا جمال له يديه . والمقصود بالسرها هنا ليس الحجاب الذى يجعل المرأة فى شبه سجن متحرك ، وإنما هو ستر ما يحسن ستره مع حشمة الحركة والإشارة . فالمرأة التى تسير تلتفت عن يمينها ويسارها ، وقد كشفت عن صدرها وظهرها ، لا تتبعها إلا عيون الدهماء ؛

لأنها لا يمكن أن تقع موقع الإعجاب من قلب الرجل الذى يعرف سر الجمال والجلال .

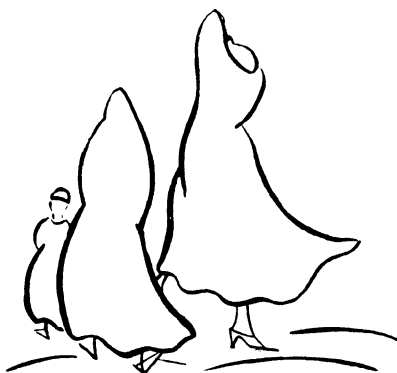
لذلك لا تجد منظر النساء على شاطئ البحر نصف عاريات يهرإلا السذج ، بينما تجد التى تخفى منهن أكثر ما يمكن إخفاؤه من جسمها هى التى تلفت الأنظار — الأنظار التى تقدرها النساء وتأنق عادة لها ، وتحسب حسابها دون غيرها .

وفى أوربا الآن أو بالأحرى فى باريس ، لأن باريس هى سيدة (الموضة) التى تفرضها على العالم ، تقوم حركة عنيفة ضد (البيجامات) . وبعد ما كانت فى العام الماضى تغطى الشواطئ وتلبسها ألطف النساء ، دالت اليوم دولتها أو كادت ، وسرى شعور استنكار لها كما تقول جريدة « الطان » نفسها .

فهذه السيدة التى نزلت من سيارتها فى محطة الرمل (بالبيجاما) ، ولو كانت أطهر النساء ، تعرض سمعتها حتما للالسن تلوكها وتذكر عنها السوء بالحق أو بالباطل . فلا يمكن تفسير

عملها إلا بأنه إعلان عصبي عن بضاعة يزهد فيها الناس . ولو
أنها كانت جميلة حقاً لاحترمت جمالها ، فالجمال له حرمة يراها
أهله ، ولا ينتهكها إلا الطائشون .

ولكن نعود فنقول : إنه لا بد من هؤلاء الطائشات في كل
مجتمع ، لأنهن بمثابة الأحجار الزائفة يعرف المرء بسهولة الى
جانبا الأحجار الكريمة .



رسالة المرأة

من الحفلات القليلة التي أسفت على أنها قد فانتنى بسبب مرضى حفلة الاتحاد النسائي في « دار المرأة » التي استقبلت فيها السيدة النبيلة هدى هانم شعراوى طائفة من الفتيات النابغات كالآنسات : نعيمة الأيوبى وسهير القلماوى وفاطمة سالم وفاطمة فهمى خليل وكوكب حفى ناصف وهيلين سيداروس وتوحيدة عبد الرحمن ومنيرة ثابت ولطفية النادى .

وليس أحق من المرأة بتكريم المرأة .

وليس أحق من زعيمة النهضة النسائية بتكريم الصورة المثل للآمال العظيمة التي تجيش بصدرها ، والتي كانت نتمناها على دهرها . ولم يكن هذا التكريم فى الواقع منحصر فى اللواتى احتفل باستقبالهن ، بل إنه يذهب الى أبعد من ذلك كثيرا ، فهو تحية تشمل جميع اللواتى تخرجن فى مصر وأوربا من المدارس

العليا ، واللواتى صرن الآن أمهات صالحات أو زوجات
فاضلات أو مربيات كريمات ، وهو تحية تمتد الى المستقبل
بالرجاء والدعاء ، الرجاء فى الجنس والدعاء للوطن ، الرجاء فى أن
يكثربيننا أمثال كوكب ناصف وسهير القلماوى ونعيمة الأيوبى
وغيرهن ، يكثربيننا العدد ، ويتميز بالنبوغ لا الرضاء والاكتفاء
بالمستوى العادى ، ويتميز قبل النبوغ وبعده بالأخلاق الفاضلة .
فليست مهن المحاماة والطب والطيران والأدب بالتى تعد
إذا تولاها النساء حاسمة فى حياة الشعوب ، ولكنها على أى حال
رمز الى مساواةالجنسين فى التعليم والذكاء والتفوق والاحتراف .
وليس احتراف المرأة مهنة شريفة معينة بالذى يسعد المرأة
أو يسعد الأمة ، لأن مكان المرأة ووظيفتها ودائرتها فى البيت
أولا وفى البيت آخرا . فمهما كانت المحامية الضليعة فلن تستغنى
ولن تستغنى بلادها عن أن تكون الزوج المخلصه والأم الرشيدة ،
وهذا هو ما يجب أن تفهمه كل فتاة . فان أعظم ثمار التربية
والتعليم وأعلى درجات الذكاء والخصافة إنما تدرك لا فى ساحة
القضاء ، ولا فى غرفة العمليات ، ولا فى كرسى التدريس ،

ولا فى طبقات الحق ، وانما تدرك — بكل كبرياء وكل خضوع — أمام المهذ ... مهذ الطفل ، ذاك الذى انحنى أمامه مدوخ الأرض وهازم الملوك وكاسر الجيوش « نابليون » فقال : إن من تهز المهذ يمينها تهز العالم يسارها .

وقد تقسو الطبيعة على بعض النساء قسوة أليمة فتحرمن من زينة النساء أو لطفهن أو حنانهن ، وتجعلن فى عالم موحد من الحرمان ، فهؤلاء يجدن فى العمل عزاء وأى عزاء . ولا غبار عليهن عندئذ اذا فكرن فى العمل دون الرجل . أما الأخريات اللواتى حباهن القدر بصفات جنسهن من رقة وحنان ودماثة فنحن بحاجة اليهن زوجات وأمهات أكثر مما نحن فى حاجة اليهن فى أية مهنة أخرى من المهن التى يمكن أن يحترفها الرجل .

اننى رجل يؤيد النهضة النسائية الى أبعد حدود التأيد ، ولكنى مؤمن بأن رسالة المرأة هى رسالة البيت .

صوت المرأة

فى الأقصر . فى بهو فندق كبير . فى جانب منه انكلز لا تسمع لهم صوتا . ثم دخلت سيدة مع زوجها فلأأت البهو ضجيجا . تريد أن تستأثر بالحديث وأن تتكلم بصوت مرتفع جدا . جاء يخاطب زوجها رجالان فبادرتهما بما فعلت أمس وما فعلت اليوم . وتحذث عن الرقص والأكل والشرب حتى الساعة الثانية صباحا . وانصرف زوجها عنها وولاهها ظهره يخاطب صاحبيه فجعلت تتدخل فى الحديث مع ذلك بشكل مدهش ولا تترك تعليقها .

هذه امرأة تفضح زوجها . هذه امرأة تدل الناس أولا على أن زوجها ليس له نظر لأنه اختارها ، مع أن الدنيا ملائمة بالنساء . وهذه امرأة تفضح نفسها لأنه ظاهر أنها «محدثة» . وأنها مفتونة تتحدث لا لنفسها ، ولا لزوجها ، ولكن للآخرين . ليس للمرأة أن تتكلم همسا . ولكن أن تتكلم بصوت معتدل

موزون منسجم مع طبيعة المكان الذى هى فيه ، ولا تتكلم بهذا الشكل المبتذل عن الطعام والشراب والرقص والنوم . فقد تحدثت صاحبتنا أيضا عن نومها بعد السهرة وعن استيقاظها فى الصباح لتتفرج على كذا وكذا .

مسكين زوجها ! ... فاذا كانت هذه المرأة تتكلم بهذا الصوت الشاذ الناشئ عن أشياء عادية فى مكان حافل بالأجانب عنها ، من أجانب ومصريين ، فى فندق ، فماذا تفعل اذا غضبت فى بيتها ؟

هذه امرأة ينقص روحها السلام والسر . امرأة ليست عريقة ولا نبيلة . امرأة ليست ثابتة ولا رزينة . امرأة مسرفة مبذرة . ليست لأفكارها ، ولا لعواطفها ، ولا لألفاظها ، ولا لصوتها عندها حرمة ، فهى تهرق هذا كله فى عرض الطريق ، ولا تتحرج من مضايقة الناس وتزعم لنفسها أن الناس معجبون هائمون بنخفتها وفصاحتها .

انما يهم بهذا الجنس من النساء رجال ثرثارون فارغون ...

رجال يتكلمون فى السمك والبلح والتمرهندى وآثار الكرنك
والفوكس تروت فى وقت واحد ! ...

إن الصوت جزء من المرأة . فعليها أن تصونه كما تصون
نظرها وجسدها ؛ بل أنه من أعز ما عندها ، أليس هو دليل
فكرها ورسول روحها ؟



الغيرة

يقول شكسبير فى رواية عطيل التى خلقها من جديد أستاذنا
وصديقنا خليل مطران «... احذر الغيرة، تلك الخليقة الشوهاء،
ذات العيون الخضراء التى تغتذى بما تأكله من لحوم البشر». .
وهذا وصف دقيق لتلك الحرباء . وقد رأيتها تنهش حياة
سعيدة كانت بالأمس حافلة موفورة، حياة أسرة طيبة هادئة
مكونة من صديق كريم يعدّ نسيج وحده فى الخلق العظيم .
رجل قديس مع أنه عصرى الى أقصى حدّ هو كذلك مثال
للرجولة والفضيلة . ولا عجب فهو من سبط شريف ومن
معدن نقي . ولكنه تزوج من سيدة خلفت له ولدين وخلفت
له أشدّ المتاعب . كانت زوجته طيبة لولا أنها ذات غيرة
جنونية. غيرة لا سبب لها ولا داع إلا أوهامها. فهى لا تريده
أن يلبس بذلة جديدة، ولا أن يحمل منديلا نظيفا! فإذا خلق
ذقنه راحت تشاجره وتجادله لماذا يخلق ذقنه ؟ ! إنه يخلقها

لامرأة، لأنها هى زوجته لا تريده أن يحلق ! . مع أنه رجل أنيق ومن أول واجبات مهنته أن يكون أنموذج النظافة والأناقة . وقس على هذا . فهى كأنها تريده سجين إرادتها وليست إرادتها عادلة . ولا يمكن تفسير هذه الغيرة على أنها الحب فيلتمس لها العذر إنما هى الطغيان . فليس للزوجة أن تسم ينابيع حياة زوجها وتسقيه كل يوم كأسا . فالحياة لا تحتمل هذا النكد . والزواج هو قبل كل شئ تعاون على متاعب الأيام ووحشتها فلا يجوز أن ينقلب ضغطا وإرهاقا وظلما . وإذا كان الرجل يريد أن تظهر خادمته فى بزة أنيقة فان ذلك يشرف المرأة أكثر مما يشرف الرجل . وهو دليل على أن البيت يحترم نفسه، ويحترم ضيوفه . فالزوجة التى تنغص على زوجها هذا التنغيص تسيء فهم الواجبات الزوجية وتعتدى اعتداء منكرا على حقوق الزوج وتقتل هناءها وتهدد مستقبل أولادها . فان الرجل يستطيع أن يجد خيرا منها أما هى فيصعب عليها أن تجد مثاله . وليست البيوت لعبا من الورق تمزق بهذه السهولة . فهذه هى الاستهانة بالحياة وهذا هو الترق .

الغيرة أيضا

يظهر أن بعض السيدات مريضات فعلا بمرض عضال اسمه الغيرة . فان أمامي رسائل عدة جاءتني تعليقا على ما نشرناه عن شقاء صديق تزوج من سيدة غيور غيرة حمقاء أفسدت عليه وعليها مزاج الحياة . ويظهر من هذه الرسائل أنه لا فرق في ذلك بين متعلمة وجاهلة وها هو رجل فاضل « ا . م » يعاني ذلك ويحاول أن يعالجه منذ سبع سنين فلا يجد الى ذلك سبيلا . وزوجته سيدة متعلمة مثقفة من أسرة نبيلة وليس في أخلاقها ما يشين إلا تلك الغيرة الممقوتة التي تكدر صفاء العيش كل حين فهي تأبى عليه إلا أن يكون قعيد البيت وإلا أن يكون شأنه معها شأن صغار التلاميذ يذهبون في الصباح الى المدرسة ويعودون في المساء الى المنزل في موعد لا يعدونه فان أخلفوه جوزوا أصرم الجزاء .

وهو مع ذلك لا يحب السهر ولا يتأخر عن الساعة

الثامنة ولا يضمن عليها بالمسرات من سينما أو مسرح ولكنه
في كل مرة يعود مملوء الوطاب بعبارات اللوم والتأنيب لأن
نظرة بريئة منه وقعت على فتاة عرضا من غير قصد في طريق
أو ملهى . وقد أبت إلا أن يكون خدام البيت ممن قبحن
صورة ولوسئن عملا . وليس لها عذر . فهو لا يدع محلا لريبة
في سيره وهو يقسم :

لعمرك ما أهويت كفى لريبة * ولا حملتني نحو فاحشة رجل!

أما الآخر « م . ح » فهو لا يقل شقاء عن إخوانه ولقد
كان أساه كامنا حتى قرأ حديث صديقنا فكتب الينا ، والشجى
يبعث الشجى . وهو شاب في السادسة والعشرين خريج مدرسة
عليا موظف بالحكومة لم يدخن قط ولم يرتكب محترما ولم
يشرب خمرا ولم يقطع صلاة أو صياما فهو متدين محسود على
دينه وسيره وسلوكه وكثير من إخوانه ينكرون عليه طرق معيشته
ويتهمونه بالجمود والتأخر ومنهم من لا يصدق كل هذه البراءة
والطهارة . تزوج بعد استخدامه مباشرة من فتاة ريفية عاشت
في مصر أعواما واعتقد أن الخيرة في التبكير بالزواج ولكن لم

يمض عليه عام إلا وذاق الأمرين فزوجه تغار عليه من كل شيء
ومن لا شيء وهى تنقم عليه حبه أهله وتكرههم كراهية التحريم
رغم حبهم إياها وتقديرهم لها . لا تعرف لنظام البيت معنى
تقلب كل ما فيه رأسا على عقب حتى إذا ما نظمته بنفسه أعادته
إلى ما كان عليه كأنما يعز عليها أن يسود البيت نظام فهى عدوة
لدودله ! جاهلة ... ولم يعلم يجهلها إلا بعد ما قضى الأمر .
حاول أن يعلمها فأبت واستكبرت . إذا زارهم قريب لها أقامت
البيت وأقعدته إكراماً له . وإذا حضر واحد من أهله أعرضت
ونأت بجانبها . وقصارى القول أنه الآن كما يقول بين نارين نار
الطلاق وله ما وراءه ونار البقاء على حال لا تطاق ويسألنى هل
عندى رأى لشاب بدأت تظلم الحياة فى وجهه ولا يزال بعد
فى فجر الحياة ! ؟

وحقيقة أن المشكلة عويصة لأن الغيرة غالباً مرض
شنيع ينتاب النفس ويتجسم لها . فيجب أن تعالجه
هى نفسها ويجب أن نتساءل عن سر غيبتها وسر جزعها ...
والغيرة أيضاً شعور بعدم الثقة بالنفس أو شعور بعيوب فاضحة

كالقبح الشنيع أو الأخلاق السيئة أو الجهل الفاحش أو الذوق المنحط . فالمرأة لا يجوز لها أن تحاسب زوجها على نظرته لأن الحساب منها دليل على أن جاذبيتها ضعيفة السلطان عليه وتكرار الحساب يقتل الاحترام المتبادل ويعرض هناءهما للانكسار . بل إنى شخصيا عرفت سيدة أوربية كانت تحاسب زوجها لا على نظرة ألقاها على امرأة مارة في الطريق بل على النظرة التي تقول له أنه يكتمها في صدره وبوده لو يلقيا ولكنه لا يستطيع أمامها أن يلقيا فتقول له : « رَوِّحْ عنك ... وانظر ! انظر ! » فإذا نظر فالويل له . وإذا لم ينظر فالويل له أيضا ! وقد شهدت مرة شيئا من ذلك فترجمت لها المثل العربي : « إن غيرة المرأة مفتاح طلاقها » فاعتدلت حينئذ ولا أدري الآن ماذا فعل شيطان غيرتها .

ومثل هذا العيش يجب أن يعالج بالحسن من الجانبين وأن يفند الرجل لزوجته ، أو الزوجة لقرينها ، أسباب الغيرة التي هي غالبا نسيجة الأوهام وضرب من خيال سقيم وأضغاث أحلام .

الشیطان

كثیرا ما ینحی الرجل باللائمة علی زوجته ، وتحمل الزوجة قرینها كل عیوب الدنیا . ویسود فی البیت نزاع یجعل الحیاة جمیعا . وبعض المقترین عندئذ یجعل الحق علی الزوج والبعض الآخر علی الزوجة . وكثیرا ما یفوت الجميع أنه قد لا یكون الذنب ذنب أحدهما أو كليهما ولكنه ذنب المصیر نفسه .

هذا المصیر هو أقوى منا بغير شك . لأنه هو الذی یجمع أو یفرق بیننا . فكأنه أحيانا سلطة هائلة طاغية لا ترحم ولا ترق ولا تعرف للحنان أو للحب حرمة ونجىء نحن نزيد فی هذه السلطة وفى طغیانها وفى تعذيبها لنا بزيادة ما بیننا من اختلافات قد تكون أحيانا تافهة جدا . قد تكون من أجل ثوب نتمناه الزوجة ولا یستطیع الرجل شراءه حالا أو من أجل الذهب الى سینما أو من أجل ما هو أصغر وأحقر من ذلك . ومع ذلك نتجسم لكل جانب عیوب الجانب الآخر وإخطائه ویتصور

أنه يمعن في تعذيبه أو حرمانه أو ظلمه فتزداد الأمور توترا ويدب
ديب الكراهية في نفوس كانت بالأمس وادعة رضية .

فعند ما ينشب في البيت خلاف بين الرجل وزوجه يجب
أن يتصور كل واحد منهما أن هناك شيطانا خفيا واقفا لهما
بالمرصاد يحرض كلا منهما على صاحبه حتى يضحك بعدئذ منهما
ضحكا مخيفا كأنه قرقة عظام الموتى .

ومن واجبهما أن يحاولا عندئذ طرد الشيطان . وهذا
الذى نقوله ونشير به هو ما شعر به أولاد البلد عندنا حتى نسمع
الواحد منهم في شدة غضبه يطلب من الله أن يخزى الشيطان .
ولا يجوز للرجل المتعلم والمرأة المتعلمة أن يكونا دون ذلك خيالا
وحبا في مجاهدة الحياة وجعل المصير أوفر حنانا وأكثر إقبالا .
فاليوم اذا كان قد اعتزم الزوجان الشجار من أجل أمر
صغير أو خطير فانهما حفظا لكرامتهما يتجنبان هذا الشجار أمام
أى أحد غريب عنهما ولو كان من أهلها . فلماذا إذن
لا يذكرا دائما أن هناك شيطانا خفيا اسمه إبليس يتهمز الفرص
أو يخلق الفرص لينفذ من حرم الإبرة الى بذر بذور الشقاق بين

الحبيبين والصديقين والزوجين ؟ ولماذا لا ينجلان من أن
يتركا من يستغل كل شيء ليفترق بينهما أو على الأقل لينقص
عيشهما ؟

ينبغي للزوجين إذن أن يقفا جنبا الى جنب كتلة واحدة
ضد الشر الظاهر والشر الخفي على السواء . وأن يتسلحا معا
بالمحبة والرغبة في التفاهم الدائم المقيم ضد الشيطان .
وقد يكون الشيطان أحيانا هو الإنسان ! ...

الطلاق

إن الإحصاء الذى صدر عن الطلاق فى مصر خلال العام الواقع بين أول يولييه ١٩٣٠ وآخر يونيه ١٩٣١ ينشر لنا صفحة سوداء لحياة الأسرة عندنا تبعث على القلق والحزن . ففى تلك المدة عقد ٢٨٧٧٥ زواجا بين المصريين ، ووقع ١١٧,١٥ طلاقا ! ... أى أن نسبة الطلاق إلى الزواج هى ٥٢,٥ فى المائة ! . وبمعنى آخر أنه كلما تزوج رجلان طلق رجل . وبمعنى آخر أن الماذون الشرعى يعقد فى اليوم ٧٩ زواجا ويتقاضى بـ ٤٢ طلاقا ! ! فانظروا كيف تكاد أن تغلب المآتم الأفراح ! وهى نسبة يقشعر منها البدن . فليس من المألوف قط أن تبنى بيوت وتهدم بهذه السرعة الشنيعة التى تدل على الطيش والنزق واتخاذ الزواج متعة ولهوا .

ولست عقود الزواج التى ذكرناها بالتي تستحق أن تعتبر عتودا بمعنى الكلمة، وروح الزواج بنفسه لا بلفظه، لأن من

تلك العقود ٦٠٨٤ عاشت بضعة أشهر فقط ولم تبلغ العام .
ومنها أيضا ٥٦٩٥ لم يتجاوز الأربع السنوات ، فهي نسبة
يرثي لها فعلا .

وعندى أن الطبقة المستنيرة الآن تتردد في الزواج كثيرا
ولذلك يقل فيها الطلاق ، وأنا أنظر من حولي فلا أجد بحمد الله
بين معارفى من طلق أو فكر في الطلاق ويعيش كثيرون
مع بعضهم بعضا في غير اتفاق تام ولكنهم قد راضوا أنفسهم
على قبول ذلك العيش كيفما كان ، إذ أدركوا أن الحياة هي مرحلة
تجربة شرها أكبر من خيرها ، ومرها أكثر من حلوها ، فسواء
كانوا متزوجين أو عزابا فالسعادة الحقة بعيدة المنال ، ولا بد
للعيش من فلسفة نتقبل بها الضجر والسآمة والأيام التافهة
والليالي المتشابهة وإلا أصبح العيش جحما .

فهذه الكثرة التي نراها في الطلاق هي بلا نزاع بين الطبقات
الدنيا الجاهلة . وحبذا لو أن مصلحة الإحصاء قد وجهت
عنايتها الى درس ذلك أيضا وتابعت البحث في هذا الصدد

حتى تلقى ضوءاً على أرقامها ، فإن أخلاق البلد ماثلة في تلك الأرقام .

فالعامّة والجهال يستسهلون الزواج لأنه لا يكاد يكلفهم شيئاً .
أجل ، إنه يكلفهم بعض النقود ولكن النقود تتدبر . أما الزواج فهو يكلف المتعلمين جهاداً نفسانياً قاسياً ، لأنه خروج من منطقة معروف عنها أنها حرة الى منطقة معروف عنها أنها مقيدة ، وهو خروج عن عادات ألفها العازب دهرًا والتخلى الى حد بعيد عن أصحاب وخالن كانوا رفقاء الصبا والسراء والضراء .
وهو خروج من المعلوم الى المجهول ، لأن الزواج هنا لا يكفل للرجل ولا للمرأة حق التعارف بمعناه النبيل والوقوف على سرائر النفس واتجاهات الفكر والنزعات والنزوات التي قد تبدو بسيطة ، ولكنها هي التي تكون الخلق وتقوم عليها سعادة البيت أو شقاؤه .
فعند ما يتنسم المتعلم ريحاً للوفاق فإنه يمضى ولا يتردد غالباً ، ويوفقه الله عندئذ اذا شاء توفيقاً أيّا كان مداه فهو أطول مدى من زواج لا تبصر فيه بل هو خبط عشواء .

فالجاهل والفقير كلاهما لا يعرف مسئولية الأسرة والأولاد ،
لذلك لا عجب اذا كنا نلقى ألاف الناس لا يملكون قوت ليلة
وعند كل منهم خمسة أو ستة أولاد ، وهم يلقون من الفقر
والمذلة ألوانا ومع ذلك لا ينقطعون عن النسل كأنهم يزعمون
أن النسل يجدد الخط ويتيح الفرصة للغنى . وهو فى حالات
كثيرة يعد إجراما لأنه يقضى بتضييق رزق هؤلاء الإخوة ،
فلا يعرف أهلهم كيف يجدون لهم الغذاء والكساء والدواء ،
فكيف بالعلم والمعرفة .

ونحن اذا تصوّرنا أن ما وقع فى عام واحد من ١٥١١٧
طلاقا قد شرّد وراءه ألاف الأولاد ، لا يعرفون لهم بيت أب
ولا يسكنون الى بيت أم ، أدركنا جسامة الحالة وشاعتها وأن
الناس يبحثون عن لذاتهم البهيمية ويجدونها بسهولة لا تكاد
تكلفهم شيئا ، ويجدونها كل يوم بكتابة ورقة وتمزيق أخرى ،
والثمن تدفعه الذريات الحاضرة والقادمة بالفقر والمرضى
والجهل والتشرد .

احذروا الخدم

فى حوادث القاهرة أمس ، التى أبى تحرير «الأهرام» أن ينشرها رحمة منه وإشفافا واستنكافا ، واقعة أليمة حقا ، خلاصتها أن خادما فتك بأولاد أسياده ، فتك بطفلة عمرها ثلاث سنوات ، وبولدين أكبر منها قليلا . ولا يسع الإنسان إلا أن يتساءل : هل هناك حدود يمكن أن تقف عندها وحشية ابن آدم ؟ !

ومع ذلك فاننا لو استعرضنا الحوادث التى تقع من هذا القبيل ، وذهبنا فى تقصيها ودرسها ، وإرجاعها الى أصولها ومسبباتها ، لوجدنا أن وزرا كبيرا من ذلك فى عنق الآباء .

فهؤلاء الآباء والأمهات يجهلون طبيعة الزمن الذى نعيش فيه . وفى الوقت الذى نجدهم يقفون كالأسود الكاسرة أمام كل شاب ينوى أن يتزوج من ابنتهم مهما كان متعلما مهذبا ، فيحاولون دون الرؤية والمجاسة إلا بألف شرط وشرط ، وفى مقدمة هذه الشروط إحضار «الشبكة» ، فى الوقت نفسه

نجدهم مستضعفين جاهلين الذنب الذى يرتكبونه بادخال رجل طويل عريض فى بيوتهم ، يستبيح أسرارهم ، ويراهم فى ثيابهم أحيانا وفى مبادئهم أحيانا ، ويسلمون اليه أولادهم مع أنه قد لا يكون مّضى فى خدمتهم سنة ولا شهرا .

إن أباءنا كانوا يطمئنون الى خدم أشرف من خدم اليوم بكثير . فقد فسد كل شىء ، وانحطت الأخلاق . فلماذا نستثنى منها أخلاق الخدم ونظل على ثقتنا بهم ؟ ! إن الخادم فيما غبر كان يكاد يكون فردا من الأسرة ، يربّى فيها منذ نعومة أظفاره ، ثم يزوج ويبقى بعد ذلك بوابا أو حارسا فلا يطرد ولا ينهر . وكان الخدم أهلا لتلك الثقة . أما اليوم ، فلا يوجد خادم يبقّى فى بيت من البيوت سنين عدة . وتلك الحرمة والقداسة التى كانت للبيوت قد استهتر بها بعض أولئك الأندال أشدّ استهتار ، وأحسوا كأن لهم حقوقا روحية أو جسدية ؟

انظر أحيانا تجد فتاة قد نضجت ، مع أنها فى عامها الثانى عشر ، وذلك لطبيعة الجنس المصرى ، يمشى معها شاب فى العشرين أو الثلاثين يحمل لها كتبها ويحادثها طول الطريق . كنت

أحيانا أتمنى لو دفعت أى ثمن لأسمع هذا الحديث . ومع ذلك فليس من الصعب التنبؤ به . فهذا الخادم الجاهل ماذا عسى أن يقول لسيدته الفتاة؟! أيعرف شيئا فى الأدب أو فى العلم أو فى الخلق أو فى الدين وما الى ذلك حتى يحدثها فيه؟! كلا! إذا فهو يعرف شيئا آخر لا يعرف غيره يلقيه على سمعها مستأنسا بضعفها ووحدها ، وقد يغريه البعض بالمال فيمهد لهذا البعض السبيل الى صداقة آثمة ... ويحمل الرسائل .

فنحن أحوج ما نكون الى تسليح البنت بالخلق القوى ، لأنه هو الذى يحميها لا الخادم الجاهل . ونحن بحاجة الى أن نضع حدًا فاصلا بين تلك (المودة) الطائشة وبين تلك الفوضى المخجلة التى نخلقها باهمالنا وعدم رقابتنا أولادنا .

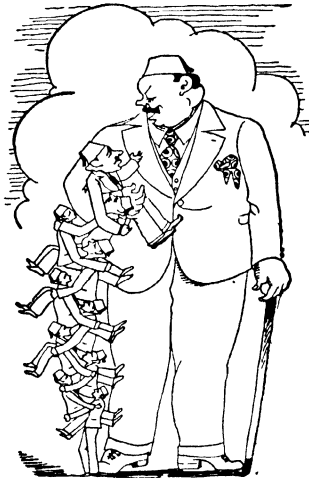
ومن كان فى شك من ذلك فليته رأى ما رآه أحد زملائنا من منظر أولئك الأطفال وهم فى حالة غيبوبة فقدوا معها كل شىء ، أعنى الشرف .

محسوب للايجار !

إعلان هام جدًا وجدًا هام

شاب متعلم طويل القامة من عائلة شريفة له مدّة خدمة طويلة بمرتّب بسيط يريد أن يكون « محسوباً » من محاسيب أى عين من العيون البارزة ذات النفوذ مع التكرم بإيضاح شروط المحسوبية ليزنها ويستعدّ لأداء الامتحان فيها فمن كان له رغبة في ذلك « المحسوب » القدير فليتكرم بمخاطبة إدارة محسوب تحت الطلب
جريدة الأهرام .

« ع »



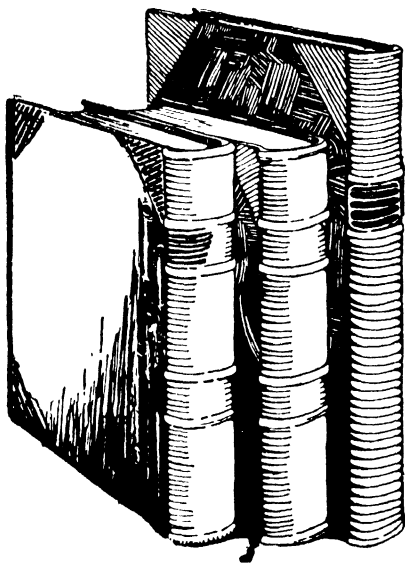
إن هذا الشاب الظريف يمزح ولا يقول إلا حقا، والمزاح
ظرف لطيف للحقائق ، فقد ألقى في روع الموظفين وطالبي
التوظيف جميعا أنه يستحيل عليهم الخروج من درجة الى
درجة أو دخول الحكومة إلا بالمحسوبية . ولم نانس بعد تلك
الصيحة الهائلة التي ألقاها أحد الشهود في قضية طما إذ قال :
إنه وصل الى الخدمة عن طريق إحدى المغنيات . وعندما
تصل الأمور الى هذا الحد تكون نذيرا بانحلال الأخلاق انحلالا
لا قيامة بعده للفضائل .

وهذا الشاب الفاضل يرى إخوانا له يقدمون من فوق
رأسه وهو حيث هو يفنى في درجة دنيئة محروما كل علاوة
قانونية ، بحكم قرار مجلس الوزراء ، وكل علاوة استثنائية بحكم
حرمانه الواسطة .

والمجالس التشريعية في كل الأمم هي التي تتولى محاربة
أمثال هذه الاندفاعات الخطرة على روح الموظفين المعنوية .
فعلى نوابنا وشيوخنا الكرام أن يضعوا « الفرامل » التي تغل

أيدى المسرفين فى الإيثار والحرمان ، لأن كل إيثار لموظف
يتبعه حرمان لزملائه طبعا .

ووظيفة النائب عن الأمة هى وظيفة الحراسة ، الحراسة
على الأموال والأخلاق، ومقاومة المحسوبية، ذلك الداء الوبيل
الذى يحرفنا والذي هو مضيع الأموال ومفسد الأخلاق ...
فهل من مدكر ؟ !



طلاب المحسوبة !

رد على اعلان هام جدا جدا هام

» أيها الزميل طالب المحسوبة .

أحييك . وأعطف عليك . حقاً إنك كنت طريفاً في اعلانك ، طريفاً في كتابتك ، محقاً في طلبك .

ولما كنت من رواد هذا الطريق وعشاق هذا المبدأ العظيم فقد سبرت عور امتحاناته العديدة ، ولسوء حظي لازمني النحس فكان نصيبي منها الفشل ، غير أني خرجت منها ببعض الخبرة . ولما كانت شروط المحسوبة كثيرة ومتنوعة رأيت أن أوجه لك الأسئلة الآتية ، فاذا آتست في نفسك كفاية لأدائها فتق بأك ناجح لا محالة .

(١) هل لك قدرة على كتابة مقالات المدح والاطراء المناسبة أو غير مناسبة ، ونشرها بالصحف السيارة على اختلاف نزعاتها السياسية ؟
(٢) هل تحسن المقابلات في الحفلات والسهرات مع إنكار شخصيتك عند الاقتضاء ؟

(٣) هل تسمح لنفسك أن تشرب كأساً نخب من لا تريده اذا قضى بذلك الظرف ؟

(٤) هل تحسن الرقص الأوربي الحديث منه والقديم والتوقيعي؟ وهل لك سمعة طيبة بين العائلات الراغبات فيه؟ وهل لك عليها نفوذ؟

(٥) هل أنت أعزب أو متزوج؟ فان كنت الأول فهل أنت خبير بطريق الرياضة والزهات؟ وان كنت الثانى فما هى مؤهلات زوجك فى عالم المدنية الحديثة؟

(٦) هل فى استطاعتك وضع كامل وقتك تحت تصرف من يظلك بحسب بيته؟

(٧) هل لك أوتومبيل؟ ما نوعه وما مقدار نجاحه؟ وهل يليق بشرف العظماء؟

(٨) هل تعرف لعب الورق وكياسة اللعب وأدبه؟

(٩) هل أنت من غواة فن الطرب؟

(١٠) هل أنت (سبور) تحمل بيدك وعلى صدرك لفات الحلوى والمشروبات ولا تتأفف؟

هذه أهم واجبات المحسوب والمنسوب وهلاته أدليت لك بها ، وانى لحزين مكتئب لسقوطى فى الامتحانات العدة التى حاولت أن أفوز بها حتى أصبحت أصف نقمى فيها غاوى سقوط . طالب محسوبة قديم



حقيقة إن « طالب المحسوبة القديم » هذا قد درس موضوعه بشكل يحمل على الاعجاب . والشروط التى أتى بها

تدل على باع طويل في المحسوبة ومما يؤسف له أنه على هذا الذكاء وخفة الروح لم يعرف بعد كيف يكون محسوباً ، فاني أتمنى له الخير واو عن طريق الشر ، لأن الدنيا أصبحت كلها شراً .

ولكن (الأنكت) من هذين ذلك الخطاب الذي أرسل الى تحرير الأهرام من (ا.ب.ت . شباك بوسنة سنورس) يقول فيه :

« اطلعت بالأهرام على اعلان الشاب الذي من عائلة شريفة ويريد المحسوبة لعين من أصحاب النفوذ ، وعليه فأرجو أن يفيدني هذا الشاب بأقرب فرصة عن اسمه ولقبه وعائلته وأصل موطنهم ومحل اقامته الآن بعنوان الموضح أدناه ... » .

ونحن لم نعهد أصحاب النفوذ والأعيان يكتبون خطاباتهم بقلم الرصاص ويجعلون عنواناتهم على (شبابيك البوسنة) .

ربما كانت هذه الرسائل مؤامرة واسعة النطاق لا تلبث أن تتكشف عن نقابة للمحسوبين تتخذ لها ادارة ومستشارين ومحاسبين للمحسوبين !

المال نعمة ونقمة

أبلغ أحد سكان بولاق (بوليس) القسم أن ابنه خطف بينما كانت شقيقته عائدة به الى المنزل . فحقق هذا البلاغ مأمور القسم ولما سأل شقيقة الطفل عن أوصاف الذى خطف شقيقها قالت إن رجلا كان يسير مع والدها أخذ شقيقها منها فلم تمنع لأنها رأت والدها معه وكان فى انتظاره . فاشتبه المأمور ودعا والدة الطفل فقالت أن زوجها عاطل عن العمل من مدة وليس معه نقود وفى اليوم التالى ليوم غياب الطفل رأت معه ثلاثة جنيات، وعلمت من امرأة أخرى أنه باع الطفل بأربعة جنيات لرجل لم يرزق ذرية . فقبض على الأب والتحقيق مستمر للاستدلال على المشتري والطفل .

حقا إن هذا آخر الزمان . والظاهر أن القيامة قربت أن تقوم . اللهم لاتأخذنا على غرة وأفسح لنا بضع سنين نكفر فيها عما تقدم من ذنبنا وما تأخر ! ...

أهكذا يهون الولد على أبيه ؟ ! أهكذا يضيق العيش
وتسود الدنيا في وجه الوالد حتى يتزع روحه من روحه ويبيع
فلذة كبده بثمان نخس دراهم معدودة ؟ !

أف لك يا دنيا ! كم سهر هذا الرجل المنكود، وكم كد،
وكم شقى ، وقد يكون حمل الحجارة وصعد بها فوق (السقالة)
أدوارا وأدوارا ليعود في المساء حاملا لزوجته وولده طعاما !

أطلقوا سراح هذا الوالد المنكوب واقبضوا على الشارى !
اسألوه كيف طاوعته نفسه أن يختلس ولدا من أمه وأبيه بأربعة
جنيهات ملعونة ؟ ! اسألوه هل شعر أنه يحمل لعبة من خشب
وحديد أم يحمل مخلوقا حيا ؟ ! هل فكر كيف ستقضى أم الطفل
ليلها بعيدة عن حبيبها الصغير ؟ ! وكيف سيقضى الحبيب الصغير
ليله بعيدا عن حضن أمه ؟ !

لأى شيء يارباه سيستخدم المال بعد ذلك ؟ ! بأى مذلة
سيقضى وبأى عذاب سيحكم القرش على الناس ؟ ! ها هو
القرش يسلب الرجل الأبوة ويختلس من المرأة الأمومة !! ...

ها هو القرش يقضى بالفراق بين طفل وأهله كأنه الحاكم بأمره
المستبد الطاغى ... كأنه نيرون هذا الزمان .

اللهم اذا أعطينا مالا فارحمنا ولا تجعلنا نسيء الى هذا
الحد استعماله ... واذا قضيت علينا بالحرمان فارحمنا
ولا تحكم علينا ببيع أولادنا من أجل لقمة ! ...



لو كان لى ولد !

صرح رئيس وزارة سابق لأحد أصدقائى أنه لما كان
فى الحكم كان لا يستطيع أن يحصى عدد مهنتيه بالعيد ، فلما
اعتزل السلطان جاء العيد فلم تصله إلا أربع بطاقات ! ! ...

ويكفى أن يحضر الإنسان مأتما يمت بقراءة ، ولو
بعيدة ، الى رجل فى الحكم فلا يجد فى السرداق موزعا
لقدم ! ... ويجد الناس يهكرون بالحضور ويتأخرون
فى الانصراف ، ويحلو عندهم صوت الفقيه وتأخذهم نشوة
الموعظة الحسنة .

سبحان الله ! ما أصعب النفاق وهو مع ذلك عند أكثر
الناس صناعة لذيدة يرمون الى خدمة أنفسهم حتى من وراء
نعش الميت ! ...

هؤلاء المنافقون هم الأغلبية ، ولذلك ترى أقلية الصادقين
المخلصين فى آخر الصفوف . فإن الحرّة تجوع ولا تأكل بشديها .

لو كان لى ولد لعلمته الصدق والشجاعة الأدبية وتركت
رزقه على خالقه ؛ ويستطيع بعد ذلك أن ياعنى فى قبرى ،
ولكنه لن يستطيع إلا احترام ذكراى .

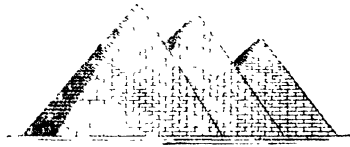


مهندس الكبارى

من القصص الانكليزية الطريفة ما يروى عن مهندس
لللكبارى فى ريعان شبابه تخرج من المدرسة بتفوق فانتخبته
حكومة أجنبية لبناء كوبرى وكانت له خطيبة جميلة فوعدها
بالعودة اليها بعد عامين وظلا فعلا على العهد يتراسلان على البعد
ولكن بعد العامين إذ وفق فى عمله وظهر نجاحه دعتة حكومة
أخرى لبناء كوبرى أيضا فاعتذر لخطيبته كذلك ومناها بقرب
اللقاء وهناها بما أتاح الله لهما من ظهور نبوغه وضمان مستقبله
وتعللت هى بذلك . ولكن بعد تمام ذلك الكوبرى دعى أيضا
لبناء كوبرى ثالث ورابع وخامس ... والنتيجة أنه اشتهر وأثرى
ولكنه شغل تماما بالكبارى عن المحبة وبناء الأسمت المسلح
والحديد عن بناء وكر الطمانينة وعش الأولاد فعاد الى وطنه
آخر الأمر وقد انحنى ظهره وشاب شعره ولم يعد صالحا للزواج
ولا للعب ولا حتى لبناء الكبارى ...

وهذا درس بليغ له ما وراءه من عظة فبعض الناس
تشغلهم مرافق الحياة حتى أنهم ينسون حقوق الحياة . وتحتل
موازينهم فترجح عندهم كفة العقل على القلب رجحانا لا عدل
فيه للعقل أو القلب جميعا .

فالآتزان هو أساس الوجود . ومبدأ العيش يجب أن يكون
عدم الإسراف والتمهات على جانب دون جانب . ففي الحياة
أشياء أخرى مهمة غير بناء الكبارى وهى بناء البيوت : بالحنان
والحب لا بالطوب والخشب ! ...



دخول الدنيا

فى بعض الظروف والأحيان يشعر الإنسان بأن لا بدّ له من استئناف الحياة . يحس أن الحياة تكاسلت وفترت فهى بحاجة الى قوة جديدة للكأفة وغزو مناطق جديدة للسلى والعزاء ان لم تكن للفرح والهناء . وجميع الذين لم يتزوجوا يشعرون ان هذا الاستئناف لا بدّ منه مع شريكة للحياة . لذلك نحن نفرح عند ما نجد صديقاً يتزوج . نفرح لفرحه لأن الفرح هو الأمل والرجاء رمز التعلق بالحياة وتجيدها . فالذى كان بالأمس يجلس معنا فى مجالس الغراب قد انتقل الى منطقة أعلى وأسمى وإلى دائرة ذات قداسة خاصة ، لأنها دائرة البيت فى ظل المرأة ، فى ظل الزوجة اليوم والأم غدا . فهذا الصديق يدخل وكله أمل فى هنائه وكله رجاء فى أن يسعد شريكة حياته . فعلى الزوجة عندئذ أن تقدر حياة العزوبة التى كان الرجل فيها بين عشرين صديقاً كلهم لطيف

العشرة ظريف المؤانسة ... وتعرف أن واجبها خطير وأن مسؤوليتها مرهقة . فيجب عليها أن تقاوم ماضيه كله وتواجه حياة عزوبته بما كان فيها من مفاجآت ومن مودات ومن ملذات بريئة أو غير بريئة وتعرف قداسة واجبها في إنقاذه من كل ذكرياته ومنحه ما يعوض عليه هذا كله سواء كان خيرا أو شرا ولتعرف أن عليها أن تسعده بحب عظيم يملاً جوانحها وتضيق فيه الاختلافات التافهة التي تعرض لكل زوجين . وعليها دائما أن تتجنب كل مناقشة . فان المناقشات سخيفة وتؤدي غالبا بين كل الناس الى الحدة . والحدة يجب ألا يكون لها أى أثريين شريكى الحياة .

فلتدرس كل زوجة ميول زوجها وأهواءه وتجتهد فى أن ترضى منها كل ما يطيب لها وأن تصلح منها مالا تطمئن اليه . فان زوجها هو أخوها وهو ولدها وهو أبوها فى وقت واحد . أنه أصبح من لحمها ودمها أقرب اليها من أولئك جميعا فكيف تترك قيد أصبع للخلاف فى توافه مادية لم تطلع ولم تنزل ؟

لقد صدق العامة فى قولهم أن الزواج هو دخول الدنيا

وهو دخولها عندنا تحت الأعلام وعلى نغمات الموسيقى والزغاريد
والآيات وبين الزهور والحلوى .

فلنحافظ على هذه الروعة لذكرى دخولنا الدنيا ، ولنجدد
حياتنا الزوجية كل يوم بالحب المتصل المخلص الأمين وبالتعاون
المتبادل على الخير والشر في السراء والضراء ... فان كل شيء
يجب أن يزيد في حب الزوجين الشاين ، وكل مطلع شمس
يجب أن يشرق عليهما كأنهما يدخلان الدنيا لأول مرة ! ...

التأمين على الحياة

أنشأ بنك مصر شركة جديدة للتأمين على الحياة ومتى أنشأ هذا البنك الوطنى العظيم شركة فان معنى ذلك بيوت مصرية جديدة تفتح وترزق ، ومعناه شباب مصريون يتعلمون ويتقدمون فى ميادين العمل والنشاط ويتقنون ما كان حتى الآن وقفا على الأجانب . فهذا دين جديد فى عنقنا لهؤلاء الرجال النبلاء الذين يديرون هذا البنك بحكمة غالية ، وفى تواضع ، وفى صمت ، وفى مقدمتهم زعيم الاقتصاد الوطنى وقائدا النهوض المالى طلعت حرب باشا والدكتور فؤاد بك سلطان .

والتأمين على الحياة هو من أهم ضروب الاقتصاد التى توصل اليها الفكر فى العصور الحديثة . والأوربيون قد عرفوا فضل التأمين فطبقوه على حياتهم كلها حتى شمل العمر والبيت والسيارة ، بل حتى شمل أيضا التأمين ضد العطل والبطالة . ونحن نسمع عن راقصة أمنت على ساقها مثلاً بمائة ألف جنيه .

وهى محقة . لأن هاتين الساقين هما رأس مالها ومن دونهما لا تساوى شيئا . فإذا حدث وسقطت وأصابها رض أو كسر فانها تكون مطمئنة الخاطر بقية حياتها ولا تعاني شظف العيش . وما يقال عن الراقصة يقال عن كل محترف أيا كانت صناعته . فالتأمين يقتضى إيداع مبلغ معين فى كل سنة لمدة معينة لمصلحة شخص معين ، فإذا حدثت وفاة نال ذلك الشخص كل المبلغ ولو كان مئات الألوف من الجنيهات ولو كان مادفع من أقساط لا يتجاوز قسطا واحدا . ومن هنا تأتى ميزة التأمين عن المعاش . فالتأمين أفضل وأحسن . وكل رجل له أولاد فى عنقه هذه المسؤولية ، وكل شاب بعيد النظر لا يتردد فى التأمين على حياته .

ولقد حدثنى أستاذنا المغفور له داود بركات أن أول يوم سمع فيه المصريون باسم التأمين بصفة رائعة هو عند ما مات الزعيم الاجتماعى المرحوم قاسم أمين . فقد كان المستشار مؤلف « تحرير المرأة » يخطب فى نادى المدارس العليا فى وفد الطلبة والطالبات الرومانيين الذين يزورون مصر ثم عاد الى بيته وقضى

نحبه بغتة . فروع عليه أصدقاؤه وأحابه لما يعرفونه من قوته وشبابه وكرمه . ولكنهم لم يلبثوا أن علموا بأنه كان منذ ستة أشهر فقط قد أمّن على حياته للسيدة زوجه وأولاده بستة آلاف جنيه دفعت لهم حالا . فتداول الناس هذه الحكاية متسائلين ما هو هذا التأمين العجيب الذى تمطر سماءه الذهب والفضة ؟

والآن بعد ربع قرن تجيء شركة مصرية صميمة لتسد النقص الشاغر فى صناعة التأمين على الحياة ببلادها . لذلك نغبط ونقرّ عينا بهذا الظفر وهذا التقدّم . ونشعر بالاطمئنان الى المستقبل . ونذكر أن مصر تخطو كل يوم الى الأمام وتربح مناطق جديدة فى ميدان الجهاد الاقتصادى وتربح ذلك لا بالتهوئش ولكن بالعمل الوطيد والجهد الحميد والضمان الأكيد . وهذا هو المقصود بالخدمة العامة ، وهذا هو معنى حب الأوطان .

ياليت !

تحدثني نفسي بأني سأكسب الـ ٢٤٠٠٠ جنيه من جمعية
المؤاساة. على شرط الا تؤجل السحب هذه المرة ، وإلا تكون
قد تحدث حظي وعرضت نفسها لطلب التعويض ! .

أعتقد أنني سأحسن التصرف في هذا المبلغ الكبير وأنه من
مصلحة الجمعية نفسها أن أكسبه فإني أتبرع لها من الآن على
رؤوس الاشهاد بمبلغ أربعة آلاف جنيه هبة لوجه الله وحبا
بالفقراء ، وأخذ العشرين ألفا كل جنيه فوق أخيه ، ولأول مرة
يصبح رصيدي دائماً لبنك مصر بدلاً مما هو مدين باستمرار ! .
ثم بعد ذلك أتبرع لأحباب وأصدقاء وزملاء بألف جنيه ،

فإن بعضهم عليه ديون وبعضهم يريد أن يتزوج وبعضهم يريد
أن يتفرج على باريس ! ويبقى من المبلغ تسعة عشر ألف جنيه
أبني بثلاثة آلاف منها (فيلا روستيك) صغيرة من طراز «باسك»
على شاطئ النيل في مكان أحبه ، الأثير من حوله يوقع ألمانا

شجية ، وصفحة الماء منبسطة أمامه كأنها الرجاء فى الحب ! .
وأفرشها بألف جنيه ، وأجعل قاعة الطعام فيه ريفية كما لو كانت
فى قرية أوربية ، وأجعل ردهة الاستقبال حافلة بجميع آلات
الموسيقى من (البيانو والعود والكمجة الى الدربوكة والرباب
والناى) لأقيم فيها حفلات لعشاق شوبان ، وأخرى لعشاق
(الدلوكة) السودانية وأطلق على الردهة اسم « الفارابى » . أما
المكتبة فانى سأقصرها على كتب الحب فى جميع اللغات الحية فاجمع
كل كتاب يقدر الحب ويحمل اسم الحب على جبينه كالنجم ! .
وأطلق على المكتبة اسم « شهر زاد » .

يبقى بعد ذلك ١٥ ألف جنيه . اشترى منها شقة وجبهة
فى غاب بولونيا بثلاثة آلاف جنيه أجدد فيها قواى الروحية
وأشخذ ذهنى وأصقل تفكيرى بصباحيات الغاب وعصرياته .
واطلق عليها الاسم الذى كان يطلقه « أناطول فرانس » على
داره : « مغنى سعيد » ! .

وأعيش من إيراد الباقى على ما أربحه من قلمى ، وأخرج
كتابين فى السنة وأقضى ثمانية أشهر فى القاهرة وأربعة فى باريس

وأعيش على ذلك عشر سنين لا أتمنى على دهري أكثر منها
وأتبرع له بالباقي على شريطة أن يؤتيني بما أريد ! . أكتب
له الان وأختم على ذلك ! .

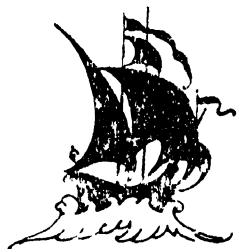
هل الذى سيربح هذه (التمرة) سيسعد أنا سا أكثر منى
فى الحياة ؟ !

ترى هل يؤدى للبلد خدمة أكثر من التبرع بخمسة آلاف جنيه
وإخراج عشرين كتاباً فوق «ما قل ودل» ؟ ! ترى هل يكون
الخط دائماً أعمى فيعطىها الى حيوان يوصف بأنه «ثور الله
فى برسيمه» يراكمها فوق بعضها ويعيش أحط من خادم وأحقر
من صعلوك !

نسيت وما أنسانى إلا الشيطان فان برنامج الستة أشهر
الأولى يقضى فى رحلة حول العالم أصفها لقراء «الاهرام» يوماً
فيوما ليحكموا هل طغيت إذ استغنيت ؟ ! وهل أفسدت
المادة من جوهر الفكر أو زادت الشعور، فى الأسلوب، بجمال
الحياة وروعة الأمل ! . فأزور معهم الهند والسند وأركب
الفيل فى بلاد تركب الأفيال ! . وأزور الصين واليابان، وآكل

من تفاح كاليفورنيا ، وأقطن أيا ما نواطح السحاب بنيو يورك ،
وأسمع أغاني جزائرياتي وأرقص الرومبا مع الزنجيات ، وأرى
طلوع الشمس في نصف الليل ببلاد النرويج ، وأزور مقبرة
أبي أيوب في استانبول ، وأقضي أسبوعا في نابولي وأسبوعا
في روما وأسبوعا في فلورنسا وشهرا في الأندلس لنبكي على دولة
أسلاف لنا دالت .

عجبا للناس ! . من ذا الذي لا يشتري كل هذه الأحلام
الجميلة ، طوال هذا الشهر ، بورقة مؤاساة ، بستين قرشا ؟ ! ؟
مُنَى أن تكن حقا فما أسعد المنى * وإلا فقد عشنا بها زمنا رغدا



مصدر السلطات !

فى «الأوتوبوس» : مناظر تقصر العمر، يتنى معها الإنسان
لو قصرت حياته أو تبدل إحساسه . كيف نجعل بين ما نراه
وبين صفاء النفس ؟ هل من سبيل ؟ أليس هؤلاء الذين من
حولنا هم مواطنونا ؟ هم أهل بلدنا ؟

تأخر «الأوتوبوس» كثيرا فكان متظروه كثيرين . وغصت
الدرجة الثانية . فأمر (الكسارى) بالصعود الى الدرجة الأولى ؛
فصعدت امرأة (بنت بلد) «جزارة» ووراءها زوجها «الجزار» .
قال لها : درجة أولى ! فقالت : (وايه يعنى ، هو المفتخر؟!) ونظرت
الى الموجودين باستخفاف واستنكار : نوع من «البلشفية» .
أما رجلها فقد صعد وهو يعتقد أن الدنيا لا بد أن
تتنحى له . وكانت ثيابه مخضبة بالدماء : علامة شريفة للعمل
الشريف ، فهو ليس قاتل بنى آدم ولكنه رجل يكسب الخبز
بعرق الجبين ؛ ولكن القصاب الأجنبى لا يمكن أن يقف فى مكانه
وعلى ملابسه نقطة من الدم . فليست الجزارة هى القذارة .

فما بال هذا الجزار يترك عمله ويخرج مع امرأته ويركب بين الناس بثياب تفوح منها رائحة الدهن والدم التي تصدع الرؤوس؟ فلما أبى (الكمسارى) أن يتركه بالدرجة الأولى أرغت امرأته وأزبدت ، وراحت تحلف بشرف الموجودين جميعا أنهما لن يتزلا . وأن تلك (الجلابية) القذرة هي أشرف من بذلة (الكمسارى والسواق) وناظر المحطة . فلما اعتذر (الكمسارى) بأن القانون يحزم ركوب صاحب (جلابية) قذرة كهذه بين ركاب «البريمو» وإلا دفع غرامة خرج صوت الرجل متحشرا من أثر (الجوزة والحناق) يأبى ويستكبر الاعتراض على وجوده فى أى مكان مادام جالسا . (بفلوسه!) . واشترك «الأوتوبوس» كله فى الشجار ، وكان كل واحد يبدى رأيا ويتفلسف ، وأصبحت المركبة أحزبا وشيعا . وانطلق (الكمسارى) يبحث عن (الشاويش) الذى جاء بعد ربع ساعة مثقلا ببندقته ووزنها عدة كيلو جرامات ، ولكن كان الرجل وامرأته قد نزلا وآثرا مركبة أخرى جاءت وربكا فى الدرجة الثانية . ومسح (الشاويش) على ظهرها قائلا : (معليش) . لم يكن الوقت له عند هؤلاء الناس قيمة . ولم يكن شعارهم

قبل (الشاويش) إلا القوة لا (الأصول) . لم يكونوا يعرفون
أين يجلسون أو ماذا يلبسون . لم يكونوا يحسبون لمن حولهم
حساباً ، ولم يكن على الأرض سواهم . هؤلاء هم مواطنونا الذين
نحتك بهم كل يوم ، نشترى منهم ونعاملهم . هؤلاء هم الأغلبية
الساحقة ومصدر السلطات . هؤلاء هم الذين رضينا نحن المعلمين
بجهالتهم ولم نعمل على تنويرهم لا قليلاً ولا كثيراً . هؤلاء هم الذين
تركهم يعيشون كالحيوانات ولن نغص برؤيتهم حياتنا ولا نفكر
في إنقاذهم . هؤلاء هم الذين قد امتلأت أفواههم بالوقاحة
وامتلأت عقولهم بالجهالة لا يعرفون الألف من الياء في الوقت
الذي نتناحر الأحزاب السياسية على كراسي الحكم . فلا يوجد
حزب سياسي واحد له برنامج اجتماعي مثل برنامج حزب الشعب
التركي الذي يفتح في كل البلاد مدارس إجبارية لتعليم العامة
وتنوير أذهانهم ورفع مستواهم ليرتفع بهم رأس البلد .

هؤلاء هم الذين نقبل أيديهم ليعطونا في الانتخابات
أصواتهم ثم نحتقرهم بعد ذلك وننكرهم ونزدر بهم .

الذهب القاتل !

من أخبار حوادث القاهرة أن أحد الجمالين المختصين
بحمل الخزانات الحديدية ونقلها — واسمه ابراهيم أبو هنا حسين —
كان يحاول نقل خزانة من خزانات فرع « بنك الانجلو »
بشارع السكة الحديدية فسقطت عليه الخزانة وقتلته تحتها
في الحال دون أن يتمكن أحد من رفعها عنه قبل وفاته
وانقاده . ولما أبلغت الحادثة الى (بوليس) الجمالية انتقل الى
مكانها وعينه ثم شرع في التحقيق لمعرفة المسئول .

أما التحقيق لمعرفة المسئول فغريب . وإذا كان
(البوليس) يريد أن يبدى في هذه المسائل التافهة (شطارته)
فليعرف أن المسئول عن قتله هو أكل العيش .

إننى أعرف حملة الخزائن هؤلاء . كنت كثيرا ما أراهم
في صباى ، عمالقة طوالا سمانا كأنهم من جنس جعل ينقرض ،
وحل مكانه أقزام . وكنت كلما كبرت تحسرت على أنه ليست

لدينا فرقة كفرق الألمان الحربية « فرسان الهوسار » الذين
اشتهروا في الحرب العظمى ، وكانت لهم فيها مخاطر وأهوال .

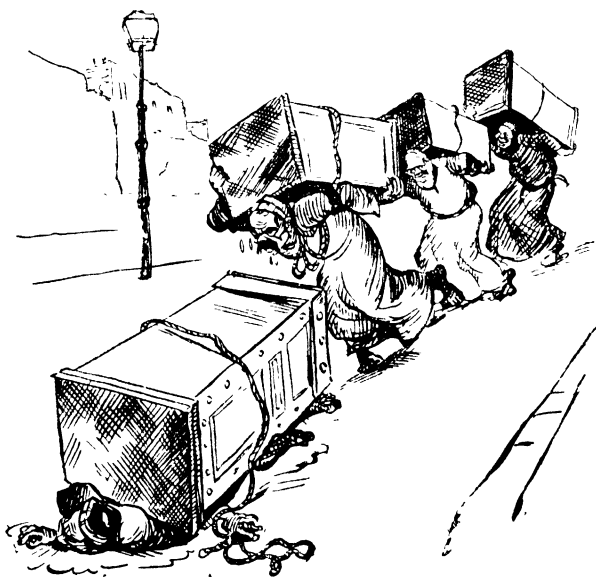
ويالسوء حظ هذا البلد حتى في عمالقاته وجبابرته ! ...

وكننت أتساءل صغيرا : ألم يجد هؤلاء شيئا لأكل العيش أرحم
لهم وأجدى عليهم من حمل تلك الخزائن الحديدية التي كأنها
صخور الأهرام ؟ ! ثم لما تقدّمت بي السن عرفت أن الحياة
كلها أثقال ، يحملها العقل مرة والقلب مرة والجسم مرة .

كم من رجل يحاس الى مكتبه وعلى ظهره مثل تلك
الخزائن الحديدية ثقلا وهولا ! ... كم من رجل يسير في الطريق
أو يركب السيارة وعليه أحمال من الديون والهموم أثقل من
الخزانة التي قضت على إبراهيم أبوهنا .

ومنذ أقدم الأزمان وصف أبو العلاء المعري الحياة بأنها
تعب كلها . ونحن اذا مارأينا رجلا ينوء تحت عبء من الحديد
والنحاس أو الخشب والرصاص عذرناه ورحمناه ، ولكننا اذا
جاء وقت الحساب قترنا عليه في القرش والدانق ! ...

إن المسئول عن موت الفقير هو الفقر . ليت سيدنا عليا
رأى الفقر رجلا فقتله كما تمنى وخلص الناس منه ! ... وأما
المقتول فقد استراح ، وسيجوع أهله من بعده لأن حمل الخزائن
الحديدية ، مهما تثقل حتى تقتل ، لا يدر الذهب والفضة .
ليست لهؤلاء العمال نقابة ، فالجوع يقف على باب العامل
في اليوم الذي يمرض فيه ، ويدخل بيته في اليوم الذي يموت فيه .
الله لهم ! ...



رسالة الفضيلة

هل يكتب الكاتب لى يعجب القراء ويفتنهم فيقولون :
يا له من كاتب ما جاد الزمان بمثله ؟ !

هل يكتب لى يرضيهم ويتملقهم ويرثى القتل تارة ويمجد
القتلة تارة أخرى ؟ ويعزى الجبناء مرة ويهنيء الوخاء مرة
ثانية ؟

هل هذه هى وظيفة الكاتب ؟

كلا ! لأنه عندئذ لا يكون كاتباً وإنما يكون مهرجا .
يكون « بلياتشو » يصبغ وجهه بالبودرة ويخرج ليضحك
الناس .

ليس الكاتب هو الذى يكون الألفاظ ويحبرها على الورق
كما يلوك البعير طعامه . إنما الكاتب الصادق الأمين ، هو الذى
يحيا ويشعر ... وينظر الى نفع الناس لا الى نفع نفسه . لأنه
عند ما يكتب لا يشعر بوجوده هو بقدر ما يشعر بوجودهم هم ،

يتطلعون اليه ، ويشقون به ، ويؤمنون فيه . عندئذ يؤاتيه
الفكر بعد الشعور والتأمل .

ومهما كان الجمهور الذى يقرأ لهذا الكاتب منوعا مختلف
الترعة والتربية فانه سيشعر بعد زمن ، إن طوعا وإن كرها ،
بشيء من الاطمئنان الى أقواله فيتحرك ويقصده ، ويتوجه
اليه بالشكوى مما يضايقه فى الشؤون العامة والخاصة .

وهذا هو الفوز العظيم .

خطرت لى هذه الكلمات عند ما زار « الأهرام » أمس
شاب فاضل يدرس الحقوق وينوى الاشتغال بالصحافة عقب
تخرجه . فقلت له : إننا بحاجة الى عناصر جديدة كريمة تدخل
فى هذه المهنة لتطرد منها الطفيليات والحشرات التى ترتع
فى أعراض الناس وتعيش من وراء ذلك بالسحت الحرام
وتفسد كرامة المهنة .

نحن بحاجة الى شباب أقوياء بالفضيلة والاعتزاز بالنفس ،
والترفع بل والكبرياء ، لا يتزلون ولو ماتوا جوعا الى الحمأة التى

يتمرغ فيها الزعانف الحاملون الذين كل حيلتهم وبضاعتهم
القذف والشتائم .

فعلى من يريد احتراف مهنتنا أن يكون من المؤمنين برسالة
الفضيلة . يعتبر المسائل العامة مسأله الخاصة التي يناغ عنها
ويدافع، ويعيش من أجلها ولا يتردد في ذلك ولو راح فداءها .

دار المرأة

فى يوم من أيام نوفمبر سنة ١٩٢٨ وقفت سيارة زرقاء
نخمة فى عطفة الشماشرجى إحدى حوارى شارع محمد على .
ونزلت منها أربع سيدات كريمات : زعيمة النهضة النسائية
السيدة هدى هانم شعراوى والسيدة عقيلة الدكتور مكلانين
مدير الجامعة الأمريكية بالقاهرة وسأحنتان أمريكيتان من
صديقات السيدة الأخيرة . وكان فى الحارة رحبة فيها حنفية
عمومية يستقى منها الفقيرات الماء بالصفائح ... وصعدن السلم
المتهدم . وكانت تلك دار الاتحاد النسائى للبيتمات الصغيرات .
فكانت نواة تربية وتعليم للواتى حرمن عطف الوالدين أو أن
آباءهن لا يملكون كثيرا ولا قليلا . كن تحت رعاية ملك
طاهر وأم حنون وسع قلبها كل من يقصدها طالب رحمة
أو مكرمة . فشمل برها ورحمتها الوفا من سيظل الناس يجهلون
أسماءهم أبد الدهر . ومع ذلك فان الناس لا يرون اليوم من

فضلها وإحسانها إلا أقله ، لا يرون من هذا القلب العظيم
إلا قطرة، ومن هذا النور المستفيض إلا لمحة ...

ليت هاتين السأئحتين الأمريكيتين اللتين اغتبطتا يوما ما
وفرحتا بأولئك الصغيرات ، فى ذلك البيت المتواضع ، ينسجن
الملابس ويحكن السجاد ويتعلمن علوم الدنيا والدين ، أيتهما
كانتا معنا أمس ، لتشهدا بما تقطع دونه أعناق الرجال .
لتشهدا قصرا جديدا بشارع قصر العيني هو (دار المرأة)
الدار التى وقفت السيدة هدى هانم شعراوى لا تتذوق للهناء
ولا للراحة طعما قبل أن تراها تقوم وتنهض عن الأرض حجرا
حجرا ومترا مترا . فإذا هى فسيحة منيفة . وإذا هى فى عام
واحد قد تم لها كل شئ . صبرت وظفرت . وكانت عند
عهدها وكان العهد مسؤولا .

ليست ألفة الجنيات وحدها التى تبرعت بها هى التى
نشيد اليوم بذكرها . كلا . إن المال هو آخر أفضالها
وإحسانها . إنها قد وهبت حياتها للخير وهذا سر عظمتها . إنها

تعيش كل دقيقة من أيامها ولياليها لا تكاد تذكر إلا هؤلاء
الصغيرات اللواتي رأيناهن أمس كالزهور وقد تربين في حماها
فهى الراعى الأمين .

ان هذا اليوم هو أسعد أيام حياتها ونحن نعلم ذلك عن
يقين . انها كانت تنتظره بفارغ الصبر وكانت تعمل له منذ
سنين . وهذه هى الهمة الشماء والعزيمة الماضية والصبر الذى
امتازت به المرأة منذ الأزل ، وكان من أخص صفاتها النبيلة .
أتراها ستستريح الآن ؟ ! والله ما أظن !... ان هذا
الفرح الحديد هو قوة جديدة ستصرفها كلها فى عمل جديد .
إنها ستواصل مهمتها غير عابئة فى ذلك السبيل يجهد أو تعب
أو مرض . انها كانت لا تستطيع الوقوف على قدميها من وفرة
ما بذلته استعدادا لعيد اليتيمات وكانت تتجد وتقاوم حتى أنهكها
المرض ولزمت الفراش زمنا ولا يعرف الناس من أمر ذلك
شيئا . وهذا هو أنفوس الاحسان . هذا هو أجمل البر . هذا هو
أشرف الجود . هذه هى المروءة ماثلة بكامل معانيها فى أروع
أشكالها .

فانت يا من تسير في شارع قصر العيني ، إذا ما جاوزت
مدرسة الطب وجدت بجوارها الى يمينك (دار المرأة) ...
فاحن الرأس إجلالا ، لأن هنا هدى ورحمة ، هنا صفحة في التاريخ
بيضاء ...



أيتها الراقصة !

قامت فى تلك الأيام مسابقة للرقص فى « جروبى » ،
كانت هى المسابقة النهائية بعد طول التجنى والدلال من المحافين ،
وبعد التلويح للصبيان والبنات بالجائزة الأولى والجائزة الثانية
والجائزة ... والجائزة ... وقد طلب الى صديق عزيز أن أحضر
تلك المسابقة لأرى بعض فتياتنا المصريات ، فقلت له إن
الحياة لا تنقصها هموم ، إن هؤلاء الفتيات لا يرتكبن وزرا
ولكنهن يقفن موقفا لا يشرفهن . ربما زعمن أن فى تلك الحلبة
الراقصة يجدن العريس ، وهنّ اذا وجدنه فعلا فلن يكون
إلا عريسا هازلا لا وزن له .

إن الرجل العاقل لا يختار زوجته من بين الراقصات .
وهؤلاء الفتيات اللواتى يشتركن فى تلك المسابقات ينزلن الى
مستوى مختلط ، أكثره مبتذل ، من العاملات والطائشات

والمغامرات . فالفتاة التى تدخل فى هذه الزمرة الغريبة يجرى عليها الحكم العام ، وهو ليس من صالحها فى شىء .

لقد خفت سورة الرقص فى أوربا خفة مشاهدة ، وخف ذلك السعار الذى انتابها « بالجازبند والشارلستون » بعد الحرب ، وانصرفت الفتاة الآن عن ذلك الى ما هو أولى بذكائها وأحفظ لكرامتها . فالفتاة المصرية ، سواء أكانت مصرية صميمة أم مصرية مختلطة ، يجب أن تدرك أن مسابقات الرقص ليست بالمضمار الذى لها أن تفخر فيه أو تزهو به ، أو تتسابق حتى يتصبب عرقها وتنهّد قواها . فلتتنازل عن تصفيق شبان أيفاع من الذين يخلقون حواجبهم ويرسمونها كما لو كانت مخطوطة بعود الكبريت ، أولئك الذين يسيرون عراة الرؤوس ليست لهم حرفة ، ولو تخلى عنهم آباؤهم وأمهاتهم لما اتوا جوعا . فلتتنازل عن تصفيق أنواع « الپلچيولو » وهم أشدّ خساسة من المرأة التى تباع عرضها لتأكل خبزها ، ولتعلم إداً أن الفوز بجائزة فى مرقص شائع هو أدعى الى الانجلى والاستحياء منه الى الغرور والمباهاة .

إن هؤلاء الأوربيين لم يرقصوا إلا بعد ما عملوا وسهروا
ودرسوا وألفوا وصنعوا وابتكروا واخترعوا وملئوا الدنيا فكرا
ونورا . أما نحن فما زلنا في أول الطريق كالطفل يحبو الى العلم
والمعرفة والتحرر من العبوديات التي نزرع تحتها ، فاذا
جاءت فئاتنا الجديدة تهز خصرها في مسابقة عامة يشهدها كل
من هب ودب بخمسة قروش ، فهو دليل على أن ميزانها مختل ،
وأنها تأتى البيوت من غير أبوابها ، وأنها تعرض بسمعتها وحرمة
بلادها للضياع ، وأنها طائشة مغامرة خارجة على المجتمع المصرى
الذى يعمل العقلاء على النهوض به ، ولن يكون نهوضه
إلا بالفتاة العاقلة الرشيدة التى تعرف الغى من الرشد، الفتاة
التي قبلت حتى الآن القيود والأغلال فى كبرياء وشهامة
وأبت أن تكسر تلك القيود والأغلال أول ما تكسرهما
فى حلبات الرقص ! ...

كَمُلَ طبع ثلاثة آلاف وثلثمائة نسخة من كتاب
« ما قل ودل » بمطبعة دار الكتب المصرية
في يوم الأحد أول يولييه سنة ١٩٣٤
(١٩ ربيع الأول سنة ١٣٥٣)

محمد نديم

ملاحظ المطبعة بدار الكتب
المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ٨/١٩٣٤/٣٣٠٠)



الثاني



مطبعة دار الكتب المصرية

١٩٣٤

چهارمین



أين قرأى ! ؟

كلما فكرت في أنني سأعيش وأموت جالسا الى مكتبي
حزنت على مصيري . نشد ما أتمنى أن أكون صيادا للضواري
في الغابات والأحراج !... وأن أفعل ما يفعله أولئك المستكشفون
الشجعان الذين يعيشون مع الموت في كل لحظة بحيث لم يعودوا
يهابون الموت ! ...

يقولون : إن كل انسان يكره صنعته . أما أنا فأحبها ، وقد
ضحيت كثيرا حتى أصل الى مزاوتها . فلما وصلت حققت
أمانى الى أقصى حد . ولكن النفس تتجدد ، وكذلك الأمانى ،
وفي كل يوم تختفى مطاعم وتولد مطاعم . والذين يشتغلون بالفكر
وللفكر لا يحسبون للمال حسابا . يريدون أن يكسبوا كثيرا ليلبذلوا
كثيرا ، ويبذلوا في سبيل تحسين المصير ، في سبيل الهناء
والمثل الأعلى ، في سبيل الخير والتسامح والمحبة ، في سبيل جعل
الحياة حياة (٢٤ قيراطا) .

فى رحىلى الأخير عن أوربا مررت بمدينة « شامونى »
بجنوب فرنسا على حدود سويسرا حيث الجبال الشاخمة المغطاة
بالثلوج الناصعة كالحليب . ولقيت فى الفندق رجالا ونساء
لا هم لهم إلا حديث الجبل وصعود الجبل . كانوا يتحدثون عن
ذلك ويعدون له المعدات بشغف وتهور . وكانوا يصفون
رحلاتهم الماضية ويصورون رحلاتهم القادمة فى غزو الجبل
كما لو كانوا عشاقا هائمين . تتكلم النساء عن الجبل كأنه رجل ،
ويتكلم عنه الرجال كأنه امرأة : عشق نبيل . فى الحياة أكثر
من عشق واحد . عشق الطبيعة ، عشق ترويض النفس على
الشدائد ، عشق الخطر والمجازفة . ليت شبابنا الناعمين كانوا
هناك ليسمعوا ويعرفوا أن هناك فتيات أشد رجولة منهم
وأوفر كرامة وأكثر تذوقا لمعانى الوجود .

الحياة قصيدة : بعض الناس يرسمها بأبيات من الشعر ،
وآخرون بألوان من الزيت ، وغيرهم بنقود من الذهب ، وغيرهم
بالتخنت والدعة ، وغيرهم باقتحام الدنيا وفتح أبواب جديدة
مجهولة قد يخرج عليهم منها الموت ، وقد تخرج حياة جديدة .

نابليون الذى دوخ الدنيا كانت النار فى صدره . سعد
زغلول الذى تحدى الانكليز كانت الثورة فى قلبه . قاسم أمين
الذى قاوم البلاد كلها كان الإصلاح فى عقله .

فلنسأل أنفسنا كل يوم ماذا نحمل فى صدورنا وقلوبنا
وعقولنا؟ وأية رسالة هى رسالتنا؟ وما هو معنى وجودنا؟ ومن
أى شىء نظمت قصيدة حياتنا؟ وهل نعيش لأنفسنا فقط دون
المجموع؟ وإذا كنا نعيش لأنفسنا فلا أى جانب من جوانب تلك
النفس نعيش ؟ ...

لقد تمنى « بول موران » مرة أن يحشد قراءه فى ساحة
عظيمة مثل « الكونكورڤ » ويفتح معهم فتحاً ، أو يقوم
بغزوة ما .

واليوم أتمنى ذلك مثله .

الكآبة

فى بعض الأحيان تطغى الكآبة على النفس وينفد صبر الإنسان، وفى الحزن شىء من مخافة الحياة، فالحياة مهيبة ولا شك ونحن نسخر منها فى حين أنها هى التى تسخر منا . أفراحها طائشة لا دوام لها ما إن تأتى حتى ترحل ، وأحزانها ضيوف ثقيلة كثيرة التردد طويلة المقام .

أمس جلست على حافة صحراء «هليو بوليس» أتأمل فى الأفق البعيد كأنه البحر بغير غوانى الإسكندرية، فشعرت بأن للنفس حقها من الوحدة، وعليها أن تدفع فى وحشتها ثمن ما تجرعه من قطرات الهناء وقالت : ترى لو أننى الآن فى الإسكندرية على رمال « ستانلى وجايمونو بولو » ، فهل كنت أكون أسعد حظا ؟

كلا، أعتقد ان وحشتى تزداد بين تلك الجماعات الصاخبة المرححة المستهترة النائمة القاعدة المستلقية باسترخاء ودلال تعبث

بنفسها وبعقول الشباب، وقد ضرب الشيوخ من حولها نطاقا
من نظرات تبرق بالأمانى المستحيلة .

والوحدة عبادة، عبادة السكوت والسر، وهى تلك الصيحة
الأزلية التى صاحها «كارايل» مناديا ببناء الهياكل والمحاريب
لعبادة السر والسكوت ، والسكوت يطهر الأيام . وإذا كان
الكلام من الزمن فالصمت من الأبد .

وشفاه الأصدقاء والمحبين هى التى وحدها نتعبد للسر
والسكوت ولو تكلمت . وشفاه الغادرين والمنافقين هى التى
تجذف بالسر والسكوت ولو لزمت الصمت .

خذ كل واحد على حدة من الذين تحسبهم أسعد الناس ،
خذ أجمل فتاة على رمل الإسكندرية واسأله أو اسألها ما سر
سعادته أو سعادتها، فتخرج بجواب مبهم غامض لا دقة فيه
ولا صراحة . ولعل خلاصة أجوبة السعداء حقا هى أنهم
سعداء لأنهم قد نسوا الأملس ويعيشون اليوم دون التفكير
فى الغد .

ومن حكايات الشرق أن سلطاناً وصف له ساحر قميص
رجل سعيد يلبسه ليسعد ، فظلوا يبحثون في جميع أرجاء المملكة
عن ذلك الرجل السعيد ، حتى وجدوه ، ولكنه لم يكن عليه
قميص !...

فكما يعيش الحداد الذي يطرق حدوة الحصان كل يوم
ويبيعها ويأكل بثمنها يعيش السعداء . أما الذين يفكرون
تفكيراً يشمل الأمس واليوم والغد ، فهم كالمضارب في (بورصة)
القدر . ونجد هؤلاء إذا جلسوا وحيدين على حافة صحراء
« هليو بوليس » كان لوحدتهم صراخ كأنما اجتمع فيه ضجيج
الدنيا ، وإذا ذهبوا فجلسوا على شاطئ الرمل

الذي يعج بالغواني والفتيان

شعروا بوحدتهم

ووحشتهم



الكآبة أفضا

« كثر من الناس فى هذا العصر المادى الخلو من كل معنى سام يأنسون الى ما تكتب بعنوان « ما قل ودل » ، واذا قلت « الناس » فا أقصد إلا الذين تربطهم وإياك رابطة روحية معوية .

وكتب هذه السطور يتسب الى تلك الفشة ، وقد آله ملك أنك تتألم وتبجح لنفسك أن تعلن عن أملك ووحشتك ، ولا بد أن أملك هذا سوف يطغى على جميع قرائك فكم يسبب أملك للناس ... ؟

ما بالك ياسيدى تطغى عليك الكآبة وينفد صبرك فتكاد تختنق بالحزن وما للحياة مهيبة ! إذن فعذرا « لمودة الانتحار » التى أصبحت شمار المتبرمين من الحياة ...

ليست حياتك إلا أنت ، فلماذا تسخر من نفسك ؟ ولقد كنت أظن أنك وصلت فى حياتك الى المرحلة الخالية من الأفراح والأحزان التى تناب عامة الناس من مصيفى الاسكندرية على رمال « استانلى وجليمونوبلو » ... الى الركع السجود فى المساجد والكنايس والمحاريب والهيا كل ... ؟

... وما بالك أيها الاجتماعى تدعو الى الوحدة لأن الوحدة عبادة ؟ نعم إن ،

الوحدة عبادة ولكنها للزاهدين فى الحياة وللذين قصرت هممتهم على أن يعيشوا بين الناس ؛ ان الوحدة ياسيدى مصادمة لما موسى الحياة ، وهى هروب وجبن ، ولا فارق عندى بين المستحرين وبين الذين يؤثرون الوحدة ، فإله خلقنا ، بل خلقنا للجلاء والتجربة والامتحان ، ذلك هو الدين وهو الواجب .

وأخيرا أرجو أن تعلق على هذا جزء وافا للشك واليقين اللذين ملاكتهما كلمة .

على أنى أرجو أن يكون التعليق مستخلصا من كلمتك : « ونجد هؤلاء ، اذا جلسوا وحيدى على حافة صحراء « هليوبوليس » كان لوحدهم صراح كأنهم اجتمع فيه ضجيج الدنيا واذا ذهبوا بخلسوا على شاطئ الرمل الذى يعبح بالغواى والفتيات شعروا بوحدهم ووحشتهم » .

وآمل أن تكون فى تعليقك مراعىا أنك فوق الأفراح والأحزان المتولدة من الجلوس وحيدا أو بين الحسان ، كلا ولا بين جدران المساجد والكنايس والكهوف » .
المخلص — ع . ع . س المحامى

كلا ياسيدى العزيز لست فوق الأفراح والأحزان لأننى بشر مثلكم ، ولى الحق فى الفرح والحزن ، ولى الحق فى الوحدة والوحشة ، والألم يظهر كالنار ، واذا لم يألم الكاتب ويرسم ألمه ويشاركه فيه قرائه فمتى تكون الصلة الروحية بينهم ، ومتى يكون

التعاون النفسى والفكرى ؟ أليس العهد بيننا أن نكون على الخير سواء ؟ أليس خطابك هذا نفسه على ما فى ظاهره من نقد وملامة هو فى حقيقته ألم وعزاء ؟ !

نحن إذا تدابستمننا كثيرا وسخرنا كثيرا واجتزنا بلا ريب مراحل كثيرة فى بهجة ومرح ، وانتصرنا للضعفاء ، وتأزرنا فى الدفاع عنهم كتابا وقراء لأن الكاتب بغير قرائه لا يساوى شيئا .

وإذا كان ” نيتشه “ الفيلسوف الألمانى يحتقر قراءه ويقول : «إننا لوعلمنا حقيقةهم لما سطرنا لهم حرفا» فإننى — والقياس مع الفارق — أحب قرائى وأتخيلهم دائما أسمى ، ولكن كيف لا تكون لى حرية الحزن وحرية الوحدة ؟ وكيف يفرض بعد كل الذى كتبناه أن نفوسنا لا تمر بمناطق فيها النور والظلام ، وفيها الفرح والحزن ، وفيها الضحك والبكاء ؟ ! ليست الوحدة جبانة ، ولكنها تظهر النفوس كالصوم . أليس الصوم عبادة ؟ !

وليس الزاهدون فى الحياة هم الذين قصرت همتهم دائما ،

وليسوا بالهاربين من الجلال والتجربة والامتحان ، بل إن الوحدة
هى درجة تصوف تصل اليها النفس بعد جميع التجارب ، وبعد
الحرب العوان بينها وبين ميولها وبين الناس . أليست الوحدة
هى التى تفصلنا عن البشر لتصلنا بالله ؟



أحلام طائر

أصبحت القاهرة مثل لندن وباريس في حركة السيارات .
بل ان القاهرة بسياراتها أجمل كثيرا وأغنى من لندن وباريس .
ففى عاصمة الانجليز تجد سيارات الرولز رويس وبعدها مباشرة
سيارات مسخوطة كالسلحفاة ... تستطيع أن تمشى تحت
الأمنيبوس ! ... فتجد مظاهر الغنى الطائل ثم مظاهر الاقتصاد
التام . ولا تجد بين بين . وكذلك فى باريس فان السيارات
إطلاقا متوسطة الحال ، متواضعة بالنسبة للفخامة التى
فى عاصمتنا لا سيما اذا قدرنا أن القاهرة فى حجمها وعدد
سكانها ربع باريس ... واذا قدرنا ان سعر البنزين هنا ضعفه
فى أوروبا .

ذلك أن الشرق يميل بطبعه الى مظاهر الفخفخة والوجاهة .
يحب الزينة ، والنفخة ، وليس ذلك فينا وحدنا ، بل انه
فى أسلافنا من عرب وفراعنة من أقدم الأزمان ، والأهرامات

التي جندوا لها مائة ألف شخص يتغيرون كل ثلاثة أشهر
كانت جعلت لتكون قبرا ! ...

ومع ذلك فان للسيارة فوائد جمّة . بعض الناس يركبها
لأنه يحب أحلامه . فالسيارة تعزله عن العالم وتجعله في عالم
قائم برأسه ، تجعله في مجتمع نفسه . فيعيش بين ذكرياته
وخوابره ، يعيش بين ماضيه وحاضره . فلا يعاني آلام
الاختلاط بالناس ففي كل خطوة مأساة . يعتزلهم بعض الوقت
ترويجا لنفسه وحتى لا يألم لهم باستمرار . حتى يألم لنفسه اذا
شاء ، فان بعض الذكريات يقطر الدموع وبعض الذكريات
يقطر الدماء ...

فهذا الحق النفساني يحتاجه أهل الأحلام . وقائد السيارة
عندئذ يقودها بعقله الواعي في حين أن عقله غير الواعي ،
أو الباطني ، يكون في دنيا لا تقل عن ألف ليلة وليلة ... دنيا
طفولته وصباه ، دنيا شبابه ، دنيا رجولته ... يتذكر ويعيش
في الذكرى مع أحباب قدماء ضرب الدهر بينه وبينهم بسهم
الفراق . وفي الحب الفراق محترم ! ... يتمنى لو عرف هل يذكرونه

مثالها يذكركم . وماذا يفعلون الآن ؟ ! هل يأكلون ويشربون
ويلعبون ويمرحون أم أنهم قد انفصلوا بالروح كما انفصلوا بالجسد ؟ !
ويشرف في وحدته هذه السائرة المتعجلة التي ربما كانت
على سرعة ستين أو سبعين كيلو مترا ، على الحاضر بعد ما انحنى
على الماضي ... ويتساءل : ماذا يدخر الغد ؟ ! أى تعويض
فيه عن الأمس ؟ ! أى أمل يرجى من دهر بنجيل خؤون ؟ !
وينحشى أن تطوى صفحة الحاضر هذه دون أن يُخط فيها سطر
يجعل لها قيمة . فليست صفحات العمر كثيرة . إنها محدودة
معدودة .

في السيارة يكون الرجل ، رجل الأحلام ، فى عالم وحده...
تمتر عن يمينه ويساره الناس كالأشباح . يحسدونه وهو غير
سعيد . لأن قلبه حساس وشعوره حى . يحمل آلام فقرهم
وبؤسهم وقذارتهم وجهلهم فى الوقت الذى هم أنفسهم
لا يشعرون ببعض ذلك .. فهو يعيش لهم ولنفسه . ينفصل
عنهم ولكنهم فى فؤاده ، يحملهم ، ويحمل أشجانهم ، ويحمل هم
الذين راحوا عنه وتركوه وحده ، يعانى الفوضى والظلمات .

معنى الحب :

ظهرت أخيرا لكاتب انجليزى كبير رواية تمثيلية مؤثرة ، خلاصتها : أن ضابطا من ضباط الطيران خاطب زوجته الشابة فى لندن بالتليفون من باريس يخبرها بأنه عائد للحال فى الطائرة . ولكن العاصفة دهمته فوقع على الشاطئ البريطانى .

وتمر على الحادث بضع سنوات ، وما زال الضابط نصف مشلول . نراه جالسا فى عربة صغيرة هادئا راضيا ، بتلك الأعصاب الانكليزية المتينة التى تبسم للموت كما تبسم للحب ، تحوطه أمه التى تعبد عبادته ، وطيبه ، وممرضة هى فتاة تتفانى منذ ثلاث سنوات فى خدمته .

ولكنه ترك زوجته فى ذاك المساء تذهب الى المسرح بصحبة أخيه الصغير العائد من أمريكا الجنوبية . وعند ما تعود الزوجة فتدخل نراها تزهو بحسنها ودلالها ، يترقق البشر فى محياها فيتململ من رؤيتها على هذه الحال

الشائقة زوجها الذى يتناها ولا يستطيع حراكا . وعندئذ تسير به
مرضسته الى غرفته وتخلو زوجته بالشقيق ... فلا نلبث أن
نعرف أنها خليلته ، وأنها تعلم أن البوح بالحقيقة يقتل زوجها
دون إهمال .

فاذا جاء الفصل الثانى وجدنا الزوج مسجى على فراش
الموت ويذكر الطبيب تصلب الشرايين . وتطالب الممرضة
بتشريح الجثة ، فهى واثقة من أن مريضها قد قتل ؛ فقد اختفت
خمسة أقراص كلورالين . ويستحيل أن يكون انتحر لأنه
لا يستطيع الوصول الى هذه الأقراص وهو كسيح . وكل
الظواهر ضد الزوجة فتحتج وتعلن براءتها ، ولا تنكر حبها لأنكى
زوجها . وعندئذ يعطيها ضابط صديق للعائلة مسدسا لتضع به
حدا لحياتها .

فإذا جاء الفصل الثالث حل اللغز بمفاجأة جديدة اذ تعلن
الأم أنها هى القتالة . وهذا الاعتراف يحول الرواية التمثيلية الى
مأساة سيكولوجية أخلاقية . فالباعث على الفاجعة لا يكشف
إلا فى الختام . فقد كانت الأم تعلم أن حب الزوجة هو العزاء

الوحيد الذى بقى لابنها المشلول . كما تعلم أن الزوجة الشابة بالرغم من تعلقها بالمريض لم تستطع أن تضعحى له بحياتها . وهى تفهم خيانتها ، وتسامحها . ولكن ابنها لا يلبث أن يعرف بها وهذه المعرفة أشد إيلا ما له من الموت . فدست لابنها السم ليذهب عن الدنيا حاملا معه هناء الأخير ...

وعندئذ تخثر الممرضة جاثية على ركبتيها عند قدمى الأم وتقول : « لقد أحبته أنت أكثر منى ! » ...

نحن بازاء زوجة تحب وتحن ، وأم تحب وتقتل ، وممرضة تحب وتكتم . ترى ... من التى أحبت الرجل أكثر من سواها ؟ ! أهى الأم كما يختم المؤلف روايته على لسان الممرضة ؟ ! ... أليس حب الأم هو حب الفطرة ، حب الغريزة ، حب الطبيعة فى الدم والأعصاب المكتوب منذ الخليقة على التى تحمل ولدها تسعة شهر ؟ !

ولكن هذه الممرضة ، هذه الفتاة الغريبة عن هذا الرجل ، هذه الشابة الحسنة ، هل من شك فى أنها أحبته حقا ، وقد خدمته ثلاث سنين تعلله وتدله كأنه طفلها ؟ ! أجل ... أحبت

هذه الفتاة مريضها المفلوج المربوط الى عجلة ، وكان رجلا
ينازل في الجوا الأبطال ، فأصبح عاجزا يداعب الأطفال ، أحبته ،
وكانت أمامها الدنيا فسيحة حافلة بالحرية والقوة والجمال
والفتوة فأثرت أن تضحى بهذا كله ، وأن تخفى في صميمها حبا
كريما رحما صادقا ؛ لأنه حب بلا أمل ولا رجاء ...
هذا هو الحب .

لأنه أعظم من حب الإنسان للإنسان ، أشرف من حب
الحيوان للحيوان .



وفاء الزوجية

جاء في «الأهرام» أمس : أن أجنبيا توفى عن زوجته السيدة «أنا ألسطاسى» فحزنت عليه حزنا شديدا جعلها تؤثر الموت على الحياة وتعترم الانتحار، فأضرمت النار في نفسها أثناء وجودها بمنزلها بشارع صلاح الدين، فأصيبت بحروق خطيرة ونقلت الى المستشفى فى حالة التزع .

أى أن هذه السيدة عند ما يصل هذا العدد الى أيدى القراء الأعزاء تكون قد ثوت فى التراب واستراحت وأصبحت من غير سكان هذه الدنيا ، وتركتها لنا بخيرها وشرها، وحبها وبغضها، وغناها وفقرها، وفتنتها وغرورها، و . وأيامها الفارغة !

إن الإنسان ليلتفت يمنية ويسرة متسائلا : أفى الإمكان أنه لا يزال يوجد فى هذه الأرض الغادرة الخؤون مثل هذا الحب العظيم ؟ !

ما أكثر الذين يعيشون من حولنا أزواجا أمام الناس
وأمام الشريعة وهم أشد بغضا لبعضهم بعضا من الأعداء
الالقاء ! يأكلون على مائدة واحدة، ويخرجون للنزهة في سيارة
واحدة، ويجلسون في الملهى في لوج (مقصورة) واحدة، ويذهبون
للزيارات جنبا الى جنب ، مع أنه تفرقهم هاوية من الخديعة
والاثم . رجل يأخذ من مال زوجته على أن يترك لها الحبل
على الغارب تلقى من تحب وتهوى . وامرأة ربطتها بزوجها
أولاد واشتجرت لهما مصالح مادية لاسبيل الى تفريقها بالحسنى ،
فارتضت من الدنيا اسمه ورسمه ، وراحت تلغنه لعنة عمليسة
يشاركها فيها غريب يحقر الزوجين جميعا . أو رجل تزوج
ممن لا يحب فأصبحت زوجته عنده خادمة تحضر طعامه وتربي
أولاده، وليس لها منه أكثر مما لأية امرأة أجنبية تمر في حياته
مرور الطيف على المرأة من حين الى حين ! .

وما أكثر الذين يعاشرون بعضهم بعضا ويتمنون لبعضهم
الموت العاجل ولا يصبرهم على الضيم والكفره إلا الطمع
في الميراث !

وما أكثر الذين يعيشون من حولنا لا يربطهم حب ولا كره
ولا يعرفون من الزواج إلا أنه سنة تتبع وشر لا بد منه !
ولكن هل الزواج هو العقد الذى يوقعه المأذون
أو الكاهن ؟ ! هل هو المهر الذى يدفعه الزوج المسلم أو الزوجة
المسيحية أو الإسرائيلية ؟ ! هل هو البيت الذى يمتلئ بالفراش
الوثير حتى يطفح ؟ ! هل هو النفع المادى المتبادل ، هى بعزبتها
وبيوتها وهو بشهادته ومركزه ؟ ! هل الزواج هو هذا لا أكثر
ولا أقل ؟ !

أسئلة تنتظر الجواب .

أما أنا فقد ذابت نفسى حسرة على أن يحى من الوجود
مثل حب «أنا أنسطاسى» لزوجها ، فان مثل هذا الحب هو
جوهر الخير وبعمة الوجود .

ومن يعرف كيف يحب يلقى الله ! .

الرزق الروحي

أيام تتشابه . ليال بعضها يقتل البعض نعيشها على الرغم منا . نضحك ونمرح أحيانا خديعة لأنفسنا . إن الفرح الحقيقي لا يعرف إلا النفوس التي لم تعد من هذه الدنيا . ونحن منها . أعمالنا تربطنا بالناس ، وفي كل خطوة يصدمنا الناس بسخائهم وشرورهم ودسائسهم وحسدتهم .

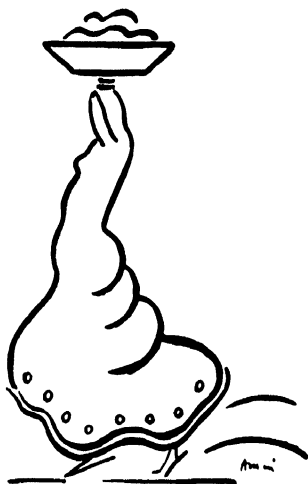
أين الفرار من الناس ؟ إن ذلك الشاب الذي أرسل يسألني الهجيرة يبحث عن طلب الرزق ، وأنا أقول له خذني معك في طلب رزق آخر ، الرزق الروحي . إنه يريد السفر الى البرازيل وماله قليل ، ويسألني بيانا وتفصيلا وتشجيعا .

أما البيانات فليست عندي ، وأما التشجيع فإني أكله له كيلا ، ولكن لا بد له من معين ، هذا المعين ليس بيدي ، لأنه من قلبه ، ومن يساعد نفسه يساعده ربه . فليفصل ما يراه في نهاره تفصيلا ، وليقل لي ماذا يفعل بين الفطور

والغداء والعشاء؟ ما هي أحاديثه العذبة؟ ما هي الصلة القوية التي تربطه بالوجود وتجعله اذا حان وقت النوم كره النوم لأنه يفصله عن السعادة؟ فاذا لم يجد من حوله شيئا فماذا ينتظر؟ ليحمل (نُحْرجه) على ظهره ويسير لا يلوى على شيء، ليضرب أبواب المنازل القروية في الطريق ليقدموا له خبزا ناشفا وبصلا. وربما قدموا له بعض (البيسارية) المقلية. إن الفقراء أكرم من الأغنياء. فاذا كان يسألني في التحاقه بالباخرة ليخدم بها فاني أنذره بأن ذلك ليس من الهنات، فان خدمة البواخر تتطلب شجاعة وجلدا ومغالبة للنفس تفوق التصور. وقد يحمل الفحم الى الآتون الذي كأنه طاقة من جهنم فيتصبب عرقا قبل الدنو منه ويفعل ذلك ويكرهه حتى تنهد قواه. ولكن ذلك خير له، لأنه عندئذ يكون مجاهدا في الحياة، يكون رجلا يصنع حياته ويبنيها حجرا حجرا في أفق طليق بعيد عن المراءاة والغش والنفاق...

وعند ما يصل الى تلك البلاد العذراء فليترك المدن ويقصد القرى. بل ليقصد الغابات والأحراش. وليعيش مع الطير

ويؤاخي الحيوان . ولينس ماضيه كله وليبدأ صفحة جديدة
لا يقصد منها جمع المال ولكن أن يعيش طاهراً، على الفطرة،
يحب ويحب، يتزود بالتقوى، ويحتهد في أن يسعد انسانا آخر
في كل هذه الدنيا، فهذه هي رسالة الانسان، والله إن إسعاد
إنسان واحد لكثير! ...



البطون الملعونة

فى الصبح المبكر من يوم الخميس الماضى وجد نجار على باب
دكانه بالفجالة وهو يفتحها ، بسم الله الرحمن الرحيم ، لقيطاً
ملقى على ظهره ، كانت نظرتة الأولى الى الحياة شكوى الى السماء
من ظلم الانسان . فأحضره الى قسم الأزبكية فأطلق عليه
الضابط اسم اليوم الذى وجد فيه « خميس » ! ... وأرسله
الى قصر العبنى وما زال حيا ، وعملت قضية ضدّ الأم المجهولة
لتعريضها هذا الطفل للخطر . ولم يكن هناك أمل طبعاً بأن
تضبط هذه الأم أو تعرف يوماً ما .

وفى اليوم نفسه أرسل أحد الأطباء إخطاراً للقسم بأنه
استدعى لإسعاف مريضة فلما كشف عليها وجدها فى حالة
غيوبة واتضح له أن ذلك بسبب الوضع .

فاشتبه (البوليس) فى أن تكون هذه المرأة هى أم لقيط
الصباح وانتقل الى البيت فوجدها فى المطبخ غائبة عن رشدها ،

وظهر أن هذه المرأة هي خادِم بالبيت وقد حملت سفاحا
وأخفت ذلك عن مخدميها ، وتناولت عشاءها ليلة الوضع
وقامت بخدمة البيت كالعتاد ، ثم دخلت المطبخ وولدت
وحدها دون أن تأتي بحركة أو ترفع صوتا خشية الفضيحة حتى
ولدها ، ثم ألقتة تحت نافذة المطبخ ، فقسم لها أن تذهب في أثر
ولدها الى مستشفى قصر العيني .

فلتقف لحظة لا نكتب فيها ولا تقرأون حدادا على هذه
المأساة . إنها رمز لعشرات المآسي التي تقع كل يوم بين
سمعنا وبصرنا .

فلنتأمل كيف قضى الأمر . هذه امرأة أريد أن نتصوروا
شعورها بالجنين تسعة أشهر ، وهي خادِم ذليلة ، حياتها
منوطة بلقماتها ، كل يوم تخشى مائة مرة أن يكتشفوا عارها
ثم تصوروا ليلتها الموعودة ، كيف خدمت على المائدة !
وكيف انصرفت تجر أذيالها ! ثم كيف جاءها المخاض ! كيف
تلد امرأة دون أن تصرخ أو تستغيث ! ونحن نعلم كيف تصرخ
المرأة ساعة الوضع حتى يبلغ صراخها عنان السماء . كيف تنزع

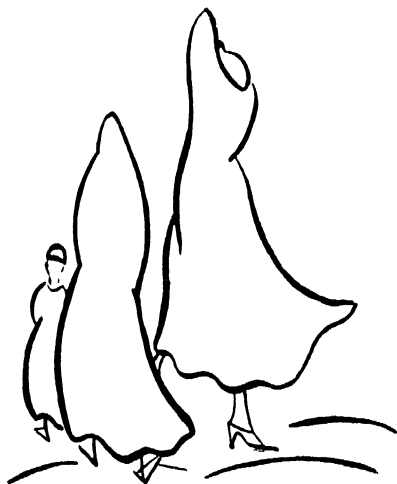
الحياة من الحياة لتخرج الجنين من أحشائها في صمت وسكون ؟ !
أليس هذا دليل حياء غريزي وضمير حي وشعور عظيم بالعار ؟ !
أليس في كتمان الألم الفظيع الى هذا الحد يقظة الحزن والندم
واحترقار البشرية والاستخفاف بالحياة ؟ !

وكيف جرئت بعد هذا العناء المهول كله أن ترميه من
النافذة ؟ ! أى شعور خالج تلك التي ما رأت وجه ابنها حتى
بدا لها شيطانا فأفلتته من يدها الى هوة سحيقة من الدور
الثالث ؟ !

إنها دفعت ثمن طيشها وزلتها دون ريب . ولكنها ستدفع
في الغد أضعاف ذلك أيضا ، فقد مات الطفل ، وها هي
ذى الآن تحوط سريرها في قصر العيني العيون والرقباء ، فإن
بانتظارها حكم القضاء باعتبارها مجرمة قاتلة نفسا حرم الله قتلها .

وهذا صحيح ، وهذا حق . ولكن ! ... ان هناك رجلا
نزلا يلهو الآن ويمرح ويبذر الإثم والشر مع غيرها وغيرها
في كل مكان ولا يحصد شيئا ، وهو الذى أورثها هذا الشقاء

كله ، ولا يُسأل عما يفعل ، لأن القضاء ، ولو عرفه ،
لا يستطيع بحكم القانون أن يمد اليه يدا .
ولكن يد الله فوق أيدي البشر .



موبكان

الساعة السابعة مساءً، في محطة القاهرة، ثانى أيام العيد .
ليس في الساحة الواسعة موضع لقدم . قطرات (بحرى وقبلى)
واصلة تجر عدداً عديداً من مركبات الدرجة الثالثة . فترى
خارجاً من بطن الأرض تلك القافلة التى لا آخر لها، المكونة
من (الصعايدة) الأشداء يحملون زكايب الخبز و (الكشك
والفريك والبتاو) . حمل ثقيل الوزن زهيد القيمة، علامة الفقر .
صياح وجابة تصم الآذان، دليل الجهل . رباه ! ... هل كل هذا
الجيش من المواطنين سيعيش الشهور الطوال على ذلك الخبز
الناشف كالخطب، كالجحر ؟ ! هل كل هذا الجيش لا يعرف
اللحم الا مرة في الأسبوع ولا الفاكهة الا مرة في الشهر ؟ !
هل كل هذا الجيش لا يعرف القراءة والكتابة ؟ ! هل كل
هذا الجيش لا يعرف تاريخ بلاده ولا جغرافيتها ولا ماليتها
ولا حضارتها القديمة ولا الجديدة ؟ ! هل كل هذا الجيش

يعيش رزق يوم بيوم ؟ ! هل كل هذا الجشع منا وليس منا ،
محسوب علينا وهو مع ذلك منفصل عنا ؟ ! ننظر اليه نحن الذين
تعلمنا شزرا ، واذا اقتربنا منه نفرنا ، واذا تقدم الينا عبسنا
وتوليننا ، واذا سألنا خدمة أعرضنا ؟ !

والى جانب هذه القافلة الهائلة القادمة قافلة أخرى راحلة ،
قافلة فى ثياب بهيجة أنيقة ، قافلة آتاها الله من فضله وآثرها
بالدنيا ، قافلة السياح . على حقائبهم الجلدية بطاقات ملونة
من فنادق «وتر بالاس ومينا هاوس وشبرد» . تجدد عليها معبد
الكركك أو الأهرام أو زهرة اللوتس .

موكبان يتعارضان ، موكب ألوف الجنيات ، وموكب
الملايم المعدودات . موكب التزهة والتمتع ، وموكب قطع
الصخور لأكل البصل والخبز القفار . موكب المرح والرقص
والموسيقى والخمر والآثار والبواخر ، وموكب الخدم وباعة
(اليانصيب) والفعلة .

هل سيحشد هؤلاء جميعا جنبا الى جنب يوم القيامة ؟
هل ستعوض الدنيا على من فقدوها وهل ستعطى الآخرة لمن

أحسن عملا؟! أو هل ستعطى الآخرة لمن قدم صالحا؟!
أو هل ستعطى الآخرة لمن عاش في الذل والحerman؟!



بائع الدقة !

« هو شيخ يبلغ الثمانين ، قد وهن منه العظم واشتعل الرأس شيبا ، يدب في الأرض متكئا على عصاه التي تكاد تنوء به ليبيع التوابل المسحوقة (الدقة) في لفائف من القرطاس الخشن كل واحدة بلميم واحد سدا لرمقه . تقدم اليه كريم من ذوى الإحسان وأنقذه قرشا صاغا وشاء أن يتأدب في إحسانه بأخذه لفافة واحدة جبرا لكسره . فاستفز التعفف في هذا الشيخ الفاني كبرياءه وأبى أن يسيع هذه المنة إلا على أساس السعر الحق في البيع والشراء ، وقد أنطقته العظمة الحقة بالقول الفصل ألا وهو : (معاذ الله أن أكون كما ظننت لقد أغنانى الله من فضله) .

فهل في البائثون المصرى المزعم إنشاؤه متسع لهذا الرجل ؟
وهلا ترى أيها الأستاذ الأصيل أن هذا الرجل قد أملى علينا تعريفا للعظمة في أظهر معانيها ؟ » .

رأس البر على فهمى شمس الدين



كلا ياسيدى فليس في مدافن العظماء أما كن للفقراء ...
وأمس ، وأمس فقط ، كتب أحد الشبان كلمة في إحدى

زميلاتنا يتأفف فيها ويشكو ويتألم لأنه شاهد مريضاً من مرضى قصر العيني !!

هذه هى أخلاق طائفة كبيرة فى هذا البلد ممثلة فى كلمة، الإنسانية منها براء . فنحن، دون أن نكون عظماء ولا حتى أنصاف عظماء، ننظر الى من هم دوننا باشمئزاز، والى الفقر باعتبار أنه رذيلة الرذائل . مع أن الفضائل تصدر عن الأكواخ قبل القصور .

ولكن هؤلاء الناس الكبار النفوس ، كذلك الشيخ الذى وصفته لنا ببراعة ، ليسوا فى حاجة الى أن يدفنوا فى مدافن الكبراء . تكفيهم تلك القبور من الكس والمجاعة المتهدمة فى صحراء محرقة ، بعيدين عن الطبل والزمر ، وعن العطور والبخور ، وعن المرائين والنفعيين ، والمدعين والمنافقين ، لأنهم بفضائلهم وتواضعهم ، فى الدنيا والآخرة ، فى نعيم مقيم .

أما أولئك الكبراء الذين سيحشدون فى «البانتيون» المزمع انشاؤه ، فسوف ترى كيف يكونون محل القيل والقال ، والأخذ والرد ، والجدال والنزاع ، وتختلف فى مزاياهم وعيوبهم الناس

شيعا وأحزابا ، ويغضب البعض لأنهم يجمعون بين الأضداد ،
ويقولون إنهم لو كانوا أحياء لما اتفقوا فكيف تدفنونهم
في صعيد واحد ! . وما الى ذلك .

دع صاحبك بائع الدقة بعد مماته مستريحا يا أخى يكسب
« قراءة الفاتحة » من حين الى حين كلما مر بقبره فقير معدم
مثله . وكفاه ما عاناه في حياته من ازدراء الأغنياء واحتقار الكبراء .



الإيمان والحب

نقص عليك اليوم قصة فريدة تدعو الى التفكير العميق والتأمل الطويل ، قصة وضعتها امرأة بجمعت في سطورها أجمل التحليل وأدق الوصف للعواطف ، قصة فيها نفوس نبيلة ، مخلصه ، طليقة ، مقيدة ، رحيمة ، قاسية ، نتيه في بيداء الحب باحثة عنه كاملا ، حائرة ، مقسمة المشاعر بين حب الله وحب البشر .

هل يمكن أن يكون الله جل جلاله منافساً للرجل في قلب المرأة يزاحمه عليه ويأخذه من دونه ؟ ! أو أن يكون منافساً للمرأة في قلب الرجل يستولى عليه ويجعل حبه إياها هواء ؟ !

توجد قصص يكون الله فيها منافساً للرجل في قلب المرأة ، فيحاول الرجل عندئذ الدفاع والنضال ، تحرقه الغيرة ويثيره الغضب ، فيتمرد على الأرض والسماء جميعا . أما في قصة اليوم الطريفة فعكس ذلك . فهو الرجل الذى

لكى يهب نفسه لله قد انفصل عن زوجته ، وهذه الزوجة لأنها امرأة، بدلا من أن تناضل وتقاوم، تتحد مع المنافس، وحبا في زوجها تبحث عن حب الله وتجمع بينهما وتقدم جسمها وروحها قربانا ، ولكنها مع ذلك تفشل آخر الأمر لأنها قدرت قواها بأكثر مما هي في الواقع، بيد أن النضال في حد ذاته له روعته وعظمته إذ أنه مأساة إنسانية مروعة تمزق الفؤاد .

أما بطلة القصة فقد تزوجت من طبيب قبيل الحرب وكانا كلاهما ممتازا بالقاب والعقل . وضربت بينهما الحرب بسهم الفراق ، ثم جمع السلم بينهما، ولكنهما إذ التقيا بعد هذه السنين الطويلة ، وهذا الانزعاج على سعادتهما، شعرا بأنه قد بقي لهما ضرب من القشعريرة الروحية، ضرب من القلق الخفى . وفي خلال رحلة لهما مرا بدير كان للزوج فيه صديق، فشعر بأن الديريناديه ، وأنه بحاجة الى العزلة والسلام، ولما تحدثت زوجته شعوره ووصفته بالخيال قال لها : من السهل وصفه عندك بالخيال طالما أن العلم به فوق طاقتك . فلما

أدركت أنه قد انخرط في سلك الرهينة دون أن يثق بها ويوحد لها شعرت بأنه قد خان عهدا فثارت ثائرتها وانفجر حبها . ومنذئذ والنضال كل يوم في ازدياد . وكان المثل الأعلى الذى اجتذب زوجها يغريها بالشجاعة ، أو بالأحرى بالقسوة ، فحاولت أن تجد الهداية حيث اهتدى ، حتى لا تفقده تماما ولا تحرم من تفكيره بها ولو لمأما .

وأخيرا إذ شعرت أن سعادة الرجل الذى تحبه هى فى الدير ، أقنعت نفسها بأنها هى أيضا مجذوبة بانجذابه . ذلك ان المرأة لا تجد برهانا على الحب أعظم من التضحية . تلك التضحية التى يتقبلها الرجل دائما قبولاً أعمى مدفوعاً بأنانيته العمياء . ولكنها كانت قد خدعت نفسها . فغادرت الدير بعد سبع سنين قضتها فى آلام ، وراحت فى كل أنحاء الدنيا تجر ذيول اليأس من حب لا دواء له ولا شفاء منه .

وعند ما راحت ترى مرة أخرى ذاك الذى كان زوجها وظل ربه ، تخلى عنها وغادرها فى خلال زيارتها القصيرة أكثر من مرة ليعنى بأشغاله وطقوسه ، فقضت نحبها .

يا لهذه النفس الحائرة المعذبة الحزينة ! . لم يفهمها
الرجل ولا القس لأنها روح أنثوية ، نقية ، فياضة العواطف ،
فألقيا بها في غياهب الدير ، كما يلقي الكافر في النار .

أما رئيسة الدير فهي التي فهمت قلب المرأة فأطلقت
سراحها ، وردت اليها بعد سنين حريتها . ولكنها للأسف
كانت الحرية التي ستقضى منها نجبا .

لقد غادرت الدنيا بعد ما غفرت للدنيا ما أصابها من
أحزان . فالحب يأمر بالصفح . ولم تهتم أحدا . ومع
ذلك فالرجال هم الذين ألقوا بها في هذا اليأس والقنوط ،
وحرموها — لا أدري باسم ماذا — من الخير الوحيد الذي
كانت تستطيع أن تحيا به .

وهكذا نرى في هذه القصة كيف تتحارب أرواح كلها
شريفة ، طاهرة ، كريمة ، متحابة ! وكيف تقسو في الحب
قسوة غريبة . وكيف تنزلق من الايمان الى الخطأ ، وكيف
تعيش بالحب ، وتموت بالحب !

الناس السعداء

يعدّ «هرمان كستن» الآن من بين جميع الروائيين الألمان أشدهم طرافة وأكثرهم إصالة ، في أسلوبه التعمق والشمول والتشكك اليقظ ، والمثل الأعلى بلا أوهام ، والغضب يخفى وراء التهمك ، في أسلوب سريع قاطع كضربات السيف ، ضرباته التي تقع مع ذلك على نغم الموسيقى . وهذا الأسلوب المباشر يكاد يحاكي أسلوب «أندريه جيد» . وميله الى رسم المتناقضات و إلى التشييد والبناء الجريء يقربه من «چيرودو» . ورواياته المشهورة «رجل مافون ، و «چوزيف ينشد حريته» و «زواج حب» قد ترجمت الى جميع اللغات الأوروبية .

أما روايته الأخيرة «الناس السعداء» فقد صوّر لنا فيها المجتمع الألماني بعد الحرب ، وعرض واقعة حب عظيم اجتمع فيها كل ما يمكن أن يحزن أو يضحك ، دون أن يتأثر ، فقد أراد أن يبقى فوق عالم متخبط معتوه محزون كاد الشرفيه

يهزم الخير. وقد عرضه لنا كما هو بكل بشاعته وكل ضعفه ،
ولم يشفق على بطله الشاين ، ولم يشفق على من يحيط بهما .
فعرض لنا أيضا البيوت التي واجهتها نبالة وأصل عريق وهي
تخفى وراء جدرانها النذالة والطيش . وسير أماننا في كتابه موكبا
من الوجهاء السخفاء ، وصغار المستخدمين ، والتجار المفلسين ،
والصحفيين العاطلين ، والمغامرين الجائعين ، ودنيا بأسرها
لا تخرج دون منكر أو محترم ، تحمله أحيانا على العطف والرثاء لها ،
وأحيانا على السخط والاشمئزاز منها . فهو يحتقر أشخاص
رواياته ويرثى لهم . وهذا المزيج من السخرية والشفقة هو
الذي يجعل لأسلوب «هرمان كستن» لونا خاصا به .

«ماكس» مهندس بلا عمل ، وهو رجل مثقف ، قد أحفظه
البؤس فضاق منه خلقه واحتد طبعه ، و «الزا» حبيبته ، ابنة
تاجر مهتد بالإفلاس ، دونه تعالما وأشد منه هوى ، يتحaban
بقوة ويريدان الزواج ولكن المال يقف عقبة في سبيلهما .
مثلما نرى هنا في مصر وفي كل مكان الحكاية ذاتها والأشخاص
أنفسهم والأسباب عينها . يلتقيان كل مساء في الشارع

أو في مقهى يتناقشان ثم يتعانقان ، يتحدثان عن الحب ثم عن الفقر ، حتى يكشف أبو الفتاة أمرهما فينهر ذلك الفتى المفلس الذى يغوى فتاته ، ويسأله كيف يحب ويعشق وهو لا يملك أبيض ولا أصفر ! ثم يعترف له أنه أعطى شيكا على البنك بألفى مارك إغاثة لصديق له فى حالة عوز وضيق ولكنه بلا رصيد ، فاذا أحضر له فى خلال سبعة أيام هذا المبلغ زوجته من ابنته الزا . فهذه المائة جنيه هى ثمن هناءة الشخصين ، تشرى بها حياته وحياتها . ومن أين له ؟ . لقد فعل المستحيل فلم يفلح . فالمال إذاً هو تلك القوة الهائلة المشؤومة التى تقف فى وجه الهناءة . إذاً قد تحول فى مجتمعنا العصرى : الحب ، والصداقة ، والشرف والمصير ، والسعادة الى أشباح هاربة ، وظلال زائلة ، وألوان حائلة أمام الحقيقة الوحيدة المجردة ! .

لم يجد «ماكس» المائة الجنيه ، وحمله الحب على الشحاذة وسؤال الناس فى الطرقات ، وعلى التهريج وعلى السرقة . ولكنه على هذا كله قد عجز عن إنقاذ أسرة حبيبته . قال لها

مرة : إن الابتسامة تباع والصدقة تباع والحب يباع والرجل يباع ويشترى .

ثم يحىء الرجل السعيد ، تاجر غنى سمين جميل يعشق « الزا » ويعرض مبلغا هائلا على أبويها اذا تزوجت منه . ولكن « الزا » تأبى . فيقبض على أبيها ويسجن وتموت أمها من الغم والهم . فتجربى الى حبيبها ، الذى كان يتعقبه البوليس لاشترائه فى سرقة ، فيتزجج ويطرد حبيبته الوفية صارخا : « إننى لم أعد أحبك ، وأنت تعرفين الآن ذلك ، بل وأكثر منه ، فأننى أمقتك ! . إننى أمقت كل شئ فىك : رائحتك ، وجهك ، جسمك ، مشيك ، صوتك ، كل شئ كل شئ ! . وأننى أخاف منك ، فاذهبى عنى ، انصرفى ! ، أنت تجلبين لى النحس ، أنت طالع شؤم على كل من يتصل بك . اليك عنى ، أبعدى ، فما أشد كرهى لك ! لقد جعلت منى شقيا . وقبل أن أعرفك كنت فتيا ، والآن أصبحت هرما . وكنت قبلا أثق بالناس والآن أصبحت اكفر بكل

شيء . وكنت قبلا رجلا والآن أجدني حيوانا . فذنب من هو؟ ! إنه ذنبك أنت ، أنت وحدك المذنبه ! » .

نخرجت « الزا » نتعثر في أذيالها ، وتجتز همومها ، وبآخر قرش في جيبها اشترت تذكرة لركوب المترو ، ثم ألقت تحت القطار بنفسها .

هذا هو جزاء الحب والوفاء والتضحية في هذه الدنيا التي يعدّ المال — والمال وحده — (ديكتاتورها) وحاكمها المطلق المستبد .

الأولاد

قرأت سيدة فاضلة رواية الكاتب الشاب «هرمان كستن»
التي لخصناها في هذا الباب فكتبت اليها تقول : ان من
هذه المآسى يوجد الكثير بيننا . وضربت لذلك مثلاً نفسها .
فهى سيدة متزوجة منذ سبع سنوات . ولم يكن زواجها زواج
حب . ورزقت ثلاثة أولاد من زوج متعلم تعليماً راقياً في مصر
وأوربا . وليست بالجاهلة وان كانت دونه معرفة باللغات
الأجنبية والثقافة العامة . وكانت حياتهما بين يمين لا تعد سعيدة
ولا تعيسة . وذلك بفضل احتمالها طباعه الحادة التي لم يكد
يحملها أحد من أهله ، ثم طرأ على عمله بعض التغير وانتقل
الى وسط آخر ، وكانت ترجو أن تحسن أخلاقه فاذا هي قد ساءت
وصار لا يعود الى البيت أكثر الأيام إلا بعد نصف الليل وهى
تترقبه طبعاً . وما كانت لتستطيع في تلك الحالة أن تهش له
وتبش فلا تقول كلمة واحدة حتى ينفجر كالبركان قاذفاً ما لا

يليق بالرجل المهذب . ويمثل دور « ماكس » مع « إلزا »
في تلك الرواية . ويقول لها إنها عار التصق به ، مع أنها أشرف
منه حسبا ونسبا . وهى وان كانت ليست فائقة الجمال فإنها تعد
جميلة وسنها مناسبة ، وهو يبرر عمله بقوله إنه رجل يشتغل طول
النهار فيحق له الذهاب من شغله الى (فسحته) ناسيا أن هناك
فى زوايا بعيدة من هى واقفة حياتها على خدمته وإسعاده . ففى
عرفه أن تلك التى تدعى شريكة حياته ليس لها الحق فى أن
تسأله أين كان ، لأنه رجل وليس بحاجة الى وصى . فتفكر
بدورها أحيانا أن تحذو حذوه وتذهب الى (السينما والتياترو)
ولا ترجع إلا بعد نصف الليل ، ولكن شرفها وأصلها يحولان
دون ذلك . وهما مسيحيان لا يجوز لهما الانفصال .

وتختتم السيدة رسالتها بقولها : « ما قولك فى رجل عصرى
هذه حياته مع زوجته وأم أولاده ، وأولاده ... فكلمة منك ! ...
لعلها تكون الدواء لدائنا . أنا لا أجهل أنك انتقادى صعب
ولكن حكمك مقبول مهما كان » .

وانى أؤكد لسيدتى أننى أتمنى من صميم نفسى لو ردت إليها

كلمة أو كلمات فردوسها المفقود. وياليت هذا الصوت الضعيف يصل الى مسامع زوجها، والى مسامع ألوف الأزواج الذين ينسجون على منواله . وليست العلة عنده على ما أرى متصلة، بل هي عارضة، فلا بد للسيدة من أن تدرسها لتدركها . فهذا التغيير الذى طرأ على عمله والوسط الذى انتقل اليه هما سر الداء . فما هو هذا الوسط ؟ وما سر جاذبيته الجديدة ؟ وهل هو خطر حقيقى على أخلاقه أم هو نزوة عارضة ؟

إن أخلاقك قوية بدليل احتمالك مالم يحتمله أهل زوجك . ففى هذه الأخلاق معين عظيم للمرأة المحبة، والأم الحنون ، تستمد منه الصبر والتريث فلا تياس سريعا بل تترصد للفرص حتى تسنح فتنتهزها وتستغل لحظات الحنان والحب التى لا بد أن تمر بهما . وإنى أتمنى عليها ألا تعبس له ولا تتولى عنه وهو عائد نصف الليل ، فقد يكون فى تلك الحال متلف الأعصاب ، شاعرا بالضجر والملال ممن كان بينهم من أصحاب أوفراق انما يغشى جماعتهم بحكم العادة . فكيف ترهقه فوق ذلك بالتعنيف فى اللحظة التى يجب عليها فيها أن تكون المتسامحة

مع المذنب ، الفياضة بالعطف على التفور ، الشاعرة بضعف
الرجل ، المدركة لما هو فيه من كلال وملال ، من الناس
ومن نفسه .

فليس بقاء الهناءة في الزواج إلا موقوفا على استمرار تلك
الدراسة من جانب الزوجين لنفسية كل منهما . وإذا كان
معاوية يقول : « والله لو كانت بيني وبين الناس شعرة لما
انقطعت قط . كانوا إذا أرخوا شددتها وإذا شدوها أرخيتها »
فلماذا لا تكون الحياة الزوجية على هذا النمط من السياسة
(والدبلوماسية) ؟ !

إن السعادة المطلقة ، السعادة الكاملة لا توجد أبدا ،
لا في العزوبة ولا في الزواج . ولكن إذا كان بين الزوجين
ثلاثة أولاد فهم أقوى ، دون أى شك ، من تلك الشعرة التي
يتخيلها معاوية بينه وبين الناس .

فمن أجل هؤلاء الأولاد ، لا من أجل أشخاصنا المادية
وميولنا الزائفة ، ينبغي أن نتساح المرأة وأن يستقيم الرجل .

أين تضع قلبها ؟

« فتاة متعلمة راقية جميلة من عائلة كبيرة يتمسك أهلها بالعادات القديمة ، تقدم لها خطاب عديدون كلهم كفء لها ، بل تمنّاها من هم أعلى منها مركزا ، وكان نصيبهم جميعا الرفض من والدها لا لسبب سوى أنه مدين ، مع العلم بأنه كان في إمكانه تلافي هذا الدين لو أنه فكر ولو قليلا في مستقبل ابنه التي تجاوزت الآن العشرين من عمرها بكثير . والآن ياسيدى لم يعد لها أى أمل في الزواج لا قطاع الطالين ، فإذا تفعل الفتاة في هذا الموقف ؟ ألا يحق لها أن تحب وتمتع بالحياة ! ولولتنتقم لشبابها الضائع إذا كان الحب يعد انتقاما ، أم تصبر وتحمل ما يجنبه لها المستقبل المظلم من الآلام ؟ وبعد ذلك يلومون فتيات اليوم ويشكون من انتشار الفساد وسوء الأخلاق ، ويعزون اليهن السبب في إجماع الشبان عن الزواج ! فإ رأيك في هذا الأب القاسى الذى لا يفكر فى شئ سوى المال ؟ فن المذنب أهو أم هى ؟ منتظرة كلمتك في هذا الموضوع الذى يهم الكثيرات لأن هناك مئات من الفتيات في مثل هذا الموقف » . حائرة

نعم ياسيدتى لها حق الحب والحياة على شريطة أن تعرف أين تضع قلبها . صحيح إن هذا القلب ملكها ولكن ليس للمالك أن يلتقى برأس ماله كله في البحر ، ويجلس بعد ذلك على

الشاطئ يندب سوء المآل . بل إن المال الضائع قد يعوّض ،
أما القلب المنكسر فهيهات أن يجبر .

والفتاة المصرية ياسيدتى قلما تعرف كيف تحب ، لأنه
لا سبيل لها الى اختبار النفوس ، فهي لا تكاد تحب إلا الوجوه
التي كثيرا ما تكون خادعة ، وهي بسيطة جدا تعتقد أن كل نظرة
حنو تخفى وراءها حبا مبرحا صادقا .

ولست أدرى كيف يكون دين أبيك عثرة في سبيل
زواجك ؟ ! أفلا بد له من أن يجهزك جهاز الزمن الخالى الذى
كانت تدفع فيه الألوف ولا يستعمل منه شىء ؟ ! إن الحضارة
قد أرتنا أن أجمل البيوت هى أبسط البيوت ، وكلما اكتظت
بالفراش والرياش قل سحرها وأصبحت أقرب الى الدكاكين .

وأنت كما تقولين فتاة متعلمة راقية جميلة من أسرة كبيرة ،
ويوجد مائة ألف شاب يتمنون بعض هذه الصفات فى شريكة
الحياة ولا يهمهم دين أبيها . ولعله إذ يقرأ هذه الكلمات
يذكر واجبا نسيه فيسدّد دينه الأدبى نحوك بتزويجك كما يحرص
على تسديد ديون الناس !

بغير حب ... وبغير أولاد

لله ما أعجب الأدوار التي يمر بها قلب الإنسان ! ...
كيف يمكن أن يؤمن اليوم بأشياء كان يكفر بها أمس ؟
كيف يمكن أن يتحول ويتنقل ويظل القلب قلبا ؟

قارنوا بين الرجل قبل الزواج وبعده، بماذا كان ينظر الى
الطفل يحبو على الأرض ؟ ! وبماذا كان ينظر الى حنان الأب ؟ !
أليس باعتباره نوعا من الضعف ؟ ! ثم هو يتزوج ويوجد له
ولد فلا تسعه الدنيا ويصبح الجبار أمام طفله كالطفل ! .

حدثني منذ أيام صديقي الدكتور ن ... عما يلقاه من متاعب
الحياة ، وان جميع هذه المتاعب ينساها ويطرحها ظهريا
عند ما تدخل في الصباح بنته الصغيرة التي لا تتجاوز السنتين
وتلعب تحت سريره ، حتى تجمع له « فردتى البانتوفلى » وتقول :
« السبسب ... بابا ! ... » .

كنت أسمعهم معجبا مندهشا ، اذ كان يتكلم بأى روح ! ...

هذا الرجل الذى درس الطب وعاش فى بلاد الغربة بعيداً
عن أهله، ورأى ألوف المرضى فى حالات خطر وحالات يأس،
كنت تجده إذ يتكلم عن الطفل كالطفل !

وأمس ماتت الصغيرة التى لا تتجاوز ستة أشهر كريمة صديق
الأستاذ ح. ج. ما سلمت حتى ودّعت . لم تأت الا لترحل .
عبرت الطريق لتودع بعض الألم لمحيئها وكل الألم لذهابها ! ...
يا للعناية التى بذلت فى سبيلها ! ويا للسهرات التى ضحيت من
أجلها ! ويا للأمانى التى كانت معقودة عليها ولها !

كنت أراه يداعبها ويلاعبها فلم أقدر حبه إياها حق
قدره، ولكننى إذ رأيته من بعيد، يوم موتها، عرفت كيف
يكون حب الوالد والحزن على الولد .

إذاً فنحن الذين نعيش بغير حب وبغير أولاد لا نعيش
بكل قلوبنا . إنما نعيش ببعض هذه القلوب، فلسنا نحس
الحياة فى صميمها بل على هامشها ، فتجاربنا محدودة ومشاعرنا
منقوصة .

وليس للذين يألمون فى هذا السبيل من عذاب الولد إلا أن

يحمّدوا الله ، فهو سبحانه قد فتح لهم مناطق للحنان وللحب لم
يعرفها الكثيرون . وإذا كان يشوبها أحيانا بعض الحرمان
فإن رحمة الله كفيلة بأن تعوّض المفقود وتجبر الفؤاد، وعندئذ
يشرق نور جديد على حنايا القلب الحزين ! ...



الوفاء كالنار

عود الى حديث القلوب . وسبحان الذى أسكن فى كل قلب ما أشغله ! انظروا الى رجل آخر غير الأب الهائم بآبئه ، الرجل الذى يحب ولا يرى فى الدنيا غير محبوبه . وقد يكون ذلك المحبوب لا يستحق الالتفات ، تمر به ألوف الناس ولا يلقون اليه بالآ ، ولكن الحب يمر بألوف النساء الفاتنات ولا يشعر بوجودهن ، لأن الدنيا لا تسع إلا التى اختارها قلبه . وكنا أحيانا نرى فى البلدان الأجنبية الزوج الذين تفننت الطبيعة فى تبشيعهم يسرون الى جوانب الغوانى الشقراوات مما يجعل التناقض مدهشا مشيرا للغمزات والابتسامات . يحار المرء كيف بدأ ذلك الحب ، كيف تجرأ عليه أحدهما أو كلاهما ؟ ! كيف كانت النظرة الأولى وماذا تبعها بعد ذلك ! وكيف لم تهرب تلك الشقراء بدلا من أن تفتح ذراعيها لحب غريب شاذ ! والفرنسيون يطلقون على ذلك : سنة التناقض .

يمكن القول إذا بأن المرء فى الحب لا يختار ، كما أنه لا يختار مسقط رأسه ودينه وأبويه ، ولكن النظرة الأولى هى التى يجب أن تحاسب النفس عليها . لنفرض أنها وقعت على مخلوق علاقتنا به تورثنا الهم والغم ، وتفتح المجال لمتاعب ومصائب ، فلماذا نمضى فى الهوى والهوان ؟ !

من مصلحتنا عندئذ أن نتوقف ، وليس لنا أن نعتقد أننا مسوقون الى هذا بالرغم منا ، وان هذا هو حكم القضاء والقدر ، وتندفع بعد ذلك الاندفاع ، الذى يوصف عادة بأنه أعمى ، فى حين أننا مبصرون . فما أغربه من حب ذاك الذى لو أوتى صاحبه الصراحة لقال : إننى لا تربطنى بك أيتها المرأة إلا حاجة طبيعية مرهقة ، وأريد التحرر منها ولكننى لا أستطيع ، وإنى لأتربص الفرص للهرب منك والبعد عنك ! ...

أليس فى هذا من السباب والإهانة ما فيه ؟ ! أليس هذا هو البغض فى شكل الحب ؟ !

هكذا نجد فى العواطف التناقض . ولكن أهى عواطف هذه التى تتنازع وتعارض بدل الانسجام كالألحان ؟ !

وما دام فى الحياة الحب وفى الحب الحياة أليس لنا أن نتردد
فى الاختيار ولا نزعـم أنه فرض علينا فرضاً؟ ! أليس لنا أن نتأق
فيه أشد من تأقنا فى الطعام والشراب ؟

ولكن يوجد للسألة جانب آخر . لنفرض أن القدر قد
تسلط وحكم فعلا علينا بحب يراه الناس - وقد نراه معهم - ليس
هو ما نطمع فيه وما يجوز أن نتمناه على دهرنا، فكيف نفعل؟ !
ليس لنا أن نلساق ونتدهور فنزل دركات بعضها تحت بعض،
بل علينا أن نرفع هذا الحب الوضع درجات . نرفعه بالوفاء له
وبتخليصه من شوائبه حتى يفى لنا . فعندما يكون الوفاء فى الحب
متبادلا يرتفع الحب ولا يصبح وضعيا حتى ولو بدأ وضعيا .
فالوفاء يطهر الحب كالنار .

الشباب الراحل

ما هو شعورنا عند ما يموت شاب أو شابة في ربيع العمر بفاة ، وكان بالأمس مزدهر الصحة والعافية ضاحكا للدينيا يتأهب لاستقبال الحياة والحب ، فيدهمه الموت ويختطفه ؟ شعور استنكار غريب واحتقار لهذا الوجود الغادر الذى لا أمان له . شعور سخريه بهذه الدنيا التى لاتساوى جناح بعوضة . شعور استخفاف بآمالنا وطموحنا وجهودنا وما بذلناه بالأمس وما نعده للغد . شعور الألم سلفا على من قد تركهم أحوج ما يكونون الى عطفنا وحبنا ووجودنا . شعور خوف على هؤلاء الأحبة الذين قد تغادرهم بلا وداع . شعور الرغبة فى الانتقام لأنفسنا فى كل لحظة من هذه الحياة قبل أن تنتقم منا . شعور قنوط لتأكدنا بأننا اذا بدأنا بهذا الانتقام فانها الدنيا التى تنتقم إذ ذاك منا . شعور عجز مطلق وتسليم على طول الخط . ولا حول ولا قوة إلا بالله !

نحن فى هذه الدنيا نمشى فى ظلام دامس . كل ما نرسمه
من خطط ، وكل ما نحيكه من الأمانى ، وكل ما نعدده للمستقبل
القريب أو البعيد يضحك منه القدر ضحكا ترتعده الفرائص ،
لأنه ضحك شيطانى مخيف ، ضحك القوى من الضعيف .

يعزى بعضنا بعضا بكلمات فارغة (كالبقية فى حياتك) .
حياة من ؟ ! وأية بقية هذه التى يريد المحب أن تضاف الى
حياته من حياة حبيبه الراحل المفقود ؟ !

ليس أقطع من رؤية الشباب الناضر ، كفتاة أوفى ،
يغيب فى لحده ، ويهال عليه التراب ، ويترك وحده ، وينصرف
عنه المشيعون ، وينصرف عنه الأهل والمقربون ، وينصرف
عنه حتى أحب الناس اليه .

ستأتى غيوم الشتاء فتؤنس وحشتنا ، وستبكي عيون
السماء فتعزينا فى محنتنا . فاذا جاء الربيع حققنا على أزهاره
وورده ، لأن القاب منقطر ، والنفس فى حداد ، وهى تذكرنا
كم أهدينا الى الحبيب من زهر ، ولن نجد فى الشقاء إلا هدية
الهناء ، فنعود لنضعها بخشوع لدى القبر .

الكاتب ليس مهرجا !

كتبنا منذ ثلاثة أيام كلمة تفجع على الشباب الذى يختفى
بحفاة من الوجود إذ يقبضه اليه الموت ولا يرحم ذلك الربيع
بل يجردّه من الزهور . فاعترضت علينا سيدة « أسيوطية »
كريمة : « ... مالى أرى ذلك السيخط على الحياة وتلك
المرارة المؤلمة بأجل ممانها ؟ مالى أراك ترثى موت الشباب
فى حال أننى أحسدّهم لتحرّهم من قيود الحياة المرهقة ! مالى
أرى دموع الألم بين سطورك اليوم وعهدى بك المعزى لكل
الحن والمصائب ! إن الحياة ياسيدى مفعمة بالأحزان وكلنا قلبه
مكسور من نزلات الدهر وضرباتہ ؛ كلنا مستنكر ومحتقر لهذا
الوجود الذى لا أمان له ، فارحم نفسك وارأف بنا فالكأس
طاخفة ، ولا تزد على النفس مرارتها بل آبعث إلنا بما يفرج عنها
كآبتها وفرج عن نفسك معنا ... » .

وأنا أقول لسيدتى الفاضلة : إن الكاتب كالمصور يجب

أن يرسم جميع الصور التي تمر به ويقف أمامها يتأملها مع قرائه . فعند ما تمر أمامه مواكب الحزن والأسى ، عند ما يرى شبابا كان بالأمس القريب حافلا بالحب والحياة يغيب في قبر ، فهل يسكت أو يكتب ؟ ! هذا هو محور المسألة .

هل يبحث عندئذ عن موضوع آخر سطحى تافه ليكتب فيه ويملاء نصف عموده ؟ ! هل يغنى وصوته متحسرج بالحسرة ، صدره مختلج الألم ، وعينه تذرف الدموع ؟

أفلا يكون عندئذ زائفا عند نفسه وعند الناس ؟ ولماذا يحق للغنى أن يشكو ويتألم وينوح أحيانا ولا يباح ذلك للكاتب أحيانا ؟ أليس الحزن عظيما كالفرح إن لم يكن أعظم وأنبل منه ؟ فكيف تتركه يمر دون أن تتحنى له ودون أن نحياه ونحن انما نحى بتحيته المصير العاجل أو الآجل ؟

فاذا وصفنا هذا الشقاء للقراء ، أفلسنا نحمل اليهم في ذات الوقت العزاء ؟ ! ذلك أنهم يرون الحزن شاملا وليس وقفا عليهم ، يرون أن الدهر إن سرنا زمنا أساء إلينا أزمانا ، يرون أن

الاسانية قد اشتركت فى الألم الذى يطهرها من أدران
المسرات .

فالكاتب يا سيدتى يجب أن يكون صادقاً فى شعوره
وإحساسه ، أميناً فى رسم هذا الشعور والإحساس . لأن
هذه الأمانة هى الوحدة الروحية التى تربطه بالقارئ ، وتوثق
بينهما الألفة بل الصداقة .

وهذه المحطات الحزينة التى نقف عندها ، من حين إلى
حين ، تنبهنا من غفلتنا وتوقظنا من سباتنا فلا ننساق مع قطار
الملذات زاعمين أن الدنيا تجرى لنا ميسرة رخاء... ومن هنا تتجى
أيضاً الموعظة الحسنة ، وإذا كان المهرج مطالباً كل ليلة بأن
يضحك الجماهير المحتشدة فى المسرح لأنها دفعت ثمن ضحكها سلفاً
فإن الكاتب الأمين يأبى هذه الصفقة ، ويعيش حراً ، أى
يعيش أفراحه وأحزانه ...

المصير

« ١٧ مايو سنة ١٨٣٨ »

« ... مات « تاليران » . بغاء الأطباء وحنطوا الجثمان على طريقة
قدماء المصريين . أى أنهم أخرجوا الأحشاء من البطن والمنخ من الجمجمة .
ولما تم لهم ذلك ، وحولوا « تاليران » العظيم الى مومياء ، ووضعوا المومياء
في تابوت مكسو بالحرير الأبيض ، انصرفوا تاركين على منضدة فخ الداهية الكبير ،
ذلك المنخ الذى احتوى أفكارا لاتحصى ، وأوحى الى ألوف الرجال بما
لايستقصى ، وشيد صروحا وأقام أمجادا ، وقاد ثورتين ، وخدع عشرين
ملكاً ، واستوعب الدنيا .

وما أن خرج الأطباء حتى دخل خادم رأى ما تركوه فصاح : وى !
ما هذا الشيء الذى نسوه ؟ ! .

فاذا تظنونه قد فعل به ؟ ! لقد ذكر أن بالشارع صندوقا للقيامه فحمل
المنخ ورماء فيه ! Finis rerum »

فيكتور هوغو



هذه نهاية الأشياء ، نهاية الحياة العامة ، وإنها لنهاية مخجلة
حزينة ! ... وهى مكتوبة علينا جميعا . فاذا لم يكن المنخ ملقى

في القيامة فان الدود سيأكله . وهذه العظة المائلة ننساها
دائماً . ننساها ونتكبر على الناس ، ونظلم الغير ونستبد بالمستضعفين
في الأرض ، ونأثي كل محرم كأننا ملوكنا الأرض طولا
وعرضا ! ...

فلنقف قليلا أمام خاتمتنا الحزينة حاسرين . ولنذكر قليلا
أننا في يوم ما سنرقد جميعاً جنباً الى جنب ، لا فرق بين غني وفقير ،
وعظيم وحقير . وإن أكرمنا يومئذ عند الله أتقانا ، وإن أشرفنا
عند الله أكثرنا برا بالناس .



القلوب الكسيرة

أرسل إلى بعض كرام الناس كراسة «أوتوجراف» من التي يحتفظون بها عادة ويسجلون بها خواطر الأصدقاء أو الأدباء . تصفحتها فلم أجد فيها ما يشجني على أن أكتب شيئاً أو ما يوحى إلى بكتابة شيء ، على الرغم من أن فيها أسماء بعض الكبراء . ولكن جملة واحدة كانت تساوى كل ما فى تلك الكراسة ، كانت بمثابة الوسام الثمين على ثوب مهلهل ، وهى بالفرنسية بقلم سيدة مصرية ، وهذه ترجمتها :

« لن يكون لرجل أن يضع يده على حياتى ، على قلبى الذى لا يعنى خفقانه أحدا سواى » .

ففكرت فى أن أضع الى جانبها هذه الكلمات : « المرأة التى تعيش بلا حب ، أعنى بلا سيادة رجل عليها وعبوديته لها فى وقت واحد ، المرأة التى لا تعنى خفقات قلبها أحدا سواها ، لا تعد حياتها حياة » ثم ترددت وأجمعت ، إذ أدركت مبلغ

ما فى هذه الجملة من القسوة . وقلت فى نفسى : إن الذى يده فى الماء ليس كالذى يده فى النار . وتلك الجملة تنبئ بحزن عظيم ويأس شديد وصدمة عنيفة مصدرها الرجل بلا ريب . وهذه السيدة قد كفرت بحب الرجل ، بحب الرجال جميعا ، فلا بد من احترام حزنها والانحناء له ولها .

إن خيانتة لها فظيعة بلا نزاع ، لأن الإنسان يشم فى تلك الجملة رائحة كبدها المحروقة . ربما كان قد أعطاها حبا عظيما ثم حرمها فتضاعف ذنبه عندها ، وهو حتما قد انصرف عنها بعد ما قطف زهرة شبابها ثم ورثها أولادا ، من يدرى كم عددهم ؟ هم عزائوها حيناً وألمها حيناً آخر . ينادون (ماما) دون (بابا) لأنه أراد أن يكون أباً لأولاد غيرهم وزوجاً لأم غير أمهم ، ولعلها دون أمهم خلقاً وفضيلة وجمالا وإن كانت تفوقها مالا . فى رواية « ويانهيلم ميستر » للشاعر العظيم جيته جمعية اسمها « جمعية الإغضاء » وينبغى لأعضائها أن يغضوا الطرف عن كل شئ فلا يفكرون قط لا فى الماضى ولا فى المستقبل . وهذا بديع جدا فى مثل حال تلك السيدة ، ولكن هل

تستطيع ؟ هل تستطيع أن تهرب من ذات نفسها ، وتسكت صراخ قلبها ، وتخذ نار صجورها ، وتحتّرر من ذكريات عشر أو خمس عشرة سنة قضتها في سعادة ؟

ومع ذلك فليس لها أن تظل جالسة تحديق في ظلمات آلامها وتغزل أحزانها ، لأن هذا لا يجديها فتيلا . فعليها أن تعمل على النسيان . والنسيان يحمي عن طريق العمل اليدوي البسيط الذي لا دخل للعقل فيه . الثوب الذي تخطه بيدها لابتها أو (الأباچور) الذي تتأق فيه لحجرتها أو المفروش الذي تطرزه لمائدتها يلهيها أكثر من أى شىء آخر .

وهذا ما نجده أيضا في رواية « تاييس » لأن الراهب « بافنوس » ظل يقاوم شبح غانية الاسكندرية وهو يلحقه ويضطهده ، وظل يراها بارزة على الجدار ثم تشقه وتدنو منه وتعانقه . فيضرب رأسه بالجدار ليتخلص من اشتهاه ... ولم يجده ذلك . وانما لما بدأ يعمل بيده ويجدل الليف حبالا وسلا لا غاب عنه الشبح واستروح قلبه السلوى .

خدعوها !

قالت لى مرة فتاة فنلندية : « أظن أننا نصّدق كل ما يقوله الرجال » كلاً . إنما نحن نتعاطى ونتغابى . فنسمع كلاماً بعينه من كل واحد منهم . فتحمل أنفسنا على التظاهر بتصديقه . ونضرب صفحاً عن التكرار . لأننا نبحث عن الهناء الحقيقى ولا نجده فى أرض كلها سراب خادع وظل زائل ولون حائل ... » .

وهى تعنى أن هذه الخديعة من الرجال . أى أن كل الرجال يكذبون قليلاً أو كثيراً . فهذه الفتاة الجميلة ، الرشيقة ، الأنيقة كانت تبحث عن الهناء ولا تجده . وكلما عرفت رجلاً فى الجامعة أو فى مجتمع شريف ولفقت نظره وراح يتحدثها تشككت فى كلامه وتمنت مع ذلك تصديقه . فالقاعدة عندها أصبحت الخديعة ولكنها تبحث عن الصديق أو الاخلاص باعتبار أن لكل قاعدة شواذها . وهى كذلك أصبحت دون وعى

منها زاهدة فى الدنيا لأنها بدأت تعرفها على حقيقتها . وكل
يأس جديد يحمل إليها زهدا جديدا . ولعل هذا المصير الحزين
الذى ينتظرها ويكاد ينتظر كل امرأة جميلة ذكية الفؤاد رقيقة
الأحاساس هو الذى جعلها تبحث فى العلوم عن أشدها وعورة
بجعلت تدرس فى السور بون علوم الاحصاء . تحاول أن تحب
الأرقام وتنسى فى جمعها وطرحها وضربها : نفسها . وهذه مهنة
قلما تحترفها امرأة . فأكثر الفتيات يدرسن الآداب أو الحقوق .
وكانت تقضى لياليها منكبة على كتبها وبحوثها غارقة فى الأسانيد
والوثائق والمراجع كأنها اتخذت من الورق بيتا ومن الكتاب
حييا ! .

وكانت تقول أنها مع ذلك ليست قديسة . لأنها امرأة
لها الحق فى الحياة ، فى الحياة الوافرة الهناء بقدر ما هى وافرة
الحسن والذكاء . ولكن من أين لها ما تريد ؟ !

فالرجل العايب بقلب المرأة قد يتصور أنه يلهو ويتسلى
وقد يتصور أنه فى الوقت نفسه يلهيها ويسليها مع انه فى الواقع
يطعنها فى فؤادها . لأنه يدخل عليها الوهم باعتباره حقيقة .

وهو يسلبها راحة القلب التي كانت لها قبل أن تعرفه ويخدعها
ولا يعوضها عن ذلك شيئا . فهو آثم . وهو يشرع في إثمه ذاك
باعتباره طبيعيا للغاية .

فانظروا واعجبوا كيف أنه ابتدأ كلاما وانتهى إجراما .



فتاة حزينة

أمامي رسالة حزينة من فتاة حزينة مع أنها في العشرين من عمرها ، في السن التي تحلو فيها الحياة . آنسة « عبلة » وحيدة أبويها كانت تسكن الاسكندرية ثم انتقلوا منذ عامين الى ضيعة صغيرة في الريف ، فساد حولها السكون والوحشة مع أنها تقضى الصباح في مراقبة تدبير البيت ، وتربى الطيور وتعتهدا بنفسها ، وبعد الظهر تركب جوادا للتنزه أو تذهب لقنص الطير أو صيد الأسماك أو تريض على الأقدام ، ولها في ذلك حريتها . وفي المساء تجلس مع والديها فتعزف بعض الموسيقى أو تقرأ الصحف والمجلات . وهى مخطوبة وخطيبها سافر هذه السنة الى أوربا لاتمام علومه حيث يمكث خمس سنوات أخرى . وحاله المادية لا تمكنه من أن يأخذها معه . وكانت والدتها تود لو تزوجا وساعدتهما بما لها ، لولا أن لهما أقارب بحاجة الى المعونة فأثرت الفتاة ذوى قرباها على سعادتها وبقيت هنا ...

وتقول « عبلة » : « إذا قدر لي أن أعيش في هذا المنفى
خمس سنوات بعيدة عن العالم ومسراته فلا سبيل الى احتمال
هذه الحياة القاسية التي على منوال واحد . وروح الشباب تريد
التجديد . وقد فكرت جديا في الانتحار » .

ولكنها لا تكاد تقف في الصلاة بين يدي الله تعالى حتى
تنبذ هذه الفكرة الخبيثة ولا يفرج عنها إلا البكاء . وينتابها ألم
نفساني شديد فتسود الدنيا في عينيها وتخشى أن تصاب بمرض
عصبي لأن والديها قررا البقاء هناك وعدم الرجوع الى
الاسكندرية ...

والآنسة تسألني كيف الخلاص .

حقا إنها في أزمة نفسانية ليست مع ذلك عسيرة الحل ،
إنما أحب أن أقول لها إن ألفة الفتيات سيحسنها اليوم على
حياتها ولو كن يتنزهن على شاطئ (بولكي وستانلي) ما ذا
ينقصها ؟ بعض (التوايت) وبعض الشبان الذين تورث عشرتهم
الكتابة فلا تجدد المرأة فيهم نخوة الرجال ؟ ! أنها اليوم بريئة
طاهرة تنتظر رجلا ورجل ينتظرها . وهذا وحده يكفي عزاء

وهناء . لأن هناك ألوف الفتيات يعشن منتظرات بلا أمل
ولا رجاء .

إن طيورها التي نعتدها فى الصباح لها أرواحها الجديرة
أيضا بالتأمل والدرس . ستجد بينها الدجاجة المتواضعة النجول ،
وتجد الدجاجة (الغندوره) التى تتيه بقامتها وخطوتها ونظرتها...
وتجد الديك بعرفه الياقوتى يلفت عنقه ويحجج بطرف عينه
يمينا ويسارا ويرفع عقيرته بالصياح والغناء ...

وتجد جوادها يعرفها ويحبها . ينتظرها فى موعدها ويصهل لو
تأخرت عنه . ويفرح لقدومها وينحنى لركوبها وينطلق بها ... !
وتجد فى الصيد دروس الصبر الجميل وحلاوة اللقاء بعد
العناء . وتخرج اليها السمكة الفضية البيضاء ترتعش وتخفق
كقلب الحبيب الذى طال شوقه واصطباره .

فكرى إذا يا بنيتى فى هذا كله واعلمى — وأنت تؤمنين
كما تقولين بخبرتى وتجربتى فى الحياة — أن عشرة الحيوان
خير من عشرة الإنسان . وأريد أن أشير عليك الى جانب هذا
بشراء جهاز (راديو) . فالراديو فى العواصم هو شىء يهيم الآذان

ولا يطاق ، ولكنه فى الريف نعمة من النعم . يستطيع أن
تصل به بالقاهرة وطوكيو وباريس واستانبول ...

واذ كرى بعد هذا كله أنك ضحيت من أجل أقاربك .
فهلا ضحيت من أجل هئائك المقبلة؟! ولطالما أيتها الأنسة
«عبلة» انتظرت سميتك «عبلة العربية» صاحبها عنزة يخوض
المعارك والمعامع وينتصر لأن اسمها على لسانه . وأنت لك
«عنزتك» فلا تدعيه يفقدك فلن ينتفع بالعيش من بعدك .
وافرحى لطلوع الشمس وغروبها وسلام المساء
فى الريف ، فهو يحمل معه السلام الى النفس . أما هنا
فى المدن فالحرب والشقاء ... !

سـعاة الواجب

كنت مرة نازلا بين أسرة سويسرية يقطن عندها شاب انجليزى كريم الأخلاق . وقد دهشت فى اليوم التالى لنوع الطعام الذى يقدمونه لأنه كان رديئا جدا . فلما كنا على مائدة الفطور ذات صباح قلت له : أتعرف أن الزبدة التى نأكلها صناعية؟ قال أعرف . قلت : وكيف احتملتها شهرين طويلين مع أننى ضقت بها ذرعا بعد يومين؟ قال : إننى أكره الشكوى وكفى . و يوجد أناس هم على الضد من هذا الانجليزى يشكون من كل شئ ، من الجو والناس والأهل والقدر ، حتى ومن أنفسهم .

ولا تعالج شؤون الحياة بالشكوى . إنما لا بد لها من السيف القاطع مع الابتسام .

الآنسة الكريمة التى سألتنى أمس رأى فى حالها كانت تشكو من علة الضجر مع أن كل ما يحيط بها يدعو الى السلوى والاهتمام

بل والسعادة. ولكنها لتلقى الصحف وترى صور شاطئ «ستانلى وبولكللى» وتسمع عن غوانى الاسكندرية (بالبيچامات) وهواء البحر والسمهر فى ضوء القمر فتضيق الدنيا فى عينها وتعمل على تكوين ضجرتها . فهل هذا الضجر مهما أزداد واشتد بها يحل عقدها ويفرج عنها ؟ كلا، فهو إذا شرمحض . إنها تسيء الى نفسها من حيث ينبغى لها الاحسان، فالنفس كالجسم بحاجة الى الانصاف والعناية والتعهد والرأية . وليس لنا أن نلح عليها بأسباب نخلقها بخيالنا وأوهامنا ونزيد فى متاعها وهمومها ونحملها ما لا طاقة لها به .

السعادة تصنع وتكتسب . إنها تبنى حجرا حجرا، والعاجز هو الذى يعجز عن نقل الحجارة. وعند ما يجوع الرجل يفعل كل شئ لىأكل ، بل عند ما يجوع الرجل فى الصحراء ويظما يأكل التراب ، كما يقول لنا راحلتنا العظيم أحمد حسنين بك، فاذا كانت النفس جائعة فكيف نكتفى بالشكوى ونزيدها جوعا وضجرا بدلا من أن ندخل عليها ألوف المسرات البريئة التى فى متناول

يدنا . أما الذى ليس فى يدنا فهو سر شقائنا وهو غالباً ما نتعلق به .

فلتسأل فئاتنا الكريمة نفسها عما ينقصها . ولتحلل هذا النقص شيئاً فشيئاً ، تجده هشيماً تذروه الرياح . إنها محبة محبوبه فى صحة جيدة موفورة الرزق تلعب وتمرح ما طاب لها وتعمل وتجهد ما شئت ، وتسمع الموسيقى وتقرأ الصحف وتركب الخيل وتصطاد السمك وتتعهد طيورها . فلا أدري متى تتسرب اليها هواجس الشقاء ؟ إن عليها أن تقفل طاقة الأحران التى نفتحها على نفسها بذات يدها . فاذا أوت الى فراشها فعليها أن تذكر أن الدنيا ممتلئة بالفقر والمرض والشقاء والشيخوخة والألم والعار ، وأن تذكر أنها تعيش موفورة الحظ من المال والصحة والشباب والعفاف . ولتحمد الله كل ليلة ألف مرة ولتسأله أن يبارك لها فيما وهبها . ولتبسم للحياة وتحفل بها وتدخل السرور على قلب والديها فهما ينتظران منها فى شيخوختهما أن تكون قرّة أعينهما . وأن تدفع لهما الآن بعض ما بذلاه لها . وفى هذا سعادة أخرى هى سعادة الواجب .

المساجد والصلاة

« ... أريد أن أطرح عليك سؤالاً لتجيب عليه بما تشاء وكيفما ترعب .
وسيحمل علينا جمهور من ذوى العقول الضيقة يساعدهم في ذلك بعض المرائين
الذين يلطمون في كل مأثم حتى لو كان مأثم إبليس . ولكنى أعرف فيك
الشجاعة الكافية لاقناعهم أو ردهم الى حدودهم .
والسؤال : لماذا لا نتقدم بنظام المساجد فنبهوها بالمقاعد وننظم حركات
الصلاة حتى تتناسب مع الجلوس ؟

لقد كان موسى وأصحابه يصلون على الأرض ، وكان عيسى وأتباعه كذلك
لأن حياة الداس في أوقاتهم كانت تختلف عن حياتنا ، فلما جاء المتأخرون من
أتباع موسى وعيسى غيروا نظام صلاتهم بحيث تتفق مع حياتهم الاجتماعية .
انى أنتظر كمتكم في الموضوع ، كما أرجو أن يكتب فيه غير واحد من
الذين سوف يقرءونه والسلام .

عبد الرحمن فوزى

خريج جامعة لندن



تسألنى رأيي يا أخى ومع ذلك تجعلانى فى صفك قبل أن
أبديه ... و «تموشنى» بـ «ذوى العقول الضيقة والمرائين» ! .

قد يؤدى تطوّر الأحوال الى ما نتمناه من وجود المقاعد
فى المساجد ، وتنظيم حركات الصلاة بحيث تناسب مع الجلوس ،
وقد يؤدى التطوّر الى أكثر من ذلك .

ولكن أقول لك الحق يا أنحى ، ورزقى على الله ، أننى
أتمنى أن يكون هذا اليوم لا يزال بعيدا .

كنت مرة منذ بضع سنين عند صديق كريم فى مجمع
حافل ، وقرأ أحدا قصيدة ما ، فقام صديقنا ومضيفنا عن
مقعده وجلس على البساط قائلا : إنه لا يجوز سماع هذا الشعر
إلا ونحن جلوس على الأرض .

فطابت لى هذه الفكرة ، وشعرت بمقدار ما فى هذه العاطفة
من صدق ووفاء . ولم يكن يمكن أن يشعر بها إلا كاتب كبير
مثله .

والآن أذكر ذلك بعد عشر سنين أو أكثر . فأنت تريد أن
تدخل بيوت الله بالجرأة التى تدخل بها بيوت الناس . وتريد
أن تجلس على مقاعد مريحة ، وقد تغلو بعد ذلك فتطلب فراشا

وثيرا ، ثم قد تغلّو وتغالى فتطلب أن يقدّموا لنا المرطبات
صيفا والمدفئات شتاء .

يكفيننا يا سيدى ما نحن فيه من غرور الدنيا ، نركب
السيارة وننظر الى مخلوقات الله السائرين على الأقدام كأننا من
معدن أفضل من معادنهم ، وأولى بالهناء منهم ، والله يعلم أنها
حظوظ . ونركب الطائرة ، نزع الطير في وكره ، ونخلق في الحق
نعلو السحاب وكأننا نحاول الوصول الى أسباب السموات .

واذا جرى بين أصابعنا بعض المال ، صعرنا خدودنا
وسرنا في الأرض مرحا ، وطغينا ما شاءت نفوسنا الطغيان .
دعنا إذًا يا سيدى ندخل مساجد الله في ذل وخشوع .
ودعنا نسجد حتى تمس جباهنا الأرض ويلوثها الثرى ، لعنا
نكفر ذرة واحدة عن الظلم والإساءة والغرور . لاتحرمنا يا أحنى
هذه الترضية النفسانية ، وهذا العزاء ، وهذا التكفير .

وأنت لو دخلت الكنائس لوجدت سيدة جميلة أنيقة
ترك المقعد الخشبي وتجنّو بثوبها الحريرى تتحنى لسيدنا المسيح
وعيناها مغرورقتان بالدموع . أليس ذلك شعورا منها بالاحتياج

الى الضراعة والتوسل وهى فى موقف الضراعة حقاً والابتهاال ؟ !
ولن يكون ذلك بالجلوس رجلا على رجل ، وتنظيم حركات
الصلاة . بل اننى أذهب الى أبعد من هذا كله ، وكنت أؤثر
وأتمنى لو أنهم لم يستبدلوا فى بيوت الله بقناديل الزيت المتواضعة
الخافتة تلك المصابيح الكهربائية الساطعة الفاجرة ! ...

إن كل شىء يدور ويتحول . ولكننى أريد أن أكون
اليوم رجعياً والسلام .



رمضان

ثبت الهلال . واتجهت مئات الألوف من العيون الى السماء تنتظر وترجو . واتجهت معها مئات الألوف من القلوب تؤمل وتدعو .

نحن الآن أقرب الى الله، لأننا الى الفقراء أقرب . ألسنا نحرم أنفسنا طوال يومنا الطعام والشراب ؟ ! ألسنا نتساوى الآن في الجوع ؟ !

ولكن إذا غربت الشمس فليس لنا أن نترك الزاد يطغى علينا . لأن حكمة الصوم هي الحرمان . هي الزهد .

ونحن نتألق في موائد الفطور لأنها طبيعة النفس تريد أن تعوض ما فاتها . وخير لنا لو أننا لم نسرف، لأن المعدة بيت الداء . أولى لنا أن نخص بالصنف الزائد بعض الذين قلما يتاح لهم أن يذوقوا مثله .

إن أولادنا الذين نحمّلهم على الصيام فيذوقون عذابه ينبغي

لنا أن نعلمهم حكمته ، لأن الصوم من دون حكمته لا يساوى شيئاً . فلنعت الكبار أمامهم حتى يعطوا بدورهم الصغار مثلهم . فما أكثر الأولاد المحرومين وملاجئ أبناء السبيل واللقطاء غاصة بهم . فلماذا لا نصحب أولادنا يوماً في رمضان الى تلك الملاجئ ، ونحملهم الفطائر والحلوى والفاكهة ، ونحملهم ما فضل من ثيابهم ومن لعبهم ، ونجعلهم يعيشون ساعة في سعادة الاحسان بين أولاد لن يعرفوا آباءهم الأندال ، ولا أمهاتهم من الفاجرات أو الضحايا .

هذه حلقة صغيرة من حلقات رمضان . ولكنها تربطنا بالله .



لعب الأولاد

في القاهرة ، على ذلك الصليب العجيب لتقاطع شارع
عماد الدين وفؤاد الأول ، بين الساعة السادسة والسابعة مساء ،
يرى الإنسان الآن قطعة من أوربا ، أو بالأحرى من باريس ،
لأنه قلما يجتمع مثل هذا الجمال وهذه الأناقة وهذا التنوع
في الصور والأزياء في غير مدينة النور .

أصبح النظر الى المحال التجارية متعة للنفس . السيارات
الصغيرة الحمراء مكدسة على الأبواب تنتظر راكبيها الصغير الموعود
الذى لن يدفع فيها مليا ولن يخضع لصفارة (عسكرى) المرور
ولن يحمل هم الزيت والبزير ، بل يركبها فرحا مغتبطا في حديقة
الدار ، يضرب زمارتها في الفضاء ، وكلما ضرب تجدد ضحكه
وسروره .

وهذا منطاد «زبلن» معلق وراء الزجاج . رمز صغير
لحضارة عظيمة وشجاعة عظيمة ونبوغ عظيم . رمز يتعلم منه

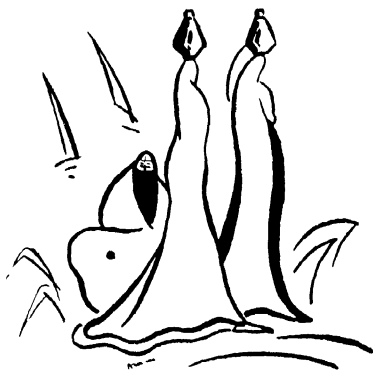
الولد أن وراء جدار البيت آفاقا فسيحة عليه أن يتطلب رؤيتها
وأن يساهم في مجازفتها وأفراحها وأحزانها وأمجادها جميعا .
فليست الحياة هي الأمان والاطمئنان . يجب أن ندفع في الحياة
ثمننا باهظا من قلوبنا ومن عقولنا ومن صحتنا وإلا كانت
الحياة خاملة كاسدة آسنة . وهذا النضال نفسه هو الذى نتغلب
به على فراغ الأيام وكآبتها .

ليس أجمل من منظر الأم الشابة تأخذ بيد ولدها الصغير
تجول به ويسير الى جانبها كأنه رجل يحميها . نعم يحميها من
النظرات الخائنة ويجعل لها حتى عند الرجل الطائش نوعا من
المهابة والقداسة . وترى أحيانا رجالا يسرون جنب نسائهم
كالنساء . وترى أحيانا أولادا يسرون جنب أمهاتهم
كالرجال ! ...

كل هذه الأناقة والرشاقة فى مصر قد اجتمعت بمناسبة
العيد البهيج . عيد الميلاد وعيد الإنسانية ، كأنها تحية
الاستقبال .

فعند ما تجتمع هذه الأسر التى لا يحصى عددها ، حول شجرة

الميلاد، فى ذلك المساء الذى كدست فيه اللعب والهدايا فى أسرة
الأطفال ومخابئ البيت حتى يمجدها ملائكة الدار فى الصباح ،
نشعر نحن المسلمين بهذه البهجة عينها كأن العيد عيدنا ، وهو
عيدنا فعلا ، لأننا أخوان فى إنسانية واحدة شعارها الرحمة والخير
 والمحبة ، وهى التى ولدت يوم ولد سيدنا المسيح عليه السلام .



ليلة عيد الميلاد

أعتقد أن أكثر الذين عاشوا زمنا في أوروبا قد شعروا
أمس ، في ليلة عيد الميلاد ، بوحشة غريبة . يستحيل على أنغام
« الجازبند » والأرجل الراقصة والصياح والضحك واللعب
والمزاح أن تغلب على صوت الذكريات أو تحو من النفس
صورتها .

سبحان الله ! في مثل هذا العيد ، في بلاد الغربية ،
كنت أشعر بأنى في وطنى واليوم في وطنى أشعر بأنى غريب !
من كان يصدق أن الدهر يضرب هكذا بسهم الفراق
بيننا وبين أوطاننا الروحية ، وبيننا وبين أحبابنا فنعيش بلداء
نأكل ونشرب ونعمل وننام بمحركات «أوتوماتيكية» ليس فيها
من الحياة إلا ظلها ومن الروح إلا اسمها ؟ !

من كان يصدق أن العيد يحىء وليس لنا برنامج ، وليس
لنا مائدة ، وليس لنا رقص ولا ضجيج ولا مفاجآت وليس

لنا أمل إلا أن نذهب فنتنام ، ونلقى على وجوهنا الغطاء
حتى لا نرى على لوحة الظلمات الأنوار الجذابة المصوبة إلينا
من وراء ألوف الأميال ، من وراء البحار والوهاد والجبال .

عند ما ينتصف الليل ، سنكون قد أويئنا إلى الفراش ،
فلن نذهب في موكب صاخب بين الحى اللاتينى ومونبارناس
نصعد القنادق و « البنسيونات » ، ونوقظ النيام من أصحابنا ،
ونخرجهم من فراشهم نلومهم على الكسل والنوم والخمول والناس
فى عيد ، لا نرحم ما هم فيه من دفء وما فى الخارج من برد
وثلج ، ولا نرحم إفلاسهم ان كانوا بلا مال ، بل نضع القروش
على القروش ، ونروح نحى باريس ونحى الشباب ! ...

لن نوقظ أحدا الليلة ، ولن يسأل عنا أحد . سنعود اذا
جن الليل منفردين الى صحراء « هليوبوليس » ، فنجد فى الجوّ
غيمة وفى القلب غيوما .

من كان يصدّق أن القلم لم يتحرّك حتى بتحية العيد يرسلها
بالبريد الى اخوان الصفاء والولاء ؟ !

ليس هذا الصمت إلا رحمة بهم وبأنفسنا . علام نرسل

هذه الوريقات المذهبة المصوّرة عليها النيل أو الأهرام ونحن
نعلم أنها ستكون بمثابة من يرفع الضماد عن جرح لم يلتئم !
بأى حق نقطر الصاب والعلقم ، برسائل العيد ، فى كؤوس
الشمبانيا والنبىذ الأبيض ؟

كفانا أننا نذكركم ، وربما زعموا أننا نسيناهم ..

اذكرونا مثل ذكرانا لكم رب ذكرى قربت من نزحا
واذكروا صبا إذا غنى بكم شرب الدمع وعاف القدحا



عيدهم عيدنا

يقولون ان الوطن مجموعة من الذكريات والأمانى .
وكذلك الإنسان عندى . فنحن نعيش على ذكريات الأمس
وأمانى الغد . فإذا غضب قارئى لأنى أتحدث عن ذكرياتى
فكأنه يريد أن يحرمنى نصف حياتى ، وإذا رضى قارئى عن
هذه الأحاديث فهو قد اتق الله فى هذا النصف الأول ! .

خذ مثلاً ذلك (الالبوم) من الصور التى جمعناها على
مدى الأيام . قلبه أنت فى يدك ، فهل ترى منه أكثر من لمحات
جمال أو مناظر خلابة ، أو صور أشخاص ، أو سفن وبواخر ،
أو مدن وشوارع ، أو مقاهى ومدارس ؟

ولكن أنا ! ، إننى آخذه فى يدى بحنان وعطف كأنه
ولدى . وأفتح بنوع من القداسة كأنه كتاب صلاة ، وأتصفح
بشغف كأننى أعيش مرة أخرى ، أيام هنائى وشقائى ، أيام
غنى وبؤسى ، أيام صحتى ومرضى ، أيام تمتعى وحرمانى .

كما أمس في أجازة عيد الميلاد . تركنا مشاغل الحياة اليومية
لنعود الى حياتنا الخاصة التي لا يشاركنا فيها أحد، حياة أفراح
وآلام مضت في حساب الزمن وهى باقية في حساب الروح .
وجدت صورة صغيرة لى فى منزل الأسرة الفرنسية التي كنت
أعيش معها فى عيد ميلاد سنة ١٩٢٩ بباريس ، ووجدت
حولى جماعة من الانجليز من نساء ورجال كانوا قد جاءوا
خصيصا من لندن لقضاء هذا العيد بيننا ، فطاب لهم المقام
حتى مكثوا بدل الأيام الخمسة ، خمسة عشر ! ... عندئذ
ذكرت تلك المودات التي توثقت عراها فى ذلك الزمن
الضئيل ، ووازنت بين أصحابها وبين كثير من الناس الذين نعرفهم
منذ سنين ولا تربطنا بهم مودة حقيقية . ذكرت الليالى
الساهرة فى السمر واللعب الزكى أو الزهات الخلوية أو زيارة
دور الآثار والمتاحف التي كان كل شخص منا له رأى فيها ،
ومجموعة تلك الأراء تكاد تكون كتابا فى الثقافة العامة .

شعرت بحنين غريب لوسط كل من فيه متعلم زكى

الفؤاد، يشعل الاحتكاك به نارا في الفكر تصقل الذهن وتجعل
للوجود معنى ساميا يجهله الذين يعيشون للأكل والخمول .
عيد هؤلاء الناس هو عيدنا . ان لهم دينهم ولنا دين .
ولكننا جميعا قد اجتمعنا عند دين عظيم جدا هو دين هذه
الإنسانية العليا التي لا دخل لها في المذاهب والشعائر، ودين
تلك الروحية العليا التي توحد بين نفوس قوم اجتمعوا من
أقصى الأرض ، والتقوا ليمجدوا النور الذي يشملهم ، نور
العقل ونور القلب .



كلما الغيث همى

شعرت أمس ببعض الهناء . لأن الجوّ قد اكفهر والمطر
ظل يتساقط من الصبح حتى المساء . وغسلت مياه السماء كثيرا
من أدران البشر . وشعر بالانقباض الذين يريدون أن يحيا
حياتهم على وتيرة واحدة . تطلع الشمس ، ثم تطلع الشمس ، ثم
تطلع ... كانت أمس طبيعتنا غنية . دلّتنا على أن عندها شيئا آخر
غير الشمس والحرارة . أرسلت مطرا ولو رزازا وغيرت لون
السماء الصافي الذى لا يتحوّل ، ولمعت الطرقات وعكست أنوار
المصابيح العالية ، واكتسبت أوراق الأشجار لونا من الزمرد ،
وكأن الدنيا قد أسرعّت الى عُرس لا يلبث أن ينفذ وتحل
السرايق وتطفأ المصابيح . فى ذلك البرد شعر القلب بالحرارة .
لأنه وجد الجوّ الذى يعرف كيف يعيش فيه . فإن حرارة
الشمس الدائمة تصيب القلب بالبرود . إن الجوّ الذى لا يتغير
كاللحن الموسيقى الذى لا يتنوع فليس فيه من الطرب شيء .

كان سكان البادية منذ أقدم الأزمان وما زالوا يتהלون
الى الله ويصلون حتى ينزل عليهم من السماء ماء فتخرج لهم
الأرض غلتها. ونحن مثلهم. نحن البدو التائهون في هذه المدنية
الزائفة. نحن أيضا نتهل الى الله ونصلى حتى ينزل علينا من السماء
ماء وثلجا حتى نشعر بأن الله ما زال معنا . حتى نشعر بأننا جزء
من تلك الشعوب الحية التي تعيش في الجليد وتبتكر وتخترع
وتبدع وترسم للكون آياته الجديدة .

فاللهم خذ شيئا من شمسنا، واعطنا شيئا من ثلوجهم ! ...



فى غفلة الدهر

فى غفلة الدهر يجب أن ننتهز لمحات السعادة . فالدهر
حسود حقود . إنه ينفس علينا الراحة والأمل والرجاء فى الحياة
والحب . إنه يأخذ منا أكثر مما يعطينا . إنه قد يغمرنا
بالمال ولكنه يقتر علينا فى رزق الفؤاد ، وعندئذ يصبح المال
شقة . أى شىء أبجل من أن نتفاهم فى الحياة روحان ؟ !
فهذه هى رسالة الحياة ، ولهذا وحده نكد ونكدح ونعيش .
الأيام نفسها متناقلة ، والليالى أشد وطأة . وعيش المرء
الى جنب إنسان غير ممتزج به فى الروح تمام الامتزاج هو ضريبة
فادحة تقصم الظهور ، فإن الخبز عندئذ يتل بالدموع .
أما اللذان يتفاهمان فإن الخبز الأسود يصبح لديهما ألد من
الشهد المصفى .

ما أكثر الذين يعيشون بجمود كأنهم بغير قلوب ! بعض
الناس الذين يحسون الألم والعذاب يحسدونهم مع أنهم أحق

بالرثاء لهم ، لأن الإحساس هو ميزان الحياة . وخير للإنسان أن يحس ويألم من أن يكون والجماد سواء .

لماذا نعيش ؟ ! هذا هو السؤال الذى يجب أن نبادر به أنفسنا كل صباح . هل نحن سعداء بأنفسنا أو أنها هى الأناثية السعيدة بنا ؟ ! قد تلذ لنا الوحدة ولكن الوحدة يجب أن يكون لها حق معلوم بحيث لا تفصلنا عن منطقة الإنسانية المفروشة بالقلوب . وعلى كل فرد أن يحاول أن يسعد فردا أو أفرادا ، أن يسعد أمه أو زوجه أو ولده ، وإلا فهو يسلب الحياة معناها ويخون رسالتها . لماذا يقطب وجهه ويدخل كاشرا عن نابه كالذئب فى الوقت الذى يجب أن يدخل على امرأته فاتحا ذراعيه مجددا الحب فى كل لحظة . فالحياة قصيرة أقصر من أن تكون صغيرة ، وضيقة محدودة .

وعلى الذين تفيض نفوسهم بالجمود والكراهية للبشر أن يعتزلوا البشر . وألا يتزوجوا حتى لا تشقى بهم زوجاتهم ، فليست المرأة خادما للفراش والمطبخ بل إنها روح البيت . وكذلك المرأة ، فان وظيفتها أن تنشر البهجة والحبور

وتنطق كل ماحولها بأنغام منسجمة كالموسيقى . تكون في ملابسها في الداخل خيرا منها في الخارج . تترين للزوج لأن الزوج يجب أن يكون الحبيب ، وان لم يكن كذلك فهي ضحية منكودة من ضحايا القدر .

ليس في الدنيا سعادة خالصة ، فعلينا أن نحاول تجميل الأيام الكئيبة ، وانعاش الليالي الحزينة ، وأن نحرص على عواطف الحياة لأنها تمر كالبرق الخاطف ، فهذه العواطف هي وحدها العزاء عن دنيا لا يرضى عنها أحد .

هذا هو ما خطر لي إذ قرأت في ليلة واحدة كتابا عن الحب باعتباره صعيدا مجهولا . رجل عاش مع زوجته دهرا وهو لم يعرف سرها ، ولم يكتشف حسناتها ، ولم يفهم مكنون عواطفها ، ولم ينبه كائناتها الخفي ويدنيه منه ويقربه إليه . فماذا كانت النتيجة ؟ ! إنها صارا كعدوين أو خصيمين ينكر كل منهما صاحبه وهما في خدر واحد !

والنتيجة ... ماذا كانت النتيجة ؟ !

بين التضحية والتمرد

«قرأت ما كتبه أمس في (ما قل ودل) عن الأشخاص جامدى الشعور عديمى الإحساس الذين يعيشون بلا قلب . وقد أثر في مقالكم تأثيرا عظيما إذ أننى إحدى ضحايا هذا النوع من الناس .

ترجعت من سمين مضت ، وكنت حينئذ حديثة السن لا علم لى بماهية الزواج . ولى الآن ولدان ، ولكن من يوم زواجى وأنا أعيش مع زوجى حياة جسدية لا عاطفة فيها . روحانا مختلفتان تمام الاختلاف لا ائتلاف بينهما ، عقليته مناقضة لعقليتى . وبالاختصار بكل ما كتبه من التحليل النفسى فى مقالك هو الحقيقة الواقعة .

ولكن لا ترى معى أنك قد شخصت لنا الداء بحذق ومهارة ولم تصف لنا الدواء ؟ لم تقل لنا ما يجب أن تفعله تلك المكودة ، ضحية المجتمع ، التى يمتزج خبزها بالدموع لما يختلج فى جوانحها من العواطف المتناقضة ، ولا عقادها بأنها مرغمة أن تعطيه جسمها ثما لحياتها المادية بالرغم من التنافر والكره المكتوم فى أعماق نفسها التى تشعر به نحوه .

هل من علاج فى علم الاجتماع لتلك الفئة التى لا هم لها إلا إرضاء الشهوة الجسدية ، والتى لا تفقه للذة الروحية والائتلاف العاطفى معنى ؟ أم هل قسم لتلك النعسة أن تعيش الى الموت مع شخص لا يمت اليها بأى صلة روحية أو عاطفية ؟ وإنى لردكم لمنتهفة ولكم الشكر من :
« سيدة بأسة »



سؤالك ياسيدتى البائسة عن علاج لهذه الحال يفتح كتاب
أحزان لاعداد لصفحاته . إنه سؤال لا جواب له إلا من نفسك
أنت ، فهذا الداء الواسع الانتشار فى البيئة الشرقية لسوء أنظمة
الزواج لا يوجد له دواء واحد يصح وصفه لكل فرد . سؤالك
إذا ترجمناه كان معناه : أيهما أختار : التضحية أم التمرّد ؟ !
فأنت واقفة بين بين ، تشعرين بمرارة التضحية وآلامها وذلها
ولا تجسرين على التمرّد بما يتبع التمرّد من مكافأة جديدة فى الحياة
تطلب جرأة عظيمة وتضحية أخرى . والمرأة التى تجد على ساعديها
ولدين تنكسر أجنحتها وتثبط عزيمتها وتؤثر التضحية غالباً .
وفى هذه التضحية عذابها ، ذلك العذاب الذى يتكرر كل يوم
ويتجدّد مع مطلع كل شمس . ومع ذلك إننى أسألك : أفلا تخفض
أصوات طفليك الحبيبين بعض سورة غضبك وثورتك ؟ بأى شىء
تشعرين نحوهما ؟ إنك تكرهين أباهما ولكن أفلا تحبينهما هما ،
هما الصغيران البريثان ، حبا يجعل ذلك الرجل بجوارك ولا وجود
له ، أم إنك تنظرين اليهم أحيانا زاهدة فيهما مستنكرة أن
تكون فلذة كبذك من ذاك الرجل ؟

إن أغرب العواطف وأشدّها تناقضا من الحب والغيرة
والهناة والألم والضجر والكراهة تتوالى على النفس كما تتوالى على
الأرض تقلبات الطقس من شمس ومطر ونسيم ورعد وبرق .
فهى كلها أجزاء من الطبيعة تكوّنوها وتجعلنا أحيانا فى حالات
من السعار والجنون فرحا أو حزنا .

والزواج ليس مجرّد العقد يعقد ، فما أسهل تلك الورقة التى
يوجد أحيانا وراءها ، فى روح الدين ، ما يحرمها . فليست
المرأة هى رهينة المهر يدفع والجهاز يشترى . ولو تغلغلنا فى صميم
ألف أسرة لفرقنا شرعا بين العشرات بل والمئات منها . فان
للجسد حرمة مقدّسة ، وقد يغتصب الزوج الشرير أحيانا زوجته
باسم العقد ، والدين الحنيف من هذا براء .

تسألينى فى التضحية أو التمرد ؟ ! ماذا أقول لك ؟ ! لو
كنت بغير أولاد لقلت لك تتمردى ورزقك على الله ، رزق فمك
ورزق قلبك . أما فى حالتك هذه فلا يسعنى إلا أن أشير عليك
بمحاولة جديدة لاصطناع السعادة . تلك السعادة التى ربما استحال
عليك أن تمجديها إلا بين طفليك ، والله يعوّضك بينهما بالروح
ما تحسرينه مع الزوج بالجسد !

فتاة جميلة

رأيت أمس فتاة جميلة تزهو بنفسها وشبابها زهوا غريبا
يكاد يبلغ حد الصلف . فهي تسير رافعة الرأس والصدر كأنها
تتحدى العالم، كأنها تتحدى النساء وتكيد الرجال؛ كأنها تقول
بجهاها : أنا جميلة وشابة، فكيف تسعني الدنيا ؟ !

خيل إلى أول الأمر أنها مسرفة وأنها معتدة بنفسها
لأنه يوجد سواها جميلات وشابات أيضا . ولكنني عدت
فقلت إن هذه الفتاة لها جمالها الخاص بها الوقف عليها، وقد
يكون فعلا فريدا، فلماذا لا تتيه بهذا المحيا الذي خصها الله به،
وبهذا الجسد الأنيق، والقوام العادل، والغصن الرطيب ! ؟
ثم عدت فوجدت تفسيراً آخر لزهوها : يستحيل أن يكون
كل هذا الزهو راجعا إلى أنها شابة وجميلة فقط، فإن الشباب
والجمال كثير . إنها لا ريب معتدة بشيء آخر وراء هذا كأنه
العضد والسند . إن قلبها لا يزال خاليا ، فهي تسير شاعرة

بإستقلالها ، تقطع الطريق رافعة الرأس لأنها ترى من حولها
القيود والأغلال ترى من حولها كآبة الحب الخائب والحب
الذليل والفؤاد الكسير . ترى نساء جميلات وشابات أيضا
أصابهن الذبول قبل الأوان ، ترى عيونهن النجل قد اطفأتها
الدموع . تحس أنك لو سألت كل واحدة من أولئك الحزنيات
المتجلدات فى عرض الطريق لسمعت من كل واحدة حكاية
تجعلها تهرب من الرجال . فما أكثر الذين يجتمعون من الجنسين
فى قران وكان ينبغى أن يذهب فريق الى الشرق وفريق
الى الغرب . وللقدر مفارقات أليمة تحير العقول . وقد يسخر
الناس من هذه المفارقات ، ولكن الأولى بهم أن يرثوا لها
لأنها ضريبة الأحزان التى حكم على البشرية أن تدفعها ثمنا السعادة
الأقلية ، السعادة التى هى أيضا مهددة فى كل لحظة لأنها
سعادة محسودة .

هذه الفتاة التى تسير فى غرور هى البكورة البريئة الخالية ،
أما البكورة العابثة فهى تسير منخفضة الرأس شاعرة بأنها
فى بحر الظلمات . بحر لا شاطئ له ولا أمان فيه .

أنا أفهم هذا الجبين المرفوع وهذا الصدر العالى ، إنه
رمز التحرر من عبودية الحيل ، ولكنه رمز لا يطول مداه ،
فإن الرجل يتربص به ، وقد قضى الدهر بأن يخط الرجل على
هذا الجبين ما سوف تراه العيون ! ...



الشتاء صديق النساء

كان الهواء أمس لاحاً وبدأ الشتاء يقدم بعد إجمام .
وكثيرات من السيدات لا يحببن الشتاء مع أنه صديقهن وعليهن
أن يحببنه لأنه يرد اليهن أزواجهن فيؤثرون الرجوع مبكرين بدلا
من الدوار في الطرقات والمقاهى كالتائهين .

وعلى المرأة أن تعرف كيف تنتصر داخل البيت لاخارجة .
فهى إذا تأنقت للخارج ولبست فى الداخل زرى اللباس فمعناه
أن زوجها ثانوى الأهمية بالنسبة للغرباء .

أجل . على المرأة أن تعرف كيف تجمل البيت لتجتذب
الرجل وتعطيه ذوق البيت . يتها يجب أن يكون الف ليلة
وليلة فى براءة واحتشام ، يجب أن يشعر الرجل عند دخوله أنه
يدخل معبدا من معابد الهنود فيه العطر والبخور ، وفيه الحرير
يغلف النور ، وفيه الذوق والانسجام ، وفيه العطف والحنان ،

فيدخل شاعرا بدخوله حرما . وليس جلوس الرجل الى جنب زوجته وأولاده إلا نوعا من العبادة والصلاة .

فالمرأة التي تذهب الى الخياطة لتفصل أزياء الشتاء يجب ألا تضع نصب عينيها الظهور فقط بهذه الملابس عند فلانة وفلانة لترهو أو تتكبر إنها إذا عابثة . على المرأة أن تحب الاناقة حتى يفخر بها زوجها من جانب ، وحتى ترضى ذوقه من جانب آخر . فإذا لم تكن تحبه بحيث يكون هو وحده الذي يملك كل حياتها وتفكيرها ، اذا لم تكن تحبه بحيث تُتمنى بعد هذا العالم أن تلتقى به هو نفسه لا أى أحد سواه ، فهي شهيدة .

فاذا دخل الرجل البيت كل مساء فيجب أن يكون دخوله مرحبا به ، منتظرا بفارغ الصبر من زوجته ، كما لو كان عائدا من سفر طويل ، أو كما كان نساء الأمس يستقبلن أزواجهن الحجاج العائدين من الحجاز . فتضع بين يديه لا التمر والعسل ، ولكن عواطف فياضة بحب يتجدد أبدا له كل يوم مزاج وكل يوم فتنة ، لأنها يجب أن تكون الفتانة ، بل يجب أن تكون الفتاكة ! ...

والتي تفعل ذلك تكون هي العارفة بقلوب الرجال . قلب
الرجل حصن ضعيف المقاومة سريع الاستسلام . فيجب أن
تكون هي وحدها الغازية الفاتحة ! ... ويجب أن تنتهز الشتاء
لتكسب الشتاء والصيف جميعا . وتستمر العجلة تدور . فالحياة
قاسية كلها غواية وفوضى وكلها نسيان ومحو . والرجال
مقلوبون يعرفون ما سلحتهم به الطبيعة من سلطة وسطوة غشوم
فيستبدون باسم حقوقهم ما طاب لهم الاستبداد !

فعند ما تغيم السماء ويهطل المطر يجب أن يصفو البيت
ويهطل بالخير واليمن والحب ، وتدفا فيه الأجسام والقلوب .
فهذا هو وقت اكتساب الفؤاد . أما في الصيف على شاطئ
البحر فهو العبث والنزوة الطارئة التي لا تأتي حتى ترحل .

بين جدران البيت ، في وقت تجهم الطبيعة وغضبها ، عند
عصف الرياح وهطول الأمطار واشتداد البرد ، يكون مجال
العواطف البيتية النبيلة ، العميقة ، المستمرة ، الصادقة ، التي
تكفل للمرأة اكتساب الرجل ، لأن المرأة يجب أن تكسب
زوجها كل يوم ! ...

رأس السنة الهجرية

أرسلت إلى آنسة كريمة من قارئاتي العزيزات ، المعروفات
المجهولات ؛ اللواتي كثيرا ما أكتب لهنّ ، أرسلت إلىّ في عيد
رأس السنة الهجرية ، شيكا على بنك السلام والوئام العالمى
بمبلغ ٣٦٥ يوم هناء! ... وعلى الشيك أن للبنك فرعا في كل بيت! ...
يا ليت! ... يا ليت لهذا البنك فرعا في كل بيت ؛ ويا ليتنى
كنت أستطيع أن أصرف هذا الشيك وأن أقبض مقابلها
عام سعادة! ...

ولست أدري ، هل التى بعثت إلىّ بهذا الشيك لها رصيد
عظيم تبذر منه هكذا باليمين وبالشمال ! ... وهل آثرتنى وحدى
بهذا المبلغ العظيم أو أرسلت الى غيرى ووهبت سوى !!
وعندى أنه يصعب على أى بنك فى العالم أن يصرف لفرد
واحد ٣٦٥ يوم هناء فى العام ! فان هذا كثير على الانسان ونحن
لم نخلق فى هذه الدنيا للهناء بقدر ما خلقنا للشقاء .

وإننى لا أطمع من عامى الطويل فى أكثر من ٣٦٥ ساعة سعيدة . على شريطة أن تكون سعادتها خالصة ، كاملة ، أنسى فيها كل هموم الدنيا ومشاغها وأتراحها . أنسى فيها الماضى والحاضر والمستقبل . أنسى فيها من أنا ، وأين أنا ، وكيف أعيش ، وماذا أنتظر من دهرى ، وماذا أتمنى ، ولماذا أشكو ، وأنسى كل شئ ! ...

لو أننى ذهبت وطرقت كل باب ، كل باب بلا استثناء ، وسألت أهل الدار هل يصرف من عندهم هذا الشيك ، لا بتسموا وقالوا: لو أن عندنا رصيذا كافيا لهذا الشيك لكننا من غير هذا العالم ! فليس فى تاريخ السعادة ٣٦٥ يوما متوالية ، ولا ٣٦٥ ساعة متوالية ولا ٣٦٥ دقيقة متوالية ! ...

إذن يصح أن يصدر هذا على بنك الأمانى . وإن يكون هذا الشيك المرسل إلىّ هو دعاء ورجاء . وما أحوجنى الى هذا الدعاء ، والرجاء فى الهناء ، يرفع الى السماء ، من فتاة طاهرة ! ...

دموع السماء

بكت السماء أمس حتى شبت بكاء . فهل كانت دموع
حزن أم كانت دموع فرح ؟ ! من يدري ! ... نحن نفسرها على
هوانا . بعضنا يعجب بها ويطرب لها ، وبعضنا ينقبض منها
ويقبع في عقرداره ، وبعضنا يجد فيها عزاء أى عزاء ! .
بعضنا سيدشعر ، وهو الكسير الفؤاد ، أن السماء تشاركه أحزانه .
ونحن بحاجة الى هذا التصور ولو كان ضلالة من خيالنا .

وبعض الناس قد فرحوا أمس بهذا المطر لا لشيء إلا
لأن فيه رزقا لهم . الفلاح في أرض جافة ، والعربي في البادية ،
ينتظران الغيث المنهمر . والغلام الصغير الذى أضناه البحث
عن حذاء يمسحه ، والطرايشى الذى ينشد الزبائن الذين ينسون
طرايشهم أشمرا ، والكواء الذى يريد أن تمتلى حانوته بالبدل .
كل هؤلاء وغيرهم يرون في المطر رزقا . لأنهم لا يفكرون إلا
في لقمة العيش . تلك اللقمة التى أصبحت فى أيامنا عسيرة
المنال لا بد من دق حجر على حجر للوصول اليها .

كُلُّ يأخذ من السماء رزقه . ويأخذه حتى من دموع
السماء ! . ولقد شعرت أمس ساعة ببعض ، بكل الهناء .
نسيت الدنيا بأفراحها وأحزانها وبنيت لنفسى دنيا ليس فيها
إلا السماء تبكى وقلبي يخفق . فى خفوقه من الحاضر ومن
الماضى . فى خفوقه من الإحساس بجمال اليوم وروعة الأمس .
فى خفوقه من وعود الحياة ومن شجون الذكري .

هذا هو رزق الشعراء . وقد يسخر منه بعض الناس ،
وقد يعدّه البعض أضغاث أحلام ، ويعدّه آخرون خيالا
فى خيال ، ولكن الشاعر يفخر بأحلامه وخياله . فهو يعيش
بها ولها . وهو يزيد الدنيا بها جمالا . ولولا هذه الأحلام
والخيالات لأصبح الوجود غليظا كثيبا . ترى ماذا كانت تكون
الدنيا بغير الشعراء ، بغير أحلامهم الجميلة ، وخيالاتهم النبيلة ؟ !
ترى ماذا كانت تكون الدنيا بغير سمائها التى تارة تظلم وتارة
تصفو ، وتارة تختفى وراء سحبها وتارة تبدو ، لأن السماء لها
أيضا خيالاتها وأحلامها . وإلا لماذا تذرف الدموع ؟ !

الحب والموت

رأيت رواية يموت فيها حبيب امرأة فتلجأ الى السحر والشعوذة أو ماشابه ذلك لترد اليه الحياة . فابتسمت لسذاجة الوسيلة ورثيت لمطامع ابن آدم .

ففى الموت يتقدس الحبيب . تزول الاختلافات التى بيننا وبينه ، وينتهى ما كان يصدمنا من أخلاقه أو طباعه ، وتبدل عندنا سيئاته حسنات . سيصبح حينا له روحيا حالصا بعد ما كان ماديا وروحيا فى وقت واحد أحيانا ، وماديا خالصا أحيانا . سنشعر نحن أنفسنا بأننا لم نكن معه كما كان ينبغي أن نكون . سنشعر بأننا قد أسأنا اليه أحيانا بلا موجب ، وقد أغضبناه مرة أو مرارا ظلما وعدوانا لعصبية مزاجنا أو شذوذ أخلاقنا وأننا لم نمتعه بكل ما كان يجب أن نمتعه به لأننا حرمناه بدافع الإهمال أو دافع البخل . ويخزنا ضميرنا لهذا كله وهذا الوخز هو كفارة الذنب والتماس للغفران .

يتقدّس الحبيب بالفراق . تزول عندئذ الفوارق التافهة
التي كانت تبدو لنا في حياته كبيرة. وتلوح لنا صورته أشدّ جمالا
وفتنة مما كانت أبدا .

ونقول عندئذ كيف زاغت عيوننا عن هذا الحسن كله فلم
نمنحه كل قلوبنا ولم نقصر عليه كل عواطفنا ولم نقف عنده
ذاهلين ؟ !

لو عرف الناس قسوة الموت ل زادوا إعزازا للحياة . لو
عرف الناس قدر الحبيب لأحبوه حق الحب ، ولكانوا أشدّ
مما هم الآن ولاء ووفاء ...

انظر الى ما يشجر بين حبيبين ، بين زوجين ، من خلاف
على أبسط الأمور ، تشعر بالجل لقصص النظر وسوء التقدير وانتمسك
بالنافلة وتجسيم قيمة الماديات والحساب العسير على النظرة
أو الابتسامة أو الدمعة أو الكتابة ... انظر الى الغيرة الجنونية
التي تنشب أظفارها في عنق الحب فتقضى عليه في بعض
الأحايين قبلما يزدهر ويملأ الحياة بهجة . انظر . وانظر ! ...
يا لنا من مخلوقات ضعيفة تبحث عن رشدتها وعن خيرها

فى أحوال كثيرة فلا تجد اليه سبيلا ... ترى ... أفلا بد من
الموت ليوقظنا، وينبه ضميرنا، ويقفنا على أغلاطنا وإخطائنا،
ويعلمنا التسامح والغفران ، ويدكرنا بقدسية الحب وأنه أعز
ما فى الوجود، وأن من دونه لا تساوى الدنيا جناح بعوضه ؟
أفلا بد من الموت لنفهم الحب ؟

الخبز الروحى

اختفى الشحاذون أو كادوا من القاهرة أو على الأقل من بعض الأحياء . ولكن الشوارع مازالت ملاءى بالذين يشحذون من الدهر السعادة ويسألون الأيام الهناء . وهؤلاء أشد فقرا وأكثر حاجة من الذين يمدون أيديهم بطلب الخبز . فهم ينشدون خبزهم الروحى غذاء القلوب . وهم يذكرون ذلك كله خاصة فى العيد . لأن العيد هو احتفال بالحياة بل واحتفال بالموت أيضا . ألسنا نلبس فيه الحديد ، ونأكل الشهى من الطعام ، ونتزاور ويهين بعضنا بعضا ؟ ! ألسنا نقصد فيه المقابر نحمل الزهور ومن كل الثمرات ونذرف دمعة عند مئوى القريب والحبيب ؟ !

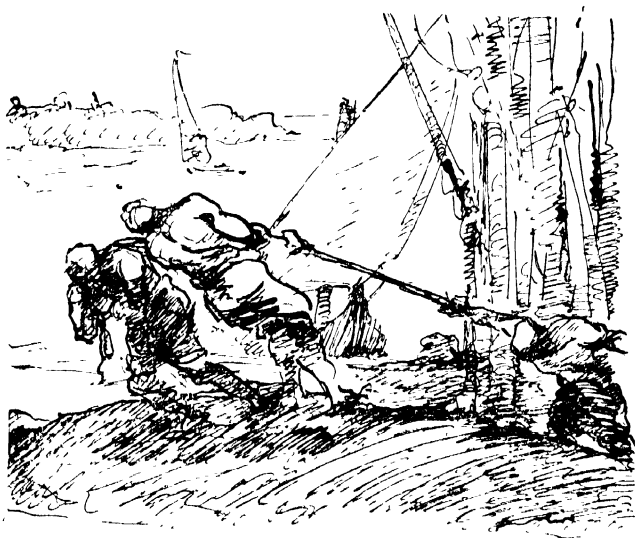
ولكن أريد أن أفترق بين الباحثين فى مفاوز الأرض عن راحة القلب . فأكثرهم ينشد اللذة لا الهناء . ويوجد فرق شاسع بين هؤلاء وهؤلاء . فأكثر الناس قد سعدوا باللذة

وحدها، اللذة الطارئة العنيفة، العارضة، المتجددة، ولكنها لا تترك وراءها إلا الحزن والمرارة . فهي أسهل من الهناء لأنها تشتري أما الهناء فيقتنى . اللذة كوميض البرق يخبو بعد طرفة عين أما الهناء فيحلاّ الوجود . اللذة هي المخدر أما الهناء فهو الرحيق . اللذة تجعلنا نتشكك في معنى الحياة ومعزى المصير ، وأما الهناء فهو الثقة بأنفسنا وبالناس وبالخير وبالحب .

اللذة أمل الأنانية وهي عيد الأثرة . والهناء هو الايثار والايان . اللذة شيطان جذاب ولكن الهناء ملك كريم . بعض الناس يحبون الشيطان لأنه براق خلاب كالنار . وهؤلاء يصيبهم من اللهيب نصيب . ولكنه ليس اللهيب المقدس . لأن اللهيب المقدس يشعل القلوب الطاهرة، المطمئنة، الصابرة، الذاكرة، التي تعرف حقها، وحق الناس، وحق الله . فاذا حرمت دهرًا من هنائها انتظرت ولم تيأس ولم تقنط من رحمة ربها . لأن الهناء في الواقع هو جزء منها كالفضيلة . تأملوا أبسط الأشياء الفاضلة وهي زيارة الموتى في يوم

عيد . فنحن أمام تلك القبور الحجرية التي يرقد تحتها أحبائنا
نقف متعطين ، ذاكرين ، خاشعين ، ونصرف عنها بعد البكاء
ببعض العزاء . فهذا هو ضرب من ضروب الهناء . وفيه راحة
القلب فعلا لأنه تجرد عن لذة الأشقياء .

فانظروا كيف يحسن إلينا الحبيب حيا وميتا ! ...



مظاهر العيد

انظر الى شوارع مصر الكبرى، كنفؤاد الأول وعماد الدين
وقصر النيل، وكيف تموج المحال الفخمة بلعب الأطفال
الحديدة، تتشابك على الباب وتدور من وراء بللور الوجهات؛
تضيء أنوارها وتنطفئ، وننكشف أسرارها وتحتجب، وتغرى
تلك النفوس الطاهرة بالنظر فيها والتعلق بها، وينظر الرجال
والأمهات الذين ليس لهم أولاد الى تلك الملعب البديعة بشيء
خفى من الحسرة، وينظر الرجال والأمهات الذين لهم أولاد
وليس لهم مال بشيء كثير من الحزن والقنوط، ويدخل الأغنياء
ومتوسطو الحال يشترون ويهدون الى أحبابهم من الصغار الوانا
شتى من اللعب والهدايا .

هذا هو مظهر العيد . أفلا تراه مظهرا جميلا فعلا يبدأ
بالتفكير في الأولاد تلك الأكباد التي تمشى على الأرض ؟ !
أليست هناء البيت تكاد تجتمع في الطفل وتقضى بأن يستمد

الأهل سعادتهم من ذلك المخلوق الصغير سواء أكان يحبو أم كان قد شب عن الطوق أو صار بعض الرجل ؟! أليست هذه اللعب التي نقدمها اليه هي امتحان لذكائه وشحذ لقريحته وترويض لفكره وجلاء لذهنه ؟! فهم لا يتخمون به بالكعك بالسكر ولا باللحم الأبيض واللحم الأحمر ، وهم لا يملأون بطنه وانما يهذبون نفسه ، ويصقلون استعداده ، فلا يكون العيد عنده أن يأكل ثم يأكل ثم يأكل ، ولكن أن يشترك في أفراح الأسرة بليلة عيد الميلاد تحت تلك الشجرة التي تضيء فروعها وتتناقل أغصانها بالتحف الصغيرة والهدايا المهدبة .

ليت تلك (الحلاوة الحمراء والحلاوة الصفراء والحلاوة البيضاء، والحلاوة الحمضية والسمسمية والجوزية والشكلية والهريسية ... الخ الخ) تختفى من أعيادنا ومواسمنا ليحل محلها ما هو أرقى وأجدر بالطفل والبيت .

فإن تلك الحلوى القذرة التي تفسد معدته وأسنانه ، لا يجوز أن تكون رمزا للولد النبوى الكريم ولا علامة عيد . إننا في حاجة الى أخذ أشياء كثيرة جدا عن الغرب حتى لعب أطفاله .

رأس السنة الميلادية

من ذا الذى لا يتوقع فى عيد رأس السنة أن يحمل اليه
القدر خيرا جديدا . هل فى هذه الدنيا الطويلة العريضة رجل
(أو امرأة) سعيد تمام السعادة يريد أن يبقى حيث هو لا يتطلب
المزيد أو التبديل ؟

سمعت أمس ابن بلد يغنى على الباب أنشودة شجية تقول
« ما حدث فى الدنيا من الهم خالى ... » وقد صدق . لا فرق
فى ذلك بين كبير وصغير أو غنى وفقير فالهم جزء من الحياة
لا يفصل عنها ، وفى مستهل العام يشعر الانسان بأنه قد طال
به انتظار الهناء فهو يصنع ثوبا جديدا كأنه يريد أن يودع مع
القديم الهم المقيم .

حقا أن كل لحظة من لحظات السعادة محسوبة علينا بعشرة
أمثالها نتمتع بها اليوم لنُدفع ثمنها غدا أضعافا فهل ياترى يخلصنا
أول يناير من حساب خاسرومن تركة مثقلة بالديون ؟ !

هذا هو الذى نتمناه . والناس على ذلك يحتالون أنواعا .
بعضهم يلعب ليرى هل يكسب أم يخسر . وبعضهم يحطم
الكؤوس ، بعد شراب نصف الليل ، ليكسر من شرة القدر .
وفى هذا اليوم الحديد ، المشرق ، المسؤول عن نفسه ،
لأنه أول يناير ١٩٣٤ ، شعر برجفة التمنى والرجاء . نشعر بعجزنا
وقوة المجهول . نشعر باستسلامنا وسطوة الغد . نشعر بأننا
مخلوقات ضعيفة ، مسكينة تسير على غير هدى ، نتلمس النور
فى الليل وتنشد النظام فى القوضى ، ونتمنى الوصول الى شاطئ
الأمان وهى نتخبط فى بحر الظلمات ...

كثير ما يعرض الخير لنا فنعرض عنه كثيرا ما تقف على
بابنا السعادة وتدق الباب ثم تدق ونحن لا نسمع فننصرف ،
والسعيد الذى يفتح لها يكون هو الموعد الذى أوحى اليه
بأنسمع . أما الشقى المحروم فيعيرها أذنا صماء ...

لذلك يمثلون الحظ بملك مغمض العينين . قد امتلأت
جعبته ذهباً وهاجا وهو يبحث عن ياقى فى حجره هذا النصار
ويخلص منه ! .

وهم يمثلون الدنيا بفتاه جميلة حجبوا عينيها وجعلت
تدق على جميع الأوتار حتى تقطعت كلها ولم يبق إلا وتر
الأمل في الله ...

لذلك أيضا يصعد البعض جبل عرفات ، ويقصد آخرون
بيت المقدس ويروح غير هؤلاء وهؤلاء أناس يهيمون على
وجوههم الى أقصى الأرض في طلب أشياء أخرى لا يكادون
يعرفونها على وجه الدقة وان كانوا يشعرون بها ، يريد البعض
أن يفنى في الله ، ويريد آخرون العون من الشيطان ...

وفي أول يناير تقف جميع الكائنات مندهشه لهذا المصير
الغريب ، متسائلة عن الحب الأبدى الذى لا يندع ولا ينحون ،
متسائلة عن معنى الوجود وسر الكون ، فلا تكاد تظفر عن
سؤالها بجواب مقنع حاسم .

فنحن نسير هكذا ، طوعا أو كرها لأن الدنيا تسير وكفى ،
وقد نود لو نقف هنيهة لتأمل ونستوعب ونحكم ونختار فلا نجد
وقتا يسمح لنا بالوقوف أو التمهّل واذا وجدنا الوقت دفعنا

الناس من كل جانب من حولنا إلى المسير، لأن الناس يهرعون
كالجائعين إلى المصير! ...

أول يناير! ... رباه! ... هل يحمل شيئاً جديداً وجاء يراكم
القديم على القديم ، ويزحم المموم بالهموم ، ويكسر النصال
على النصال ؟!؟

ليكن أول يناير ما تشاء يا رب أن يكون ... على شريطة
أن يحمل للارواح الحائرة : بعض الهدى ، وللأفئدة الحزينة :
بعض العزاء ، وللنفوس اليائسة : بعض الأمل ، وللقلوب
الظامئة : بعض الحب ! ...

شمم النسيم

حمل الغواني أمس من الكئاس ، في نصف الليل ،
الشموع الموقدة حتى بيوتهن ... وحرصن طول الطريق على
ألا تنطفئ حتى يسعدن طول العام ! .

كلنا في حالة التني هذه . كلنا يحمل في يده ، أو في قلبه ،
هذا السراج يريد أن يظل موقدا ، ويخاف عليه هبة الريح ،
أو خطرة النسيم ، أو تنفس انسان ...

شعرت لمراهن بعطف ورجاء ، وذكرت أن جماعاتهن
الصغيرة هي رمز الجوع الغفيرة . رمز الملايين التائهة في بيداء
الحياة والحب تبحث عن الرفيق وتتمنى اللهب وتريد أن تشعر
وتعذب ويكون لندائها صدى ويكون لصوتها مجيب ويكون
لا تنتظارها فائدة .

وجماعاتهن الصغيرة ، أولئك الغواني اللواتي يحملن الشموع ،
هي أيضا رمز الملايين التي وجدت طلبتها وأجيب توسلها

و بلغت متمناها ولكنها تخشى عليه فى كل لحظة وترى أن تحوطه
بضروب الإعزاز والرعاية وأن تجعله ، برغم الدنيا الغادرة ،
فى حرز حريز .

ولكن أى الفريقين أسعد حظا ؟ ! أولئك الذين لقوا
متمناها وهم فى خوف عليه وخوف منه ، أم أولئك الذين مازالوا
يبحثون عنه أو يعيشون فى انتظاره ؟ ! كلا الفريقين يتوجس
خيفة . ولكن الذين لقوا الحبيب واطلعوا على سر الحياة قد
يطغون وقد يتكبرون على المحرومين . وقد يكابدون الذين
مازالوا فى الانتظار ويتيهون عليهم . أتراهم لم يسمعوا
أغنية « لوسيين بوييه » وهى تقول : « لا تقل (دائما
أبدا) لأن ذلك فى الحب كفر وتجديف ! فليس هناك من
يعرف . والمرء إذا ما أحب الآن أقسم بمغلظ الإيمان ثم بكل
بساطة ينساها ... لا تقل (أبدا) فليس فى الحب ما يربطك ...
إن الإنسان يمل حتى من الهناء ... » .

وإنى أشفق من ترجمة الباقي . وأشفق من ذلك خاصة
فى يوم شم النسيم الذى يجب أن يكون خالصا للحب والرجاء

فى دوام الحب . ولولا هذا الرجاء لأظلمت الدنيا فى عيوننا
ولا تقلب شم النسيم ريح الخماسين .

فى أحضان الطبيعة اليوم ، بين الزهور والحبور ، ستوجد
نفوس كاسفة البال ، حزينة ، لأنها لم تجد شطر روحها ونعمة
حياتها . فعليها ألا تفكر كثيرا . عليها أن تنطلق أيضا مع
المنطلقين ، فاتحة ذراعيها للنسيم ، وتشغل ولو قليلا بما حولها
عن نفسها ، وتنسى المرارة العالقة بفمها وتندمج فى موكب
السعداء ولو لم تكن منه ، ولو كانت غريبة عنه ، وتساءل
لماذا تذبل كالزهرة على عودها وهى منكشة تأبى النور وتأبى
النسيم ، وهى تأبى أن تأخذ ولو من ظاهر الفرح بنصيب ؟ !
تمنيت أمس لو عدت طفلا أطلق البارود وأفرقه
فى الحائط أو على قارعة الطريق . تمنيت لو عدت صبيا
فى العاشرة ومسحت اللوح كله ولم أدرك من الحياة تباريحها
وهومها ولم تدركنى الحياة باضطهادها ومشاغلا . تمنيت لو
عدت صبيا ، وبقيت صبيا ، لم يكبر لى عقل ولم يكبر لى قلب ،
العب بالشمس والقمر والنجوم ! ...

شم النسيم أيضا

«لقد قرأت كلمتك عن يوم شم النسيم وكررت تلاوتها في شغف وإنعام نظر . ولقد طالما أعجبت بما تكتب بما هو خاص بالعواطف وخفقات القلوب ، ولا جرم فأنت شاب ملء قلبه الحب والأمل والرجاء وأنت أديب تستطيع أن تعبر عن هذه العواطف بما يشجى النفس ويهز أوتار القلوب . وإليك فيما كتبت لتقسم أهل النفوس الشاعرة والقلوب الخفاقة قسمين :

واحد نال ما أمل وحصل على ما كان منية النفس ومعقد الرجاء فهو حريص عليه يحاذر أن يفصل عنه وأن يخرج من بين يديه ، وآخر يبحث عن حبة القلب وراحة الفؤاد : عن نصفه الآخر الذى به قوام قلبه ونفسه وجسمه ، الذى به يتوطد كيانه ويشتد بنيانه وتهدأ نفسه النائرة ، ويسكن قلبه الحافق الى شئ من السعادة والنعيم .

ألا ترى — يا أستاذ — أنك نسيت قسما آخر من أهل النفوس الشاعرة والقلوب الخفاقة المذكورين : أولئك لا هم اجتمعوا بنصفهم الآخر فاستراحوا اليه ولا هم يبحثون عنه فتدبهم شواغل البحث ونشوات الأمل بعض ما يعانون ، أولئك الذين وجدوا نصفهم الآخر وحببيهم المقدور ولكنهم لم يضموه الى أنفسهم كما تنضم الجزئيات بعضها الى بعض فتنتج من ذلك كليات تامة الصفات مميونة البركات .

كَمْ منا نحن الشبان من يرى حبيبته ويراه ويتبادلان أرق العواطف
وأنبيل التمنيات بالنظر لا بالكلام وبالعين لا باللسان ويحرقهم الشوق ويحز
في نفوسهم الاشتاء لضم النصف الى النصف وتكوين الواحد الكامل القادر
على الحياة .

ولكنهم ينتظرون ويطول بهم الانتظار حتى تنأ كل نفوسهم وتودى آلام
القلب بجسومهم وقد يذهبون من جراء ذلك هباء ، ويكون سبب الحرمان أتعف
الشؤون وأكثرها صغاراً من أعراض الحياة . أليس جديراً هؤلاء أن يكونوا
كأسفين محزونين في يوم كيوم شم النسيم حين يكون غيرهم في سرور وجور
وانشراح ؟ أليس من المحزن حقاً أن يرى الانسان نصفه الآخر الذي به قوامه
وحياة وسعادة نفسه ولا يستطيع منه دنوا لأن الحياة قد حرمت بعض أعراضها
الزائلة في حين أن نفسه من أكثر النفوس سموً وأعظمها علواً ؟

أليس من المؤلم حقاً أن تكون أشودة هؤلاء في مراحلهم ومغداهم
وفي سرهم ونجواهم وحين ينفردون وحين يجتمعون وحيث كانوا في المدينة الصاخبة
أو الخلاء الطلق .

أليس مؤلماً حقاً أن تكون أشودة هؤلاء قول عمر بن أبي ربيعة :

تهيم الى نعم فلا الشمل جامع ولا الحبل موصول ولا القلب مقصر
ولا قرب نعم ان دنت لك نافع ولا نأيتها يسلى ولا أنت تصبر

(م . س)



لا يوجد قسم ثالث ياسيدى لأنك أنت المحروم تدخل
فى القسم الأول . أنت وجدت فعلا النصف الأفضل وفهمته
وفهمك ولو لم تنبادل أحرفا واحدا، فهذا له عزاؤه، وعزاؤه
العظيم . وإن أشقى المحرومين هو الذى يبحث ولا يجد، فهو
التائه فى بيداء لا أول لها ولا آخر، يتخبط ولا يدرى متى يطمئن
قلبه أو متى يهتدى الى بصيص من النور ولو ظل يراه دون
أن يعيش فى ظله . وإن مجرّد العثور على النصف المنشود
هو الجانب الرفيع فى المسألة . أما امتلاك هذا النصف فهو دائما
فى المحل الثانى . وإن لك أن تهنا لأنك وجدت، ولك أن
تتعزى فقد قطع سواك بحر الحياة ولم يجد، وعاش ومات ولم يبل
أوامه، ومات بحسرتة، لم يبسم له ثغره، ولم تذرف له عين، ولم
ينحفق له قلب !

الحَمَى !

بدأت تدب في القاهرة الحياة ، فالشتاء يحببها والصيف يقتلها . إن عاصمتنا الجميلة عروس جمعت بين الشرق والغرب . وهى أشدّ بهجة من روما وأبدع من لندن . ليس فى لندن كلها عمارة مثل عمارات سيف الدين . وليس لباريس ضاحية مثل هليوبوليس . وليس فى روما مثل جاردن سيتى . أشعر بعرفان الجميل نحو الذين يبنون هذه القصور وهذه العمارات . كان يجب أن يمنحوا الأوسمة والمكافآت . كان يجب أن نبرهن لهم على أنهم ساهموا فى جمال هذه العاصمة وفى تمجيدها وفى الدعاية للبلاد ، فإن البناء ثروة والبناء الأنيق ثروة للذوق ، ونحن بحاجة الى الكثير جدا من الذوق السليم . الإضاءة ، إضاءة البيوت والقصور ، أصبحت فنا خطيرا ، فان النور قد يكسف (الصااون) ويفضح الأثاث ويجعله مبتذلا . لا بد من أن ينسجم الضوء مع الفرش . ان لون « الأباچور »

أو شكل الثريا يدل على أخلاق أهل البيت . يدل على حبهم
للسر والسلام أو الفوضى .

كذلك ثياب النساء ، فإنها زادت أناقة . ولكننا نريد
أناقة البيت أكثر من أناقة الشارع . ترى ، لو أننا رأينا
مرة في الطريق سيدة أنيقة وعدنا توا الى بيتها فكيف نجده ؟ !
هل تكون قد قلبت كل شئ من (مناديل) وجوارب و (فساتين
ومانتوات) وألقت بعضها على السرير والبعض الآخر على
(الشيزلونج) أو الأرض ؟ ! .

دخلت أمس بيتا مصريا فانشرح صدرى ، لأنه لا البيوت
الفرنسية ولا البيوت الإنكليزية يمكن أن تكون أسلم منه
ذوقا . ولو عملت مسابقة لغاز من دونها . كان بيتا له روح ،
له سر ، له مزاج . كان بيتا يخفق كالفؤاد . كانت جدرانها ،
وكراسيه ، و (كنباته وسجاجيده) وأنواره (وزهرياته) وستائره
كلها منسجمة كالأخنان الموسيقية . صاحبة الدار لا بد
موسيقية ، إنها تجعل حياة زوجها وأولادها لحنا شجيا ، انها
فرشت بيتها بالألوف الجنيئات ولكن (برصيد) هائل من الفطرة

السليمة والذوق المصفى . ذوقها مطبوع . يدها واثقة من مكان هذا المقعد ، ومن لون هذه الستارة ، ومن موضع ذلك الإطار : أثنائها كله يتحدث الى بعضه ويتناجى بجماعة من الأصدقاء الأعزاء ، بجماعة متفقة متفاهمة متحابة لا ترفع صوتها بالضجيج والجدال . انها تتهامس ، ولكن مجرد الهمس بل مجرد النظر يكفيها لتدرك ما تريد أن تقول .

هذه هى حياة البيت ، فلا تكفينا الصروح المشيدة ، ولا تكفينا الأناقة الظاهرة ، ولا تكفينا ألوف الجنيئات لنجعل فى البيت السلام والسر . أى شئ فى الدنيا يعدل صفاء البيت ، وهدوء السر ؟

شجرة المشمش

رأيت شجرة مشمش على الطريق العام بالجزيرة ،
وقد ازدهرت أغصانها إيذاًنا بقرب حلول الربيع ، فنبهتني
الى الربيع ! ...

وشجرة المشمش هذه من أحب الأشجار الى نفسى . فهى
حقاً من بساتين الربيع . زهرها أنيق كثوب المرأة التى تعرف
كيف تلبس . وما أقل الشجر الأنيق ، وما أقل النساء اللواتى
يعرفن كيف يلبسن ! ...

وزهور المشمش قصيرة العمر . وكذلك الثوب النسائى .
فهذه الشجرة تحمله شهراً أو بعض شهر . والمرأة الأنيقة لا تجمل
ثوبها أكثر من ذلك . وربما عدّ بعض الناس هذا إسرافاً .
ولكنهم مخطئون . فإن جمال المرأة لا يبدو فى غير بزتها . والرجل
الذى له مزاج يحب أن تلبس امرأته وتتأنق فى لبسها ،
وهناك رجال هم أعداء لبس نسائهم . وهؤلاء لا أدرى كيف

أسميهم ، فان عداوة الاناقة هي شىء فى الدم ، كما أن حب الاناقة ، ومعرفة الاناقة فى الدم أيضا .

ولكن تستطيع المرأة محرومة الذوق أن تقتبس الذوق .
فعليها أولا أن تحب الطبيعة وما بها من طير رشيق ، وزهر جميل
وعليها أن تدرس كل ما حولها فلا تراكم أثاث البيت ولا ترحمه
ولا تحاول أن تقلد كل ما تراه بل أن تجعل لها فى بيتها وزيتها
شخصية وفقا عليها .

وفى الربيع تفتتح أكام الزهر وتبدو بشائر الحياة وتزدان
الدنيا بثياب النساء الزاهية وتخفق القلوب ... يخفق بعضها تمنا
للحب وبعضها ابتهاجا بالحب وبعضها حسرة على الحب . وكما
توجد عندئذ قنابر تنوح على أغصان شجرة المشمش توجد
سيدات ينسجن أحزانهم بينا يطرزن ، الى جنب النافذة ...
يتأملن تلك العصا السحرية التى لمست الكائنات فأيقظتها من
سباتها وجعلت الشجر يورق ، والزهر ينضج ، والسماء تصفو ،
والجو يخلو ؛ ولكن تلك العصا الساحرة لما تمس قلوبهن وتبعث
فيها حرارة وقوة ! وما أحوجهن الى قوة جديدة لمواجهة الدنيا

من جديد . ولكننا جميعا نكون تلك الانسانية الشاملة التي
يشقى فيها البعض ويسعد آخرون . فعلى السعداء ألا يطفوا
في هنائمهم وعلى التعساء ألا يفنوا في شقائهم . على السعداء أن
ينظروا الى تلك النفوس الحزينة فيتعظوا ويعتدلوا ولا يسرفوا .
وعلى التعساء أن ينظروا الى تلك النفوس المرححة الزائطة بكل
عطف وكل حنان ويشتركوا ، ولو من بعيد ، في ذلك المرح
لأنه رمز ضعف الانسان وحاجته الى الحرية ، حرية الانطلاق
من الأغلال والأحزان ...

لتكن إذن بشار الربيع هى بشار القلوب ... ولتكن زهور
المشمش بمثابة نداء الى السلوى والعزاء والاحتفاء بالحياة ! ...

أول مايو

فى أول مايو تغص شوارع باريس الجميلة بألوف الباعة الذين يقدمون زهرة « الموجيه » للمارة من شيب وشباب لتزين صدور الرجال وخصور النساء وقبعات العاملات . وتنشر الخلائق فى حلل زاهية ، فى الحدائق والغابات ، احتفالا بإقبال الربيع الذى يلمس فى ذلك اليوم المكائنات بعصاة السحرية فيحييها . ويريد أهل باريس أن يتصلوا فى ذلك اليوم — كما نتصل بعدهم غدا فى عيد شم النسيم — بالطبيعة التى تتجدد وتنتعش . ولا يبقى غنى ولا فقير إلا ويشترى تلك الزهرة رمز الأمل وحاملة الهناء .

وفى الجانب الآخر من المدينة يقف مائة ألف شخص يهتفون بهتاف واحد يبلغ عنان السماء تحية ليوم العمل والعمال . فترى نصف المدينة فى ذلك اليوم يستبشر بالحياة والوجود ويجدد أمله ورجاءه فى العيش الرغيد ، والنصف الآخر يهتف

للعمال وفوز طائفة على طائفة . وعندى ان الهناء المنشودة من
البعض لا يجوز أن تكون كالنير فى عنق البعض الآخر .
ويستحيل على أمة أن تهنا إلا باتخاذ جميع قواها فى هذا
السبيل . وفى انتظار أن يكون الاتحاد الاجتماعى مسخرا
ميسورا حقا لا بد لكل منا أن يعمل لا لهناؤه الفردية فقط
بل لهناءة محيطه الذى يعيش فيه أيضا : من أهله وأصحابه
ورفقائه وزملائه (وعملائه) وتابعيه . بهذا يرضى روح الدين
نفسه ويساهم فى التعاون الاجتماعى العام . وإذا كان القدر حائلا
دوننا ودون كثير من الماديات الى حد ما فليست الماديات
وحدها هى سر سعادة البشر . بل ان الناس كلما زاد ما لهم
زادت همومهم . وبالأمس لقيت فى طريقى الى الإسكندرية
الرجل الذى ربح ثلاثين ألف جنيه وحسده جميع الناس وكان
من أساتذتى بالمدرسة السعيدية منذ بضعة عشر عاما فتصالحنا
وهنأته ، وقد عرفنى لأول وهلة . فلما أشرت عليه فى سياق
الحديث بالقيام برحلة حول العالم لا تكلفه أكثر من ٤٠٠ جنيه
قال لى : انتظر على الى العام القادم حتى أفيق ! ... فهو أذا

في حال تشبه الغيبوبة بسبب الثروة الفجائية، وليست من الهناء
في شيء لأن السعادة هي اليقظة .

وعندى ان الرجل لا يجوز له كذلك أن يكون عبدا لخبزه
وأكل عيشه . لأنه اذا أصبح العمل مذلة للنفس فأولى
للإنسان أن يموت جوعا . والناس من خوف الفقر في فقر .
فالثقة بالنفس والرجاء في الله ضروريان لكل كائن ، ولا بد
من تجديدهما عن يقين . ويوم أول مايو أصلح الأيام لذلك ،
لأنه يوم الربيع الذي تجدد فيه الطبيعة شبابها ، ويجدد فيه
الإنسان آماله .

الانتحار

انتحر على «العقيلي افندى» فى ربيع حياته لم يتجاوز الثامنة عشرة، لأن التى أودعها قلبه قد خانت عهده وتعلقت بآخر . ان فكرة ملأت رأسه ولم تتركه . شغلت كل حواسه فكأنها ذلك الأخطبوط الهائل الذى اذا تعلق برجل فى البحر لف عليه سواعده وأطرافه وعصره وقتله .

يمشى صاحبنا فيراها تسير أمامه . يجلس فتجلس قبالة أو الى جانبه نتحدث اليه على الحال التى يصورها له خياله ويرضاها ! ويقرأ فيراها واقفة على الصفحة بدل السطور والكلمات . فاذا ذهب الى فراشه فانما ليجدها الى جانبه توقظه وتسهمه بالعتب واللوم ما طاب لها ذلك . فاذا غفا سالت عليه سيوفها الأحلام ! !

هذا الاضطهاد الذى أصوره لك هو الذى يخلقه صاحبنا ، فهو يقيم من ذاته عذابات واضطهادات .

انتحر لأنه لم يتحرر من هذا الاضطهاد ، بل خضع له ورضى .

به . وقد أخطأ ، وقد دفع ثمن خطاه حياته كلها ، ووارحمته
عليه ! فقد كان الثمن باهظا .

كان أولى له أن يخرج الى الهواء الطلق قلبا وقالبا ، فكراً
وفعلا . أى أنه عندما تعرض له صورة هذه المحبوبة الخائنة يلعنها
فى نفسه ويسخر من شكلها ويقبح خيانتها وينعى عليها غدرها ،
ويذهب الى النيل يحذف فى قارب ، ويملاً قلبه من هواء
الجزيرة ، ويدفئ جسمه بشمسها ، ويملاً عينيه بحاسن الوجود ،
ويتأمل حياة ذلك النوتى الفقير الذى يغنى حتى تهتز بصوته
العالى أجواز الفضاء ، وهو يأكل الحب والفجل قرير العين .
عندئذ قد يدرك صاحبنا أن السعادة ليست من الغير إلينا
بقدر ما هى من أنفسنا ، من قلوبنا ، من عقولنا .

فقد رضى أن يبقى كقطعة الحديد الصغيرة يجذبها المغنطيس
ويلعب بها . فراح يجرى ثم يقف ثم يجلس ثم يقوم ثم يأكل
ثم يصوم ثم يحيا ثم يموت بإرادة فتاة لعوب .

هذا عوضا عن أن يقول لنفسه كلما عرضت له صورتها :
أنت ! أنت ! وما شأنك بى ؟ إننى لا أعرفك ! ...

ويحطم تماثلها في نفسه بذات يده ، ويضرب بذلك
نفسه برهان رجولته .

ويمضى في دروسه ، ويكون على رأس فرقته ، وينبغ
وينبه ذكره ليصرعها عند ما تكون هي في زاوية خاملة
ما زالت تتعثر بحثا وتنقيا عن قلامة ظفره .

والخيانة في الحب يمكن تشبيهها بالسقوط في الامتحان
في مادة كاللغة الانجليزية مثلا ، يذهب بعدها الطالب فيشرب
«الفنيك أو صبغة اليوت» وينتحر ، وذلك منه ضعف وجهل .
وكان أخلق به أن يحبس نفسه في البيت ثلاثة أشهر لا يقرأ
في خلالها ولا يكتب إلا لغة إنجليزية خالصة ، ينبج بعدها
حتما ويوفر حياته لنفسه وأهله ووطنه .

فالفكرة هي التي تذل أو ترفعك ، تحرك أو تستعبدك ،
تحريك أو تقتلك .

حرر فكري إذا من خيالات المرضى السقيمة ، واعلم أن
الدنيا غنية بالعظات والمسررات . فلا ترضى الخروج منها كما
ينخرج البعض مفلسين .

زاد الإيمان

العالم فى أزمة روحية تفوق أزمة الاقتصادية . نحن قد نشكو جميعا الأزمة ولكننا مع ذلك نأكل فى النهار مرتين أو ثلاثا، ونشرب عشر مرات وننام عشر ساعات كالعادة، أو فوق العادة . وكل ما فى الأمر أن الأكل عند بعض الناس قد زاد فيه الخبز على (الغموس) وزادت (السلطة) على (البسبوس) وبعد ما كان الوارث المغرور يشتري كل شهر سيارة جديدة ويهب القديمة أصبح يكتفى بسيارة مستعملة و(جالونات بترين) فى اليوم . والباشا العريق الذى كان يفصل بذلته فى شارع المغربى بخمسة عشر جنيها انتقل الى شارع الساحة بسبعة جنيهات . والموظف الذى كان يفصل فى شارع الساحة انتقل الى (ترزى) غيط العدة . والهائم التى كانت لا تعرف إلا شارع فؤاد الأول لملابسها وشارع عماد الدين لأحذيتها قد (تحدثت) قليلا الى الموسيقى وباب الخلق وبين السورين ...

ولكننا مع هذا كله لم نسمع لحسن الحظ بأن سيدة قد انتحرت لأنه حكم عليها بلبس حذاء « باتا » بعد « راؤول » . ولم نسمع أن كثيرين من الناس قد ماتوا جوعاً لأن القمح أصبح (بتراب الفلوس) .

لكن الأزمة الروحية موجودة فعلاً . دليل ذلك ما كتبه صحفي ألماني : « ان مسرح الحياة هو المسرح الوحيد الذي لا يوجد في صالته باب رسمي للخروج . حتى انه يحدث في كل ليلة أن المتفرجين الذين يصرون على الخروج (من كل بد) قبل الفصل الأخير يضطرون الى إلقاء أنفسهم من النوافذ أو (البلكونات) . وكان يحسن إقناعهم بعدم الخروج ، ولكن لما كان ذلك يتعذر أحياناً ، فلا معنى لتجاهلهم وتركهم ينتحرون وحدهم ونحن ننظر اليهم من وراء ستار » .

فهذا الزميل المفضل يقترح إنشاء معهد للانتحار يدخله الراغب يتبختر من باب ويخرج (سطيحة) من الباب الآخر! ... والحاجة أم الاختراع . لأن حضرته قد رأى في العام من مواطنيه الذين ضربوا الدنيا وأنفسهم (طبنجة) ١٨٠٠٠ نسمة! ...

وها هو الكاتب الفرنسى الكبير « دوها مل » (يخانق)
مواطنيه فى آخر كتاب وضعه ، وقد أطلق عليه اسم : « شجار
عائلى » ويقول : إن الناس من أزمتهم التى صنعوها سيعرفون
أزمة الحضارة . فليس أمرها وقفا على الاقتصاد العالمى ولكنه
يشمل الأخلاق والسياسة والاجتماع ، بل ومستقبل النوع
وسلام الروح ونجاة العقل ، وقصارى القول كل ما تشتمل عليه
الإنسانية بتاريخها وأديانها وأطامعها وعواطفها وآمالها ودولها .
وهو مع ذلك ليس يأسا . إنما هو يعتقد أن عالمنا العجوز
مريض طغى فيه الشر على الخير ، وهو لذلك حزين ، وحزنه
يحمل فى ذاته عزاءه ، وثورته هذه دليل أمله ، وشجاره هذا
دليل ثقته .

فإذا كان قد قل الزاد فى بطوننا فينبغى أن يزداد فى نفوسنا
الايمان .

شخصیات

داود بركات

حرمنى المرض من حضور حفلة تأيين أستاذنا داود بركات
ويعز على القلم أن يكتب « تأيين » بدل « تكريم » ومهما
قرأت الخطب والقصائد فان هذا لا يبلغ مقدار سماعها من
أصوات أصحابها الكرام ففى تلك الأصوات بعض نفوسهم ،
وحبات قلوبهم . فى ذلك الجو الذى تملؤه روح داود لأن روح
داود تملأ كل مكان تحل فيه .

مضى الآن أربعون يوما على وفاته . أيام بقدر الأعوام التى
قضاها فى خدمة الخير الخاص ، والخير العام . فإنه كان يعيش
للناس ولأهله ، ولم يعيش يوما لنفسه ، دليل ذلك أنه عاش
بغير حب ، ولا زوج ، ولا ولد . وفى مثل حالته فقط تعد
العزوبة فضيلة .

أما عيشه للناس فدليله مجموعة « الأهرام » منذ ثلث
قرن . مجلدات لو وضعت فوق بعضها بعض لصارت من

نواطح السحب، وهى أقوى من نواطح السحب لأنها من
نواطح الدهر . فالفكر جوهر الوجود، وهذه أفكار تحارب
الشر وتنصر الخير . أى شئ فى هذه الدنيا، أيا كان طغيانه
وجبروته، يمكن أن يعدم جوهر الخير !؟

نفس خيرة سمحة إلى أبعد حدود الخير والسماحة . تشفق
على خصمها وتبتسم له لأنها تعلم أنها أكبر منه وأكرم . ولهذه
الابتسامة معانيها . ومن معانيها التعفف والترفع ومكارم
الأخلاق .

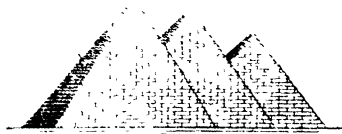
نفس مطمئنة تنشد الوداعة وتنشر السلام . راقبها فى حياتها
كلها تجدها لم تتحرف عن الدعوة الى الوثام بين أبناء البلد
الواحد وعن التلويح بينهم بغصن الزيتون .

نفس كالأسد الرئال أمام خصوم الوطن . راقبها منذ
مصطفى كامل وهو قتي ينهض وقد توالى على مصر كرومر
وغورست وكشنر ومكسويل والنبى ولويد ولورين، فى السلم
والحرب، فى أحكام عادية وأحكام عسكرية، فى احتلال

وحماية واستقلال مع تحفظات ، تعرف كيف دفع داود عن
مصر دائماً لا تلين له قناة .

وهو فى السياسة مثله فى التاريخ ، وفى الأدب ، وفى الاجتماع
وفى الاقتصاد ، وفى كل شىء ، فى كل شىء . ساير هذه
النهضات كلها فى البلاد ، وأيدها ، ودعمها ، وأمدّها بالفكر
والصوت الجهير المسموع ، الصوت الذى كان يهز الحكومات
هنا .

ثوى الآن واستراح . وكانت سعادته وراحته فى الجهاد .
ولكنه كان عظيماً . ملء هذه الدنيا ، فلم تكن تكفيه إلا راحة
الأبد .



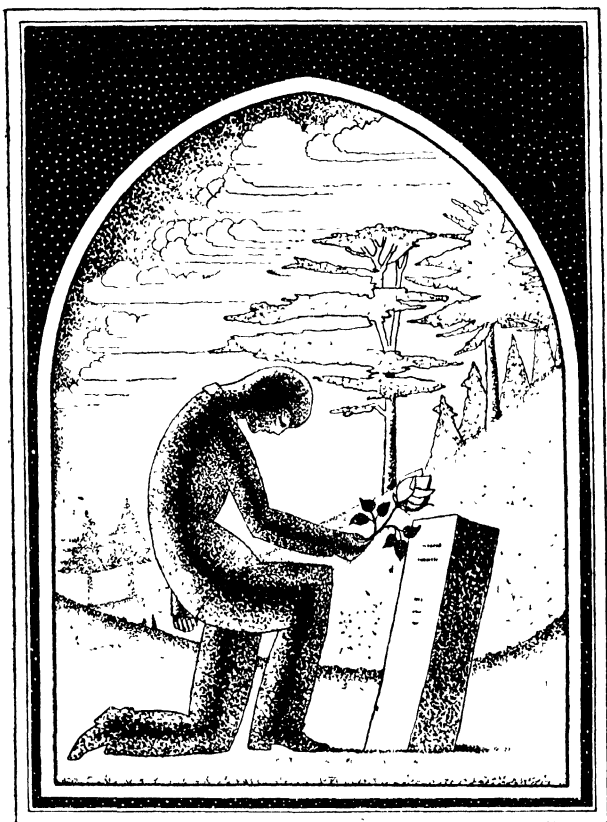
خير الله خير الله

مات صديق « خير الله خير الله » الصحفي اللبناني الكريم
نزير باريس منذ ثلاثين عاما . ولست أرثيه لأنه صديق
فحسب ، بل لأنه صديق من أوفى أصدقاء مصر العزيزة يشتغل
بالسياسة وهو أنزه الناس وأعفهم وأكثرهم شهما وإباء . كان يحرر
الشئون الشرقية في جريدة «الطان» وهي أعظم جريدة فرنسية .
فكان لا يترك فرصة تمر إلا ويشيد بذكر مصر . وكان يحتفى
في داره رقم ٧٧ بشارع «دنفير روشرو» ، التي تجمع الى تواضع
الفيلسوف ذوق الفنان ، بكل من نبه ذكره من الشرقيين الذين
يمرون بباريس . وكان يقيم في كل عام حفلة استقبال لزعيمة
النهضة النسائية التي ترفع رأس بلادها في كل مكان حلت فيه
السيدة هدى هانم شعراوى . وكان يجتمع في هذا الاستقبال
الساھر الحافل الجاليات الشرقية الكريمة من مصرية ولبنانية

وسورية وعراقية ومراكشية الى غير من يضمهم من أعيان
الفرنسيين وكبار أهل الأدب ورجال السياسة .

وكنت ترى فى دار الأستاذ خير الله مدالية مسكوكة بصورة
جلالة ملك مصر وتمثال جلالة ملك العراق وصورة ملك الأفغان
وتمثال أمير الشعراء شوقي بك ، وهو من صنع المثال اللبنانى
الشهير «الحويك» . وكنت ترى كتبه تناطح السقف العالى وتدور
بالمسكن كما يدور السوار بالمعصم . فاذا جلست نتحدث اليه
وجدت ينبوعا يتدفق من المعرفة الواسعة الطليقة ، الجامعة الى
التاريخ فلسفته ، والى السياسة أساليبها ، والى الأدب أصوله . فاذا
سمعتة خطيبا — وقد خطب مرة الجمعية المصرية احتفاء بعيد
١٣ نوفمبر باللغة الفرنسية ، فان الفرنسيين أنفسهم لا يصدقون
أن أجنبيا يحذق لغتهم فوق حذقهم إياها ، وذكر فى ذلك اليوم
بعض ذكرياته عن المغفور له سعد زغلول ، وكان على اتصال به
أثناء المفاوضات الأولى هو ورجال الوفد المصرى جميعا . فكان
هو هو خير الله الصادق الأمين للعهد الوفى وفاء المخلصين
المترفعين . وكان هو هو خير الله الشرقى العربى الصميم .

هذه لمحة عاجلة عن حياة موفورة الخيرات والمبرات ، حياة
صديق يعز فيه العزاء . فلتكن بمثابة الوردة أضعها الآن دافع
العين خاشعا وهو يوارى في قبره تحت أرز الجبل .



مختار

شيعنا امس جثمان مثالنا الكبير محمود مختار فعرفنا عند رؤية هذا النعش بين الزهور، الى جوار تمثال نهضة مصر، مقدار خسارتنا في مثالنا الوحيد الذى جعل المرمر يرتعش بين أنامله، ويسجل فى تاريخ الفن آيات مصرية لولا مختار لما نقشت فى لوح محفوظ .

فمحمود مختار الذى نهل حتى ارتوى من بلد الفن ، من باريس ، قد تجلى نبوغه وحبه لوطنه من جميع التحف التى أبدعها ، فهو قد جعل الرخام يهتز إعجابا بقوام الفلاحة اللدن وهى تحمل تارة بلاصها على رأسها أو تلتفت الى الماء برشاقة وخفه كأنها عذراء تستحى من النيل ، أو تحمل على رأسها ذلك الوعاء الخشبي الذى يأكل فيه فلاحونا العدس والثريد ، أو هى تجلس فى حالة من الحزن والألم تجعل كل ما حولها حزنا وألما ، أو تغفو لحظة وتأخذها من النوم سنة

فوجد غصنها الرطيب قد انتنى ونجد رأسها الجميل قد مال
على كتفها . كل هذا من الصخر الأصم الذى عمل فيه
«أزميل» مختار مالا تعمل أنامل الموسيقى البارع بالأوتار .
ورأينا الى جنب الفلاحة المصرية فتاة القاهرة الأنيقة والأميرة
النبيلة التى أسدل على محياها نقابا شفافا من المرمر فإذا بهذا
الوجه الوضاء ينضج بالنور والجلال الذى ميز الله به المرأة
الشرقية العريقة .

فمختار هو أستاذ فى الوطنية والفن معا . لأنه رغم ثقافته
الأجنبية قد أحب امرأة بلاده وعرف كيف يدرس قوامها ،
وحركتها ، وخفتها ، وخفرها ، وأناقتها ، وغندرتها ، وحشمتها ،
ويجمع هذا كله فى تماثيله التى لا تقدر الآن بثمن ، لأن
مختار مات .

وأذكر يوما من عام ١٩٢٩ إذ كنت فى مصر بالإجازة
وزرت متحف الخيال الذى عرض فيه مختار بعض قطعه
فى دار «روجيه بريفال» . وكتبت فى «الأهرام» مقالا مجدت
فيه فنه العظيم . وأثنت على تلك الليونة المدهشة والحركة الحية

في تمثاله «نحو ماء النيل» لفلاحة تنزل بجرتها الى الماء . وقد زارت زعيمة النهضة النسائية السيدة هدى هانم شعراوى عندئذ ذلك المعرض ورأت ذلك التمثال الفريد وأعجبت به لأنها هي أيضا فنانة مجيدة في روحها النبيلة . وعرفت أن مختارا سيقم معرضا عن قريب في باريس ، فاشتريت ذلك التمثال الصغير بمائتي جنيه . نعم (٢٠٠ !) ولو أن جاهلا سمع بذلك للطم على خديه . ولكن الفضل يعرفه ذووه . وهذه القطعة الآن تساوى أضعاف ثمنها . وما هو المال التافه الذى يبذل على الدوام في سخافات إذا قيس ببذله تمجيذا لفن مصرى يخلق من الحجر جسدا كأن فيه قلبا يخفق ودما يجري ...

ولقد حدثنا «مختار» في كتاب «باريس» عن حياته الفنية في عاصمة النور، ولسنا ننسى الصفحة التى كتبها عن حياته فى نزل عائلى وعن النضال بين الروح والجمال، وهو بين فتاتين إحداهما جميلة جدا والأخرى ليست من الجمال على شئ، ولكنها كانت مع ذلك تنصرف فى كل مجال بما حباها الله به من ذكاء وخفة روح . وانقطاعه بعد ذلك لدرسهما كفتان، وما وجدته من أن

جمال النفس كثيرا ما ينتصر على جمال الجسم . واستنتاجه أن
على الفنان عندما يريد تصوير إنسان: أن يتغلغل في قرارة نفس
الشخص الذى عليه تصويره أو تمثيله لأن الشبه وحده لا يكفى
للدلالة بل هى الروح والخلق التى يجب نزعها وإخراجها على
وجه الشخص .

هذا ما فعله مختار فى تماثيل « ثروت » و « على إبراهيم »
و « سعد زغلول » وغيرها ، فلم يكن مختار حفارا ولكنه كان مبدعا
يصور النفوس والأخلاق ، و يصور العزيمة والإرادة والذكاء .
وهذه تحية عاجلة ، الى حين قريب فى دراسة طويلة ،
نرسلها الى الراحل عنا فى عجل وقد نسى الدنيا بما فيها من
« القاهرة » و « باريس » . ولشد ما قسم قلبه بينهما . ولكنه
ما أحب باريس إلا ليعرف كيف يبوح بحبه لمصر ، وكيف
يمجد ذلك الحب .

غاندى

أمس ، كان فى زاوية من الهند ، على فراش غير وثير ، يجلس
أو يرقد هيكىل عظمى نذر الصيام ، فهو لا يحرك الجيوش ،
ولا يحرض الجماهير على الثورة ، ولا ينحطب ، حتى ولا يكاد
يتكلم . بل يترجى فى أرجوحة كالطفل الرضيع تحت ظلال
شجرة المانجو والمؤتمر منعقد فى ظل أرجوحته .

هذا الهيكل العظمى ، وهذه الروح العظمى ، قد تغلبت
أمس على مئات الملايين من الهنود ، وبدلت تقاليدهم ،
ففتحوا هياكلهم للنبوذيين منهم الذين كانوا يعدونهم منذ ألوف
السنين والحيوانات العجى سوا .

فهو قد دفع نفسه ثمنا للوحدة . ولم تكن تضحيته هذه
إلا تاج حياة كلها تضحية ، فهو من زمن مديد لم يعد من أهل
هذه الدنيا إلا بالشبح وان كان لا يعيش فى الواقع إلا لتطهيرها
والسمو بها عن أدران الأحقاد والمظالم والتعصب .

من كان يصدق أن رجلا يريد أن يجوع وأن يموت جوعاً
يهز الامبراطورية البريطانية ويهزمها؟! لقد حقق غاندى هذه
المعجزة . لأن من وراء غاندى وقف العالم كله لا فرق بين
سكان أيسلانده وأهل صعيد مصر، ولا فرق بين مسيحي
واسرائيلي ومسلم وبوذى، وقف العالم كله صفاً واحداً وراء
غاندى كما يقف المسلمون وراء إمامهم للصلاة .

وهكذا قاد غاندى كتائب النصر بلا سلاح . لأنه باحث
عن المثل الأعلى ، عن الحقيقة ، عن الله . إن حياته المادية
انخفضت قيمتها المادية عنده الى العدم لأن الله كان ملء
قلبه . وعلى ذلك سخر المادة الفانية للغاية الخالدة ، للخدمة
الانسانية .

هذا هو المثل الذى يجب أن يكون كالفتار الذى يهدئ
الحائرين فى الظلام . إن غاندى كان أمس بصيامه وجوعه
أسعد الناس ، وهو اليوم بإفطاره على قطرات من شراب
البرتقال أقر الناس عيناً . فلا المال ولا الشهرة ولا الزعامة هو
التي أسعدته هذه السعادة كلها المحروم منها ألاف الألاف من

الأغنياء في طول الدنيا وعرضها ، وإنما سعادته في تضحيته .
وهو لا يبحث عن هذه التضحية عمدا ليموت شهيدا ولكنها
إذ جاءت تقدم على هيكلها قربانا راضيا مرضيا .

فليعرف شبابنا إذا أن الذين يصلون الى أعلى المراكز
من غير طريق الخدمة العامة ليسوا هم الذين يستحقون الحسد .
وليعرف شبابنا إذا أن سلام النفس وهناءة القلب ليسا
في خدمة الذات بالانشقاق على المجموع ، بل في خدمة هذا
المجموع بالانشقاق على الذات الأماراة بالسوء ، والفوز عليها
بكبح جماح أنايتها .

إن حياة غاندى ، في هذا العصر المادى ، دليل على ان
رحمة الله لم تتخل بعد عن هذا العالم .

كريمة السعيد

إذا كانوا في الحرب العظمى قد كرموا أبطال المحاربين
فما أولانا نحن الأمة الآخذة في النهوض أن نقيم تمثالا للوالدين
الذين أعطيا الوطن فتيات راقيات هنّ زينة الفتيات أدبا
وخلقا وذكاء واجتهادا . فنحن نعرف فضل هؤلاء الآباء
والأمهات لأننا أحوج ما نكون الآن الى الفتاة الفاضلة ،
ولأن الكثيرين جدا من الآباء والأمهات مازالوا ينظرون بعين
الشك والتردد الى تعليم البنت المصرية . بل إن بعض الذين
يتصدون للكتابة في الشؤون العامة أفتوا لنا بحجب البنت بعد
نيل البكالوريا !

فالدكتور أحمد بك السعيد هو والد الآنسة «عزيزة
السعيد» خريجة معهد فروبل بلندن وناظرة مدرسة محرم بك
لأطفال، والآنسة «كريمة السعيد» (التي نكرمها اليوم) خريجة
جامعة لندن في التاريخ بدرجة الشرف، والآنسة «أمينة

السعيد» الطالبة بكلية الآداب بالجامعة المصرية والأنسة
«عظيمة السعيد» الطالبة بكلية العلوم . ومصطفى السعيد
الطالب بالكفاءة .

فهذه الأسرة الكريمة ، بارك الله فيها ، هي مثال جميل للأسرة
المصرية . وهذان الوالدان الفاضلان قد أديا الى هذا الوطن
خدمة جلى بما قدما اليه من أعضاء نافعة عاملة فى المجتمع المصرى .
وهذه الأنسة كريمة السعيد قد نالت من العام الأول
لبعثتها فى لندن شهادة « المتريكوليشن » وهى العقبة الكأداء
فى سبيل الدراسة ، وما أكثر الطلبة المصريين الذين يعجزون
عن نيلها ! وما أكثر الذين يقعون للحصول عليها سنوات
وسنوات ! وليس تكريم الأنسة كريمة السعيد حقاً علينا لأنها
نالت جازتها بدرجة الشرف ، بل لأنها كانت الأجنبية الوحيدة
بين ١٥٠ طالبة انجليزية فى كلية وستفيلد ، وداشت ليلها ونهارها
بينهن فمثلت الخلق المصرى النبيل والذكاء المصرى الواعد تمثيلاً
جعل عميدة كليتها تشهد لها شهادة هى أبلغ من كل ما يمكن أن
نكتبه ، إذ قالت عنها قبل أن نتقدم الى الامتحان النهائى وتنجح :

« ... إنها تتقدم الى درجة الشرف في التاريخ التي ينتظر منها أن تنالها فتحقق بذلك الأمل الوطيد فيها لما أبدت طول دراستها ، فهي طالبة قادرة لا يعترها الكلال والملل ذات ذكاء مرهف ، وفكر ثاقب ، واطلاع واسع مع استقلال الرأى ، ولقد انتفعت الانتفاع كله بتجارب الحياة المدرسية في الكلية ، مدفعة بكل قواها في نشاطها ، مساهمة بأكبر نصيب في أعمال الكلية الفكرية والاجتماعية جميعا .

« ان الآنسة كريمة السعيد هي فتاة على أسمى المبادئ ، وذات نظر بعيد ، تعرف كيف تركز نفسها بكل اخلاص وهمة ودقة في القيام بأى عمل يعهد به اليها . وقد حباها الله بقوة الادراك ورقة الاحساس مع البشاشة وحضور الذهن ودماثة الخلق . وليس من شك في أن صلتها بتلاميذها ستكون من أسعد وأجدى ما يعود عليهم في تعليمهم العام أو توجيه دراستهم . وانى أعتقد أنها تكون من خيرة المعلمات ومن أحزم الاداريات . »



وهذه واحدة من الشهادات التي كتبتها عميدة الكلية وأساتذتها بعد أربع سنوات اختبار وعشرة . وهي أنموذج لما يمكن أن تؤديه الفتاة المصرية من الدعاية لبلادها في الماضي ، وهي لحظة لما يمكن أن تؤديه من الخير لبلادها في المستقبل .

الشيخ سلامة حجازى

جاءنى من دمنهور خطاب من الدكتور محمد فاضل عن
«اللجنة التحضيرية لتخليد ذكرى الشيخ سلامة حجازى» وهذا
الخطاب يدل دلالة واضحة على أن الريف المصرى يقدر الفن
الجميل أكثر من العاصمة مع أن العاصمة هى التى تمتعت فى الواقع
بالشيخ سلامة أكثر من دمنهور، فقيام جماعة من خيار الناس
لتخليد ذكرى فقيده الغناء المسرحى جدير بكل ثناء وتشجيع
فأشكر الدكتور فاضل الذى أتاح لى هذه الفرصة .

سمعت الشيخ سلامة حجازى فى أواخر أيامه وكان يقاوم
الشيخوخة وكان يقاوم المرض ولكنه كان لا يزال يغنى
ويملاً رنين صوته الشجى أجواز الفضاء بالأنين والحنين .
كان فى صوته الغرام المنكسر الحزين ، وكان فى صوته اللوعة
على لىالى الشباب التى مضت وإن تعود ، وكان فى صوته
التطلع للراحة الأبدية فى سكون الموت الذى يشبه سكون الحب .

كان الشيخ سلامة وهو يعرج على مسرح الكورسال
رافع الرأس وفي عينيه دموع تلمع ولا تنسكب استكبارا . كان
يمثل الفنان في آخر حياته . الفنان المهضوم الحق دائما .
الفنان الذى يألم ليسعد الناس ، ويبكى ليضحك الناس . وقد
يمثل للجماهير وهو جائع ، أو وهو مريض ، أو وهو عائد من المقبرة
حيث دفن عزيزا عليه ...

لقد رأيت فى كل مكان ذهبت اليه فى أوروبا تماثيل رائعة
الحسن مرفوعة تكريما للذين أطربوا الجماهير وأحيوا سهراتها
البريئة وملئوها بالهناء . وكانت هذه التماثيل مقامة تخليدا
لذكراهم . وقد اشترك فى إقامتها الشعب والحكومة . وكتب عليها
«من الدولة التى تقدر الفن الجميل ومن الشعب الذى أحب
المغنى أو الممثل» .

فأرفعوا له تماثلا أو أقيموا باسمه معهدا أو افعلوا أى شئ
يرفع عنكم عار نكران الجميل . إنه ظل أربعين عاما على خشبة
المسرح يسعدكم بغنائه ، ويشرف الفن بأنفته وكرمه وترفعه
عن التبذل . وقد عاش للفن وحده ، أى انه وهبكم حياته

كلها . وكان ينسيكم متاعب أيامكم وهمومكم بالصوت الذى
كانه صادر من غير هذه الدنيا ... لأنه صوت عميق مؤثر حار
مرطب بالعبرات والقبليات ، فياض بالرحمة والمحبة . لأنه
صوت علوى ، لأنه صوت أبدي ، لأنه صوت الشيخ سلامه
حجازى .



نعيمه الأيوبي

الفتاة التي تتم واجبها وتقضى من العلم لبانتها ، مثل
الآنسة نعيمة الأيوبي ، هي الفتاة التي تعرف معنى الحرية .
أما البنات اللواتي تلتخص عندهن الحرية في الرقص (والشخلة)
فهن الجوارى ؛ لأن فتاة كالآنسة نعيمة الأيوبي قد تتقفت
لتحتفظ بيجوهر الفكر وتزيده صقلا ، وترفعت عن الفراغ والفوضى ،
وملأت ذهنها بعلوم نالت إجازتها ، وملأت قلبها بأمنية حققها ،
وسهرت في هذا السبيل الليالي الطوال ، وكدت على الأيام مدى
الشهور والسنين ؛ وهي إذ تكافأ اليوم هذه المكافأة تشعر بالغبطة
الحقة ، لأن عملها لم يعد محصور الفائدة فيها بل شمل وطنها
كله . فنحن الآن نفخر بنعيمة الأيوبي لأنها فتاة جادة غير هازلة ،
فتاة صبرت وظفرت ، فتاة تريد المساهمة في الخير العام ،
في النهضة العامة ، ولكن متى كان لنا أن نفخر بفتاة تنال
لا ليسانس الحقوق بل الجائزة الأولى في مرقص عام ! ؟

فالحرية ليست الانطلاق دون قيد ولا شرط ، وليست
إلقاء الحبل على الغارب ، وليست الهوى الطائش ، وليست
التزوات الطارئة ، وليست أن نخلع ما يلبسه الناس أو نلبس
ما يخلعوناه . إن هذا هو الشذوذ ، هو ضرب من الضعف ،
هو نوع من الفوضى .

فالحرية عزيزة المنال . إنها تطلبت من نعيمة الأيوبي
الجلوس الى مكتبها سبع أو عشر أو اثنتى عشرة ساعة فى اليوم .
كل يوم ، فى الحر والبرد ، فى الصحة والمرض ، لأنها مرضت
فعلا وكان ذهنها فى أثناء مرضها قلقا على دروسها ، وكان قلبها
مشغولا بمستقبلها .

هذا هو الطريق الذى نحب من فتياتنا السير فيه . ولسنا
نعنى به أن يلتحقن جميعا بكليات الحقوق والطب والآداب
والعلوم وينلن إجازاتهن ، ولكن أن يدركن المعنى الحقيقى للحرية ،
وهو يبدأ بتكميل النفس وتويز العقل والارتفاع بمستوى
الذات قدر الطاقة . فالحرية عناء وجهد لا بد من دفع مهرها

الغالى . ولتى تدفع هذا المهر أن نتمتع بعد ذلك بمزاياه ،
وهى عديدة ، متنوعة ، شائقة . خير للفتاة أن تعرف أولاً كيف
تحدث . والحديث وحده عالم هائل ، دنيا أبوابها من العاج
وشوارعها من البلور وحيطانها من الذهب والفضة وأشجارها
محملة بالزمرد والماس ، هى ألف ليلة وليلة . ولا بد للفتاة
التي تريد أن تفوز من أن تكون : « شهر زاد » .

فلا غنى للفتاة الجديدة من الاطلاع على الأدب العربى
والغربى ، ودراسة كل ما يجعل البيت الصغير دنيا حافلة
موفورة المسرات كدراسة تدير البيت والموسيقى والتصوير
وشغل الإبرة . فالتى تفعل ذلك تكون قد نالت أيضاً شهادتها ،
وتكون قد تحررت من عبودية الجهل والذل . فاذا جلست
فى (صالون) لم تثر بالكلام الفارغ ولم تجلس (كالبحم) . واذا
غاب الطباخ لم تغرق فى (صحن ملوخية) ولم تقطع أصابعها
فى تقشير البصل . واذا عاد رجلها متعبا عرفت كيف تروح
عنه بالحن (البيانو) ، من أناملها هى لا من (تجعيرة الراديو

واسطوانة بيع العرقسوس القائل : فرفشنى ودندشنى). وفى كل

جانب من بيتها شىء من صنع يدها ...

وهذه هى الحرية .



آکسڈریٹ

الى المصيف

بدأت القاهرة توحش . وفى كل يوم تقل السيارات .
وتختفى الأتواب الحريرية النسوية الجميلة . وتقفر الشوارع
الوجيهة . وفى كل يوم تقفل نوافذ جيران حولنا ، ويمجىء الليل
فتظل مظلمة حزينة شاعرة بنجمل لهذا المهجر الذى لا تدرى
له سببا ، صابرة صبر المحب الوفى الصادق الواثق من عودة
الحبيب .

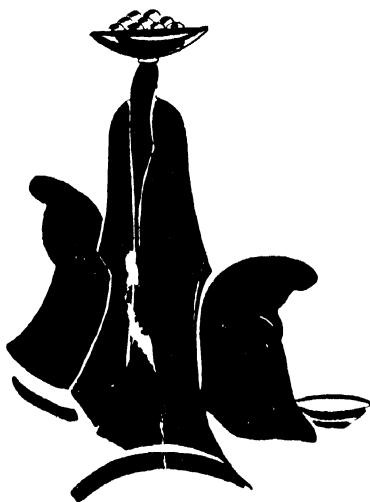
هنيئا للإسكندرية ورأس البر ، إنهما قد استردا اليوم
عزهما بعد طول الاضطبار وبدأ النور يوصوص من خلال
بوص العشش ، وكأنه يشارك الهامسين فى همسهم . أى شىء
يقال فى المصيف ؟ ! لو سألوني رأيي لقلت لهم انسوا جميع
تكاليف الحياة ، فليس السفر الى المصايف هو دائما لأن
الحر شديد لا يطاق فى المدن ، فحرارة القاهرة ما تزال محتملة
وهذا عزاء لنا نحن الذين ما زال وراءنا بعض العمل

أوفى جيوبنا قليل مال . السفر اليوم الى الشواطئ كأنه موعد
خفى مضروب للانطلاق من قيود الزى الثقيلة . وكذلك يجب
أن نتحرر في الوقت نفسه من المعيشة على وتيرة واحدة . يجب
أن ننسى في المصيف جميع الهموم ، والمشاكل ، والقضايا ،
والديون .

يجب أن نخلص تماما ، وقبل كل حساب ، من مشاغل
القلب . يجب ألا نزيد في الشجون على شاطئ البحر ولا نبذل
ألوانا جديدة لآلامنا وهمومنا . يجب أن ندع مع حرارة المدن
حرارة المشاكل . وإلا اذا كنا ننوى أن نحلها معنا فالأولى بنا
البقاء في بيوتنا ، فإن المصيف هو للتفريح عن النفس بقدر
ما هو للتفريح عن الجسم . هو راحة للقلب قبل أن يكون
راحة للجسد .

هو تجديد للقوى المعنوية بقدر ما هو تجديد للقوى
البدنية . هو رياضة ، هو رياضتان . فلنقبل على المصيف
بشعور الابتهاج والفرح كالعاقرة التي ترزق طفلا ، ولتتمتع كل
لحظة في إجازتنا لأن الدهر بالمتاع ضنين . لنختلس إذا منه

أوقات الهناء هذه ، ولنعدها نعمة من الله أن نذهب الى
المصيف فى الوقت الذى يحرم الألوف حتى من الهواء النقى .
ولننطلق من قيود الماضى لنعيش حياة مستقلة قائمة بذاتها
لا شأن لها بالأيام التى قبلها والأيام التى بعدها ، ويمكن
الانطلاق فى حكمة وحشمة ، فى حدود الفضيلة ، وهى سر
سعادة الرجل والمرأة على السواء .



عروس البحر الأبيض

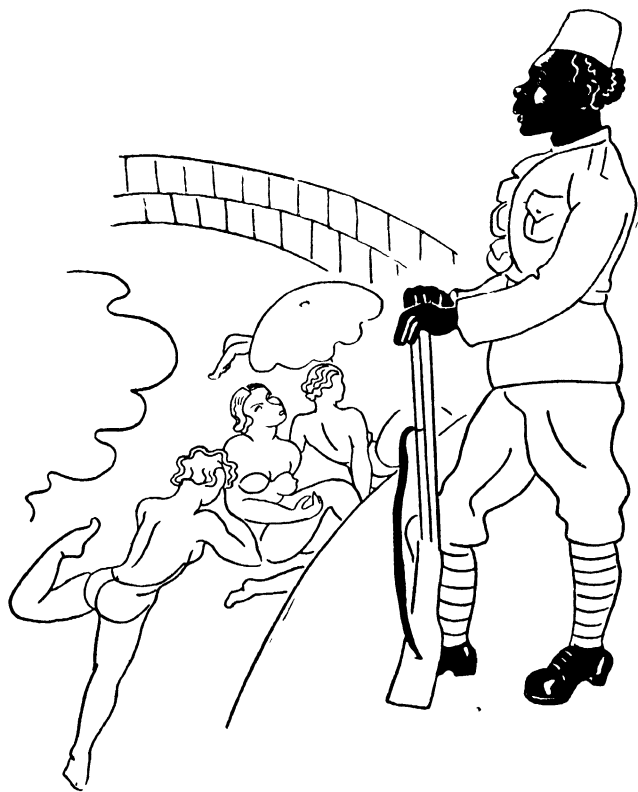
حظيت الاسكندرية بالعز والسلطان . وانكسفت أمامها
شمس القاهرة ، وإن ظلت كأنها شواظ من نار . في كل خطوة
تجد الباشوات والبكوات والهوانم ، سيما الهوانم . ولكن
هل أصبحن هوانم ؟ ! هل أصبحن يحبن ، أو ينطبق عليهن ،
ذلك الوصف التركي الجميل بعد ما خلعن النقاب ، نقاب الحريم ،
وخلعن ما هو أكثر من النقاب ؟ ! هوانم اليوم ، غوانى اليوم ،
يرتعن بين سيدى بشروستانلى باى . يرتعن مساء الأحد
فى كازينو سان ستيفانو ، ويصرعن فى كل خطوة قلوبا .

ستانلى باى فى يوم الاحد ، يوم الحشر بغير حساب . أكوام
من اللحم بغير عظام ، أكوام مكدسة لا تكاد تجد بينها ممرا .
ستانلى باى هذه السنة هو ستانلى باى العام الماضى ،
"أمس أشد أناقة . كان للجريئات والغنيات ،

أما اليوم فقد استباح الجميع حماه ، وانتهكوا حرمة ، إن كانت له
يوما من الأيام حرمة .

نظرت بذهول ، بشيء من الإشفاق وبشيء من النفور .
هالني هذا التراحم العارى لأنه رمز آخر لغير التمتع بالصيف
وشاطئ البحر من رمل وماء . إنه من جانب النساء للتمتع
بالنظرات ومن جانب الرجال لاستجداء النظرات . إنه
استعراض مخيف لشيء يحسن في أحوال كثيرة ستره الى حد ما ،
بل الى حد بعيد . إنه مباراة في الخروج والشذوذ . إن تلك
الفتاة الجميلة التي كانت منبطحة على وجهها في ذلك اليوم ، في ذلك
الحشد ، لم تكن جميلة . إنها كانت مبتذلة . إنها كانت
متصنعة . إنها كانت كالشحاذة المأداة يدها على قارعة الطريق .

مررت ، عائدا من سيدي بشر ، في الساعة الواحدة
صباحا ، فرأيت الظلام الدامس قد ساد ستانلي باي . ترى
كيف رضى الظلام بعد النور ؟ ! كيف رضى السكون بعد
الحركة ؟ ! كيف رضى الذل بعد عز ؟ ! استكان حتى الصباح



التالى . إنه يتربص . إنه ينتظر فراش جديدة . إنه يريد أن
يتجدد . إنه يرضى بسدول الظلام ليحيك اثناء شبا كه اذ يشتد
فى الصباح نوره .

ظلام دامس . لم يبق على كورنيس ستانلى باى إلا جندى
خفر السواحل ، السودانى ، لا تميز من الظلام وجهه النحاسى
الجميل . إنه يتعرض لكل تهريب ، كتهريب المخدرات ،
ولكنه لا يتعرض لتهريب الجمال ، ولا يتعرض لتهريب النفوس ،
ولا يتعرض لتهريب العواطف ! ...

أيها أشد تحريما وخطرا ؟ ! المخدرات أو المخدر الأكبر
الجمال ، الحب !

لمحات فى الاسكندرية

الكابينات على الشاطىء متراصة بلا نظام ، ولا انسجام
فى اللون أو فى الشكل . تراحت الناس على الشاطىء ، حتى
أفقر الناس الذين لا يدخل بيوتهم اللحم إلا مرة فى الأسبوع
قد نصبوا هنا بيوتهم الخشبي حتى ضاق بهم ثم ترامى الباكون
حوله على الرمال . فالشاطىء هو أمتع نزهة للصيف بلا مقابل .
أو بمقابل طفيف لا يذكر .

لا تكاد تميز ثياب العوم بين الناس ولكن للنعمة سمة على
الوجوه لا تغيب ولا تخيب .

هؤلاء هن النساء يكدن يكن كأمهن حواء ، لوحتهن الشمس
فصرن سمرة فى حمرة . ومع ذلك رأيت ألوفاً منهن هنا وفى أجمل
شواطىء أوربا ، فى دوفيل مثلاً ، حيث كل ما حول المرء
وجاهة وأناقة ، ولم أستطع أن أقف أمام جمال باهر . لأن
أجمل امرأة عندى هى تلك التى لم تخلع ثيابها .



فى البحر ، كان الفتى يحمل الفتاة على كتفيه وقد تدلى
ساقاها على صدره وأختها أو صاحبها متعلقة بظهره وهو يجرى
بهذا الحمل الثقيل ، الخفيف على قلبه .
لو رآه أهل الفضيلة فى الزمن الماضى لأغمى عليهم ! .
يا للتهتك ! .

ولكن لعل هذا البغل الذى كالوعل لو سأله فى هذا الفجور
لقال : لعب البحر .
وأمس أردت أن أتحرر من البنسيون وطعامه فأكلت
فى مطعم فآخر قدموا إلى فيه أرزا مع نوع من الدود سموه :
بلح البحر .
أيها البحر ! ... ما أكثر الجرائم التى ترتكب باسمك !



الصباح على الكورنيش ، ثوب حريرى رمادى جميل
وقبعة بيضاء وقفاز أبيض يغطى ثلث الذراعين ، وحزام أبيض
وجورب أبيض ، وقوام مشقوق ، فهى زنبقة .

على هذه الوجاهة والملاحة تحمل فى يدها كيس مشتريات البيت ، لحم وسمك وخضر وفاكهة . هذه هى امرأة البيت التى أنحنى لها .

ليست تختال بثوبها غرورا وفتنة أمام الرجال . زوجها فى عمله وهى تؤدى عملها . تتعاون فعلا مع الرجل الذى قدم اليها هذه الأناقة كلها ولا تترك الخدم يسرقونه بلا اكتراث ، مثلما تفعل ألعوف السيدات اللواتى يعاشرن أزواجهن وهن يكرهن هؤلاء الأزواج . يتمنين خرابهم .



الظهر على الكورنيش أيضا ، الشمس قوية . أفنديان يسيران وخلفهما سيدة زوجة أحدهما وقريبة الثانى دون ريب . يتكلمان دونها . هما فى عالم آخر وهى وحدها تجرأ ذىال ملائتها السوداء وتثق لفح الشمس بجريدة . مجرد مشيهما أمامها دليل احتقارها ، وعند ما يصلون بعد نصف ساعة للغذاء سىأكلان طبعاً وحدهما بينما هى تقف بين يديهما

كالجارية . ثم تأكل بقية طعامهما هي وأولادها وقطتهم .
هذه هي النظرة الشرقية للمرأة ما تزال تسود ألوف الألوف منا .
بهذه العزلة تزداد المرأة انحطاطا . لا تشترك في حديث
الرجال فتبعد عن تيارات الحوادث والتجارب ، كل مهمتها أن
تحضر الطعام وترتب الفراش ، وهي مهمة يمكن العبيد أن
يؤدوها أحسن منها .



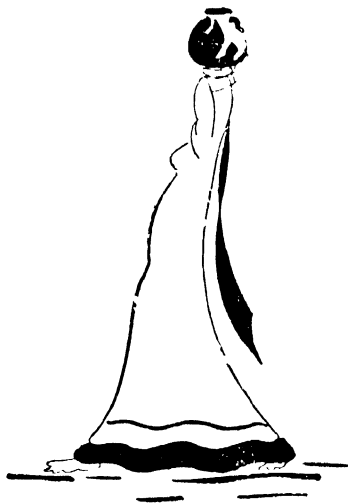
رأيت شابا يختال في شوارع المدينة وعلى صدره شارة
إحدى الجامعات الانجليزية . عريضة كالكف وموضعها
على يسار السترة . وقد دلتني جميع التجارب على أن الشبان
الذين يضعون هذه العلامة ويظهرون بها في الطرقات من
الذين لم يتموا دراستهم في تلك الجامعات أو من الذين أتموها
بالفشل .

إن العلم كما يقولون في الصدور لا على الصدور . وعند
ما يتعلم الانسان حقا ينجل من وضع رقعة أجنبية على صدره
ولو كانت رقعة كبردج .

شبان آخر طبعة ، بلا طرايش ولا قبعات ، قصان
حريرية وكرافتات غالية وشعر لامع مسبب . يجلسون
في القهاوى على كرسى وأرجلهم على كرسى أو كرسين آخرين .
يتمددون بشكل ينجل الانسان منه فى بيته . وليس
فى أيديهم كتاب أو جريدة . يتكلمون عن البوكر والبنات
والشامبيونات . ثقافتهم هى التجرد من الثقافة . وحياتهم هى
الفراغ والكسل والظهور والغرور . هذا هو التخنت الذى يجب
أن نحاربه كما نحارب الأمراض الفتاكة . توجد أخلاق مصابة
بالملاريا والبلهارسيا .

انظر الى هذا الذى يدعى أنه أتم تعليمه ! . تجده يتكأ كأ
مع خمسة ستة من أمثاله يركبون سيارة أحدهم ، يروحون بها
ويجيئون مرات . تجد كتلة عاطلة خاملة هى معرة للبلاد
والعباد . صياد السمك الذى مر أمانى منذ هنيهة يفوح منه
الزفر . زفره أرقى من عطر هؤلاء الشبان ، لأن هذا الصياد قد
حمل الندى على رأسه فى الساعة الثالثة صباحا وسهر ينشل رزقه ،
وصبر ثم ظفر ، وعاد يحمل الى البيت طعامه ، تقنات من ورائه

نساء وأولاد . وهو عندى أشرف من أشباه الرجال هؤلاء جميعا ،
الذين يأكلون بالشوكة والسكين ولا يعرفون ثمن رطل اللحم
أو أقة الخبز ، لأن كل حياتهم من جيب سواهم ، من أمهات
وأخوات . والمصيبة أنهم يعتقدون فى أنفسهم بهذا الصلف
والفتنة أنهم خير ممثلى أمتهم ، وأنهم زين الشباب .
وقد غصت بهم الاسكندرية لأنهم هم أيضا قد جاءوا
« يستريحون من عناء الأعمال » ! ...



نظرات فى الاسكندرية

شارع اسكندر الأكبر . اسم عظيم يثير الطموح الى أشياء عظيمة فى أيام خاملة . القمر شاحب ذابل كوجه هذا العهد ، عهد الأزمات الشداد ، يسطع على القبور فى طريق الرمل ، طريق الحبور . إنه يذكركنا فى طريق الكازينو والشاطئ أننا مهما عشنا وتمتعنا فمسيرنا قطعة من الأرض . حفرة عميقة مظلمة . ولن تكون حتى هنا فى الرمل ، على طريق اسكندر الأكبر ، وانما ستكون هناك فى وسط تلال من أتربة القاهرة وحجارتها السوداء المنحوسة ، المنحوسة كالموت قبل الأوان . ترى ما أثر هذه القبور فى نفس الذاهبين الى النزهة ؟ ! ولكن هل يلتفتون اليها أو يرونها ؟ ! وإذا التفتوا ورأوها هل يفكرون فيها ويتعظون بها ؟ ! والله ما أظن !



فى الكازينو يوم الأحد الساعة العاشرة مساء . لعل

الأنبيات انصرفن كلهن ، فإن جميع الفتيات الباقيات يظهرن
من بعيد جميلات ، حتى إذا قاربتن عرفت الى أى حد
أتلقت المدنية محاسنهن القليلة . كنت ألمس فى بعض الوجوه
البشاعة التى تركتها البودرة والأحمر والسمرة والخمر وبقية
الشهوات . أين هؤلاء من فتاة ريفية ساذجة رأيتها ذات مرة
منذ خمسة عشر عاما فى شربين تملأ « البلاص » فى الساعة الخامسة
صباحا من التربة ؟ ! كان ثوبها الأسود الذى لا يساوى غير
بضعة قروش يظهر وجهها الصبوح النضر كما تظهر ظلمة الليل
نور البدر . رفعت بصرها فرأت شابا ليس من وسطها ينظر
باسما مرتاحا فاضطربت وكادت تعثر ، ولكنها استجمعت
إرادتها ونشطت بنخفة الظبي الغرير ومضت وهى ترنو أو تكاد
لأول وآخر مرة ... فودعت فيها فتنة المرأة وخفرتها وحشمتها
ودلالها ورشاقتها وطهرها ! ...



موسيقى الجاز بند تعزف ألحانها المتنوعة القوية التى تحفز على
الرقص وتوجه نداء الى البدن والفؤاد لا يقاوم ، فهى ترقص

الجماد ، ومع ذلك فالشبان زاهدون فى الرقص والفتيات لا يشبعن يوجهن نظرات التمنى عن اليمين والشمال وينتظرن بنجل وخيبة أمل . نزل فى الحلبة نحو خمسين من الجنسين لا يكاد يطيب منهما للنظر غير زوجين اثنين ، ومع ذلك فقد اندفعا هما أيضا آخر الأمر اندفاع الحمقى . فضاءت منهما موسيقى الحركات التى كان يتكلم بها جسماهما وعلا الرغاء والثرثرة ، أعنى حل الطيش فى رقصهما وضاع الانسجام .

وكانت فى أقصى الحديقة المظلمة نوعا ما فتاة فى سواد شامل تجلس الى قتي بجوار النافورة يتحدثان فى هدوء . وبدت لى عن بعد أكثر وسامة من الأنثريات . ولكنها هى الأخرى لم تستطع على الرقص صبرا بفجاءت تسعى ووراءها الفتى . لو كان لسخافة التقاطيع جائزة لناها غير منازع . رقصت معه فبدت لى قبيحة . فندمت على استحسانى . وأسفت على خيالى أهكذا قدر على النساء الجميلات أن يكن من نصيب نفاية الرجال ! ؟



لعبة الروليت : عجلة الشيطان ، رأيت أمامها رجلا واحدا
يكسب . ولكن من يدرى كم خسر قبلما أراه؟! وكان زرى
الهيئة لا يزيد ثمن كرافته عن ثلاثة قروش . وكانت الرجال
تلعب والنساء تلعب . وهذه امرأة حسناء شقراء لا تلعب
كل مرة بأكثر من خمسة قروش وتلعب مرة وتسكت مرة .
هذه راحة الفقراء ، بقية باقية من نقود يأسه .

لم تحدثنى نفسى بأن ألقى شيئا ، لا خمسة ولا عشرة .
كنت أشعر بأننى إذا لعبت جازفت بكل مامعى . وكنت أشعر
أننى إذا لعبت ألقى النقود كما يفعل غيرى بلا اكتراث ، ولكن
إذا كسبت نجلت من جمع بضعة القروش ، ولو كانت أضعاف
ما رميت ، من طرف ذلك «الكريك» الخشبي فى يد صاحب
الروليت فما أقدر نقود القمار !

وكنت أشعر أننى إذا رأيت خمسة قروش فقط وخسرتها
فأننى سألعب حتى أخرج صفر الدين . ولم يكن يكسب غير

واحد في العشرة أو أقل ، ومع ذلك كان الناس يلعبون بعناد
وعصبية وكآبة كأنما قد حكم عليهم بلعب القمار والخسارة !



الظهر . في المقهى الوجيه أمام محطة الرمل . كانت
السيارات الفخمة تحمل العقيلات الوجيهات . وكن ينحنين
وينظرون الينا كما لو كن جميعا يعرفن الجالسين ، ولم تمر واحدة
ترفعت عن النظر .

ترى . هل نشقى نحن الرجال طول العمر وندأب ونكد
ونسهر الليالى لنحضر هذه السيارات الكبيرة لنسائنا ثم يركبن
هذه السيارات لينظرن بكل هذا الشغف الى رجال غيرنا
جالسين على المقاهى ؟ !

ستانلى باى

الاسكندرية فى أوجها . وستانلى باى صباح الأحد هائج
مائج . لقد طفح عليه قطار البحر آلاف المتلهفين على رؤيته
الذين تنقصهم الموارد . والناس يجذب بعضهم بعضا . وهذا
رجل حائر يدور بآلة التصوير فى يده . يلتقط عن يمينه
وشماله . ويجتهد فى الحصول على الصور الشاذة الخارجة .
يريد الاحتفاظ بتذكّار دائم لهذا العرى الفنان . فانهم ،
انهم ، قد تفنن فى التجرد عن الثياب . نهود بارزة صارخة
تربطها فتلة رقيقة بالظهر العارى تماما . يردن التقاط الأشعة
البنفسجية ، أو بالأحرى يردن إرسال الأشعة البنفسجية .
أليس البنفسج رمز الهوى ؟ !

وهذه عذراء صغيرة ، يانعة ، منضرة كزهرة الحقول .
لم تمسسها بعد يد المدنية بالشر واكنها توشك . إنها تقطرماء وتقطر
حسنا . لست أخاف عليها هذا الفصل ولكنى أخاف عليها

الفصل القادم . فإنها فى الموسم المقبل سيفتر زهرها ويتفرع
عودها ، ويقل نجلها . سيكون ستانلى باى مألوفاً لديها . بل
سيكون حبيباً إليها . ستنتظره بقية عامها . وتفكر فيه حتى
فى الشتاء . وتلهف على الصيف . وتحب البحر . وتتمناه .
وتدعو الله أن يقرب أيامه ، وأن يلهب العاصمة بشواظ
من نار .

هنا تحتك مدينتان . هنا يلتقى الشرق بالغرب . أى شرق
وأى غرب ! الشرق الذى ما زال يتشاءب . الشرق الثووم .
الشرق الخمول . الشرق الذى هو بحاجة الى أن تنتبه فيه عناصر
الحياة ، عناصر الجذ قبل عناصر اللهو . عناصر القوة قبل عناصر
الضعف . عناصر التماسك قبل عناصر الانحلال .

ماذا نرى فى ستانلى باى ؟ ! هل هو وسط شرقى ؟ هل
هو وسط غربى . لا هذا ولا ذاك . إنه خليط . إنه خليط
شنيع ، مدهش ، متضارب ، كما لو كان قد امتزج هنا عدوان
لدودان ، وكل عدو منهما مع ذلك عدو لنفسه ، كالشيطان .
فيا لها من بيئة لا تعرف لها عقيدة ، ولا مذهب ، ولا مبدأ ،

ولا دين . هنا صراع الطيش والتردد والاستهتار والحياء
والصراحة والتذبذب ، والبكورة والفجور . يا للهول ! إننى
لا أخشاه اليوم ، ولكن غدا . إنه الآن يحضّر الخطر . إنه يعد
معداته . بل إنه بذر البذور ونبت التبت وغداً يشب عن
الطوق لا تستطيع الأيدى الناعمة أن تنزعه لأنه شوك القتاد
قالت لى آنسة مصرية نبيلة وهى تعتب على لىلمتى الأخيرة :
« أرنى مصرية واحدة متهتكة أو فى شكل مبتذل
فى ستانلى باى ... »

وقد استطيع أن أدلها ولكن جزعى ليس من أجل واحدة
أو اثنتين أو عشر فتيات . فإن الحرية لها ثمنها . ولكن جزعى هو
من أجل المستقبل . فإننى أخشى عشر السنين القادمة . أخشى
التحضير للحرية عن طريق الاستهتار . لذلك كنا نهال فى كل مرة
نسمع فيها بفتاة مصرية تنبغ مثل زينب كامل أو نعيمة الأيوبى
أو كريمة السعيد أو سهير القلماوى أو إيفى حبيب المصرى نهال
ونكبر ويقول ضعاف الأحلام والعقول هذا إسراف فى تمجيد
المرأة والانتصار لها . وها هو الرد عليهم فى ستانلى باى . فالتأنيب

أن تنفخ في صور الفضائل ونمجد اللواتى يجلسن الى مكاتبهن
السنين الطوال يدرسن ويبدلن شبابهن فى خدمة المجتمع فهؤلاء
هن اللواتى يحضرن هذا المجتمع للحرية العاقلة ، الرزينة ، الكريمة ،
لا اللواتى يقتبسن آخر أزياء البيجانات من شاطئ ستانلى باى .



ستانلى باى !

ستانلى باى أیضا . هذه أجنبية نحيفة ، رشقة ، شقراء
جدا ، فضة وذهب . ظهرها عار تماما والباقي فى البيجاما .
رأيتها حائرة . إنها مع رجال ، مع كثير من الرجال ، مع رجال
يتغيرون فى ستانلى وفى الكازينو ، ومع ذلك كأنها منفردة .
إنها امرأة لا قلب لها . لو كانت واجهة ، أو حزينة ، أو ضاحكة
لكان لها قاب . فى عينيها الخضراوين الزجاجيتين ترى الفراغ .
شقراء بغير أنوثة . أين هذه من المصرية ، تلك التى كانت
كغصن الزنبق ، تلك التى لم تكن عارية ولا متجردة ولا فى بيجاما
ولا فى ثوب البحر ، تلك التى كانت فى ثوب أبيض ، وقفاز
أبيض ، وقبعة عريضة بيضاء ، تسير مثل «فرنسيسكا برتينى»
فى «ذات الكاميليا» ... تلك التى كان فى صميمها الحياء الشرقى
تنضح على وجهها العذرى النبيل .

ومع ذلك فإن الشبان تفتنهم تلك الأجنبية ، ذات الشعر

الأشقر، ذات الظهر العارى ، ذات الحصر الذى ينتقل فى كل
رقصة الى ذراع رجل جديد، ذات القلب الحلى ، ذات الجسد
بغير قلب .

ولكن هل يعرف الشباب أنهم فى السن التى تلمع فيها
العيون ولا ترى شيئا ، أنهم فى السن التى تتحكم فيهم عواطفهم
لا عقولهم وقلوبهم ؟ ! وقد يزعمون أنهم يعرفون فى الجمال .
وهذا نادر . إن الجمال فى الحشمة قبلما يكون فى التبذل . إنه
فى التستر قبلما يكون فى التهتك . إنه فى السر المكنون قبلما
يكون كاللحم المعروض عند الجزار .

قال لى صديق الأستاذ اسكندر مظهر : انظر خطر
ستانلى باى على رجل متزوج . إنه يشوش ذهنه . إنه يجعله
يزهد فى بيته . إن امرأته يستحيل أن تكون على غرار هؤلاء
الفتيات . فيا للخطر الذى تتعرض له بيوت شريفة ، هادئة ،
مطمئنة !

وهذه ملاحظة صادقة . وهى عندى ليست خطرا فقط
على المتزوجين ولكن على العزاب أيضا . إن الذى يتزوج من

ستانلى باى سيتزوج الطيش والتبرج . إنه سيتزوج لشهوات
طارئة لا تلبث أن تزول وتعقبها يقظة موجعة . إن فى كل مصرى
الكائن الرجعى الخفى الغيور . الغيرة فى فطرتنا ، وقد احتفظنا بها
ولازمتنا الدهور الطوال ، فالذى سيفتنه ذلك البريق ويخطفه
ويرتفع به عن أرضنا لا يلبث أن يلقى ثانية من حالق .

ليس الزواج الكريم ، الشريف ، الرزين ، الأمين ، الذى
تطمئن اليه القلوب ، من شاطئ ستانلى باى . إنه فى مكان
آخر بعيد جدا . إنه مكافأة للواتى لم يبذلن أجسادهن تنتهبها
الأنظار حبا فى الأنظار . إنه ينتظر اللواتى انتظرن الخير
خالصا غير ممزوج بالشر .

جددوا حياة البيت !

في الاسكندرية . « مساء السبت » . مرقص في وندسور .
مرقص في سسيل . مرقص في التريانون . مرقص في اثنيوس .
في كل مكان مرقص . ومع ذلك ما أقل الإقبال على الرقص .
رأيت في اثنيوس بصحبة الصديقين الشعارين الأديبين
خليل وصديق شيبوب ، مائة يجلسون وخمسة أزواج يرقصون
بل أربعة بل ثلاثة ، ويرقصون في شبه نجمل . وآثر الناس أن
ينظروا الى بعضهم بعضا . وكان الجؤكله مشبعا بشيء لا أدرى
كيف أسميه هل هو زهد أو هو انكسار خاطر أو هو تعب
أعصاب أو هو ملل وسامة .

في العشاء . في مطعم ج ... أوثره لأنه مشهور بأصناف
السّمك . فاذا ذهبت الى الاسكندرية أكلت كل يوم سمكا
غداء وعشاء . وكانت الموائد في تلك الليلة قد غصت بالأُسُر
الافرنجية تُتَلَذَّذُ بأكلة ليلة الأحد . وكانت هناك أسرة كبيرة

من اثني عشر شخصا تأكل في فرح ومرح . فمن عادة الكثيرين من الأجانب أن يخرجوا ليلية في الأسبوع للعشاء في مطعم . وهو ما أريد أن أشير به على الشاب المصري الحديد الذي يتزوج . فلماذا لا يدعو امرأته يوما في الأسبوع للعشاء خارج البيت ؟ اذا كانت عنده سيارة ، أو لم يكن ، فلماذا لا يستقل القطار مرة في الأسبوع أو في الشهر الى الفيوم مثلا فيتعدى هناك على شاطئ بركة قارون ويقضي سحابة يومه ؟ ! بل ولماذا لا يقضي ليله أيضا في فندق صغير من تلك الفنادق التي تحتها مطعم ومقهى وليس فيها بعد كهرباء ؟

والزوجة لماذا لاتدخر من مصروف البيت ، اذا لم تكن غنية ، وتدعو زوجها ، هي بدورها ، ترد له الدعوة ، الى الشاي أو العشاء في مكان ما ، من حين الى حين ، خارج البيت ؟ إن هذه الدعوات المفاجئة تجدد الهناءة . فالهناءة لاتأتينا تسعى على قدميها طائعة مختارة بل هي كالمال يجب أن نجد في تحصيله . تصوروا سيدة تقول لزوجها : « انا عازمك الليلة يا حبيبي » . بماذا يشعر ؟ أليس بسرور المفاجأة أولا ، وبأنه

سيغير منظر خادمه المنحوس ثانيا ، وبأن زوجته هي صاحبة الدعوة ثالثا ؟ أليس فى هذا ما يشعره بأن زوجته ليست زوجته فقط ولكنها أيضا صديقته ؟ !

وهو يذهب معها . لا يسألها الى أين ليرى تفننها . وهى قد تختار مرة وتهتدى مرة . وهى قد توفى مرة وتحقق مرة . ولكنها لا تلبث أن تبرع ولا « ينخرم » معها الحساب والنفقة وستجد لذلك لذة أى لذة . ولتكن دعوتها أحيانا بعض السندويش يأكلانه على صخرة من صخور الأهرام ، فى ضوء القمر ، على أنغام حب يغنيها الزمن فى تلك البقعة الخالدة قائلا : « إن الحياة دقائق وثوان » ولتكن دعوته إياها مرة فى أحد الفنادق الكبرى على أبهة الأنوار ، وسحر الموسيقى ، ولذة الطعام وتنوعه وحسن تقديمه . أعتقد أن كل بيت فى حاجة الى الجديد ، وإلا نسج عليه العنكبوت خيوطه . أعتقد أن كل حب بحاجة الى العناية والخدمة باستمرار . وإذا ضحك السخفاء والسفهاء من هذه المقترحات فذلك لحسن حفظنا . وإلا وجدناهم أمامنا فى تلك الدعوات الخاصة ، يسدون علينا منافذ الطريق .

سـيـدى بـشـر

غروب الشمس فى سيدى بشر، سلام فى الطبيعة تستمد.
منه الأرواح سلاما . جالسنا الى البحر . ما أجمل البحر
فى سيدى بشر ! انه بحر عظيم نبيل ، لا يشاهد الفضاء التى
تجرى فى الجانب الآخر . ولعل هذه بركة سيدى بشر على
شاطئه ! أليست البركة تجوز فى مثل هذا أيضا ؟

كانت الشمس لهيبا وذهبا . كانت كالفؤاد المعذب .
لا يغنى اللهب عن الذهب ولا يغنى الذهب عن اللهب ، كانت
الشمس شاعرة غنية . تنثر النضار على صفحة السماء الصافية
بسحاء تارة ، وتمزق أديمها بأسواط من نار تارة أخرى .
وما قيمة الغنى إذا لم يبذل فيشعر الغنى بأنه غنى ، بأنه سيد ،
بأنه أمير ، لا بأنه عبد ذليل للال ؟

الوف الأغنياء يمرون ولا يقفون بسيدى بشر . إن جمال
الطبيعة هو سر لا يبدو الا للموعودين . إنه للفقراء وللشعراء .

والفنانين قبلما يكون للوسرين . إن الأثرياء قد امتلأت
رءوسهم بمشاغلهم ومشاكلهم فلم يعد جمال الطبيعة يجتذبهم .
وهذا توازن القدر . اذ يجب أن يكون للشعراء والفقراء شيء
لا يشاركهم فيه سواهم . شيء لكل الناس ولكنه وقف عليهم ،
شيء مضمون به على غير أهله .

شبع العيون سريعا من رؤية الأجساد العارية . وزهدت
النفوس . في كل عشرين جسما تجد جسما واحدا يستوقف
النظر . ولكن لعل الوجه في تلك الحالة يصرف النظر !
هل توجد امرأة جميلة حقا ؟ ! هذا سؤال يصعب الجواب
عليه . لأنه عند ما توجد تلك المرأة ، عند ما تثبت انها جميلة
الجسد فعلا فإن روحها قد تكون تافهة أو شريرة وهذا توازن
القدر .

حقا إن ما لا سر له يخفيه فلا جمال له يبيده . لو أدركت
النساء ذلك لاقتصدن في العرى وفي التجرد عن الثياب .
لو أدركت الفتاة ذلك لضنت بكل هذه التقاطيع تبرزها ،
وكل هذه النظرات تبذلها .

غروب الشمس فى سـيدى بشر ! لم تمر عنده ثلاث
فتيات ، ولم تقف به ثلاث سيارات . ان الناس هائم بعضهم
بالبعض . انهم يحدون الأثر باحثين بعضهم وراء البعض . انهم
جاءوا يبحثون عن شئ آخر غير الرمل والماء والشمس والهواء .
انهم يبحثون عن قيود لأيامهم ولياليهم . انهم يمدون
أيديهم للسلاسل والأغلال بدلا من أن يفتحوا صدورهم للهواء
وعيونهم للسماء .

حسنا أن نعود من شاطئ البحر وأجسادنا سمراء نحاسية ،
ولكن ليس لنا أن نقصد البحر بنفوس كنفوس الجوارى
والعبيد ، تقول : هل من مشتر ؟ !

غاية الصيف

« ستانلى باى » موحش ، والكابينات مقفلة صماء كأنها
أكتفت بما مر بها من الهناء : العرس قد انفض ، وبدأ
الفراشون يرفعون الكراسى .

هذه الكابينات الأنيقة كأنها حلقة الاولمياد ، والبحر
ملعبها . وهذه هى عرائس البحر، وجنيات البحر. حبذا جميع
بنات المدارس يخصص لهن شاطئ من تلك الشواطىء التى
تعدّها البلدية ويأتين لقضاء أيام فى اللعب والمرح . نحن بحاجة
شديدة الى الفتاة الرياضية ذات الجسم المرن القوى النشط
السليم الذى ليس فيه ترهل . وتلك الأيام التى اقترحها هى أفيد
ألف مرة من تلك الحركات الجمازية العتيقة الضئيلة التى
لا تغنى شيئاً . ويكفيننا شقاء تلك الفتاة التى ظلت مكتومة
الأنفاس دهرًا فاكفهر وجهها واغبر لونها وورثت بعد ذلك
أولادها الصفرة والسقم .

رأيت البيجاما على شاطئ البحر . ليست البيجاما شيئاً
إلا بمن تلبسها . كانت هناك سيدة بشعر أحمر وبيجاما بيضاء
يتمنى الإنسان لو وضع نظارة سوداء حتى لا يراها .

ومرت على رصيف الكورنيش سيدة أجنبية في بيجاما
سماوية تجر بيديها كلا سلوقيا جميلا ، فكأنها « ديانا » آلهة
الصيد والرشاقة عند القدماء ، أو كأنها « كريزيس » في قصة
أفروديت تمر بقناعها الذهبي على رصيفة الاسكندرية وترسل
السحر عن الشمال واليمين .

وجاءت أسرة مصرية فضربت شمسيتها الكبيرة على الشاطئ
كما يضرب البدوي خيمته في الصحراء ، واستقبلت البحر
ونسماته ، واستقبلت الصحة والأمل ، وكانت الأسرة المصرية
أمس تدفن أيامها ولياليها بين الجدران ، وتوصوص بعيونها من
الشبابيك وثقوب الأبواب ، وإذا رأت رجلاً قالت « يوه ! »
ولهذه « اليوه » ما وراءها . أما الآن فقد أسفرت المرأة المصرية
حتى إذا عفت فعفافها ليس عفاف الحجاب ، وفضيلتها ليست
فضيلة السجون .

لنزعها

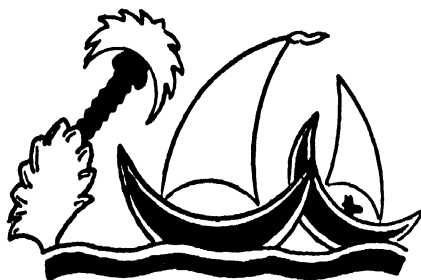
الإنسان والحيوان

فى دفتر التليفون، نمرة « طبيب بشرى وبيطرى » !!!
وهذا عنوان مناسب جدا . لأن الرجل يستطيع أن يذهب
للكشف على نفسه، ويكشف على حماره، بالمره ! . وتذهب
السيدة الأنيقة لتكشف على شىء ما يؤلمها ، وتأخذ معها كلبها
للكشف عليه، بالمره ! . .

ولكن المهم هو منظر اجتماع الحيوان والانسان فى صعيد
واحد ! . . فإذا سكتنا للزبون حتى دخل بحماره فهل يذهبان
الى غرفة انتظار واحدة أو ينفصلان ؟! وإذا نرق الحمار حزنا
على فراق صاحبه ونبح الكلب انزعاجا لفراق سيده وثار
الثور مثلا لأن فرش قاعة الانتظار أحمر . . فماذا تسمى عيادة
الطبيب البشرى البيطرى هذه ؟!

فى الحق إنها تسلية ! . . وكان يمكن قطع تذاكر للفرجة على
قاعات الانتظار هذه مثل «سرك هاجبك» ! . . ولا بد من إناطة

خدم بإطعام الحيوانات .. حتى إذا « هوهو » فوكس أسرع
إليه بقطعة سكر . وإذا صهل الحصان أسرع إليه بنحالة الفول .
وإذا نهق الحمار بادر إليه بالعليق والبرسيم .
ومثل هذه العيادات شيء لم يسبق له مثيل . وأنا أحب
هذه المتناقضات تجتمع هكذا لأنها تسلي القلب الحزين .
وحبذا لو كثرت هذه العيادات لأنها تذكر الناس بما هم مدينون
به لحيواناتهم ، وأنهم إذا كانوا أعقل منها ، فليسوا أفضل ،
بدليل أن هناك رجلا رحيا قد جمع الكل في عيادة واحدة ،
لها طبيب واحد ، وتليفون واحد .



البحث عن عروس !

” ان كنت قد نسيت حاجتى فالك معذور لكثرة شواغلك ، وما عليك إلا أن تكتب للناس أن شابا مصرى بلغ أقصى درجات التعليم الدراسية بمصر وانجلترا يطلب عروسا عوراء أو عمياء أو عرجاء أو كسحاء أو سمراء أو سوداء ، ويشترط على نفسه أن يدلها كما تهوى بشرط أن تكون مستعدة للغامرة وإياه فى سبيل الحياة “ .

”أريد عروسا تكتب وتؤلف معى القصص والروايات باللغتين الانجليزية والفرنسية ، وأن تكون على قدم الاستعداد للافطار البعيدة والى مجاهل البلدان لا يؤنسها الا محبتي الأكيدة واخلصى الشديد “ .

”أريد عروسا لاتعترف بمسألة اسمها المهر ، ولا تعرف لمال قيمة الا فى سعادتها وهنائها وشهرتها ولا تعرف للذين يسعون وراء الشهرة وطنا ولا بلدا “ .

”أريد عروسا تخرج معى الى المجتمعات سافرة قادرة على ضبط نفسها وسط الحفلات العامة من علية وخطابية ورياضية ، تنظر الى الناس من عل لا يهرها جمال أو كمال أو دلال “ .

”أريد عروسا لا تأكل بأصبعها ولا تتمضغ الطعام لولاكا فى شذقيها ولا تنأفف فى شرب الماء كمصصة الثعابين ولا تشخر فى نومها شخير الذبيحة “ .

”وأريد أن أقول لتلك العروس انني في ريعان الشباب جميل الطلعة حلو الحديث كثير النكات لا أسعى لإلا الشهرة ، واني أرب في زوجة تساعدني وتأخذ بيدي في ذلك السبيل “ . « ع . ف »

إننا نسجل باغتيال هذا الطلب الجديد للزواج في مصر ، فهو وثيقة تدعو الى الابتسام في هذه الأيام الحزينة . ولكنني أرجو «ع» أن يعدل الأساس ، فاني أعتقد أن الفتاة المصرية التي يشدها لا تعرف مصمصمة الثعابين وانما هديل الحمام ، ولا تشخر في نومها وانما تحلم به !

ثم اذا كان يطلب حقاً عروساً عوراء أو عمشاه أو كسحاء ، فاني أعتذر اليه لأن ليس لدينا طلبه ، فليست توجد واحدة بهذا الوصف بين قارئات «الاهرام» الكريمات .

واذا كان يصر على سيدة بهذا الوصف ، مع معرفتها للغتين الفرنسية والانجليزية ، فنستطيع أن نرجو سعادة الدكتور شاهين باشا أن يرسل منشورا الى المستشفيات المختلفة بأنحاء القطر للبحث عن العروس ، وبعد ذلك ندخلها مدرسة (برليتس) . ومع هذه الدعاية فاني اسمع هذا النداء وأشعر بمقدار مافيه من مرارة وألم ، فأرجئ التعليق الجدي الى غد .

طالب زواج !

« ع » شاب ظريف حقا . فقد نشرنا رسالته أمس
التي يطلب فيها عروسا مهما كان شكلها على شريطة أن
تكون فتاة عصرية تعرف الانجليزية أو الفرنسية لتؤلف بهما
القصص والروايات ، وتغامر معه في السفر الى أقطار بعيدة ،
ولا تطلب مهرا ...

ونحن نشكر له حسن ظنه إذ يزعمنا قادرين على ذلك .
وإذا نحن حللنا هذه الرسالة استبعدنا عناصر تأليف الروايات
والسفر الى مجاهل الأرض . فليس الكاتب في حاجة الى أن
يتزوج بكاتبة ، والفيلسوف لا تلزمه فيلسوفة شريكة لحياته .
وإذا كان حضرته يرغب في الشهرة حقا فانه بالتماسها عن طريق
الزواج بفتاة تشاركه في التأليف يأخذ أبعد طريق الى الشهرة .
وما شهرة الكاتب إلا نتيجة السهر الطويل والصبر الجميل
وحسن الاستعداد وتذوق الحياة . وكذلك شرط السفر الذي

مازال فى عالم الغيب ؛ فهو يعدّ عندنا منفرا لا مبشرا ؛ والمرأة
التي تحب زوجها حقا لا تتردد فى أن تتبعه ولو الى جهنم .
أما اشتراط السفر (قبل الهنا بسنة) فهو سابق لأوانه .

إذا نخرج من تصفية الرسالة الى أنك تريد ، باختصار ،
فتاة مصرية عصرية راقية بلا مهر . وإذا كنت حائزا كما تقول
كل تلك المحاسن وخفة الروح وشهادة عالية من انجلترا فعليك أن
تبحث . وقد سهل مهمتك ما نشرناه لك . والطريقة الوحيدة
المتبعة أصفها لك ، لأنك على ما يظهر عائد من انجلترا حديثا
ومتشبع بأفكار متطرفة ، واليك هى :

أن يبحث الخاطب عن خاتبة محترفة (بلانة أو دلالة
أو عالمة أو نكيا أو دادة) أو ما شابه ذلك ، ويطلع مائة (كلرت
فيزيت باكشيات) باسمه وعنوانه وأصله وفصله وشهاداته
ووظيفته ، مع توضيح اذا كان داخل هيئة العمال أو خارجها ،
وماهيته وإيراده وإيراد والده وأجداده وأعمامه ومن ينتظر أن
يرثهم . ويكتب على ظهر (الكارت) أنه لا يسكرو ولا يقامر
ولا يعشق . ويعطى تلك (الحرمة) أول مرة ٥٠ قرشا حتى

تذهب من فورها الى احسن من عندها ، لان هؤلاء الخاطبات
متعودات على (الشلن ونصف الريال) . ويحسن صنعا اذا زودها
بصورة (فوتوغرافية) اذا كان واثقا من أنه أبيض اللون (وطول
وعرض) ثم ينتظرها بعد ثلاثة ايام اذ تجيء تصف له أجمل
خلق الله (ولا جميل إلا سيدنا محمد . قوامها واعتدالها وفرنساوى
وبيانو وعود وحسمة لا تخرج ولا تدخل أيوها غنى وأمها غنية
وعمها ليس له ذرية وعزبة فى البحيرة وعزبة فى الشرقية وسراى
وأوتومبيل و ٧ خدامين) .

فاذا سمع هذا الوصف المدهش فأرجوه أن يحلله أيضا
تحليلا تستبعد منه عناصر (التهوئيش) فلعل الفتاة حسب طلبه
هو : (عوراء أو عمياء أو عرجاء أو كسحاء . أو ...) وربما
كان الفرنسى : (بنچور وأوريفوار ومرسى وبنسوار) .
وربما كان (البيانو شوية : «محمد لابس سيفه» على «يا لابس
على السترة نجمة») وربما كانت الضيعات الشاسعة عبارة عن
٧٠ فدانا، مع وجود ٩ أولاد، أو أطيانا تزرع جزرا أو ملانة .
وربما كانت القصور المنيقة بيوتا متهمة تحتها دكاكين ...

أما الشيء الوحيد الثابت الذى يجب أن تصدقه من الخاطبة
وانت مغمض العينين وتقبله قضية مسلمة، وعلى عهدتى، فهو
المهر ! ٣٠٠ جنيه يا حبيبى منها ٢٠٠ يسدد بها الأب بعض
ديونه ويؤجل الزفاف شهورا وأعواما والمائة الثالثة يشتري
بها فرش (٥ أود أو كازيون) .
ومبروك عليك !



طالب زواج آخر

« لى الشرف أنت أحيط حصرتكم علما بأننى بكل سرور تلقيت عدد جريدتكم (...) وقد لفت نظرى العامود المبين به إعلان صحيفة رقم — ١٠ — بخصوص السيدة (...)) والى به تفيد أنها ترغب الزواج بالشاب الذى يجيد اللغتين الانكليزية والعربية . إننى أقدم نفسى لحضرتكم بما أننى شاب نابلسى الأصل من سلالة عربية محضة مخرج من الصف الثانى العلمى من الجامعة الأميركية فى بيروت ، حائز على شهادتين من الابتدائى وشهادة من القسم العلمى أى البكالوريا أجيد اللغتين جيدا . صاحب أملك تقدر بخمسة آلاف جنيه . أرجو التوسط مع السيدة المار ذكرها لأجل زواجها كماهى ترعم على الشروط الآتية :

- (أولا) أن تكون بكرا لأنى أعزب لا أعرف النساء .
- (ثانيا) لا فرق فى الأعمار إن كانت أكبر منى أو أصغر .
- (ثالثا) لا يهمنى إن كانت لها والدة تحب مرافقتها .
- (رابعا) لا يهمنى إن كانت تعرف بشئون تدبير المنزل أم لا لسبب وجود الخدم .

- (خامسا) لا فرق أن يكون جماها عاليا أو متوسطا .
- (سادسا) أهم شئ لدى هو كيان العفة والشرف والاخلاص .

فاذا كانت يا حضرة الأستاذ حائزة على هذه الشروط بتمامها فاني مستعد لتبادل الرسوم بيننا . ولكم اليد البيضاء في اتمام هذا الوفق ما بيننا . ولا زلتم مصدر الانسانية والوفاء .

(صح) أرجوك أن تعلمني جيدا حقيقة الست المذكورة إذا كانت ثروتها ثلاثين ألف جنيه كما هو موضح في جريدتكم الغراء . ولكم الشكر .
« نابلس » . « ... »



والله يا أخى لا أدري كيف سؤلت لك نفسك أن تكتب إلينا هذا الخطاب ! فما نشرت "الأهرام" يوما ما اعلان زواج . ولم تطلب إلينا سيدة مصرية شابا يعرف الانكليزية والعربية مع أن ثروتها ٣٠.٠٠٠ ر. جنيه ، لأن ذلك يكون طلبا رخيصا وهى غالية !

وبالطبع إن ثلاثين ألف جنيه تملكها سيدة سيأتى إليها (العرسان) لامن نابلس فحسب ، بل من الهند والسند أيضا .
وإنى أؤكد لك أن شباننا المصريين فى منتهى اليقظة والتنبه الى مثل هذا ، فلو أنهم استنشقوا رائحة ثلاثة آلاف فقط ، لا ثلاثين ألفا ، لوجدت على بابها (بضرب السيف)

ولانصرف الناس عن تجارتهم وصناعتهم الى اتقان اللغتين الانكليزية والعربية ، مادام ذلك يعود عليهم بعروس تحمل في (الحفة) السعادة و (بطاطين) الهناءة ثلاثين ألف أهيف ، تكال بالكيل ، لأن مصلحة الاحصاء بجلالة قدرها « تتأخبط » في عدها .

اطمئن ياسيدى الى ان هذا حديث خرافة ، وأن صاحبك قد داعبك باسم « الأهرام » . واذا كنت تملك كما زعمت خمسة آلاف جنيه فانتا نرسل اليك من هنا طلبات من خمسة آلاف عروس ، فان الزمن قد تغير وتبدل ، وأصبح الناس مسعورين على المال لا يفكرون في الحب وسلام البيت وراحة القلب ، والمال الذى يستخدمونه لسعادتهم هو الذى يذلهم ويشقيهم ويحيرهم ويجعلهم يزهدون فى بنات بلدهم ، ويريدون أن يسافروا فى سبيل ذلك من مصر الى نابلس أو بالعكس ! ...

طالب زواج أيضا ! ...

يقول مراسل «الاهرام» في طنطا أمس أن المدعو حمدى محمد عوض، من أهالى كفر الخادم، قد تناول حامض الكربوليك بقصد الانتحار لأن شقيقه تزوج قبله، بينما كان الاتفاق بينه وبين والدته يقضى بزواج الشقيقين فى وقت واحد، وقد نقله رجال الإسعاف الى المستشفى الأمري .

حقا أنه يصعب على أى أحد فى الدنيا أن يشهد للزواج بأحسن مما شهد له به هذا المنتحر ، الذى جاد بروحه حرنا لأنه لم يتزوج . فهو إذن من أعداء (جحا) الذى لعن من تزوج قبله لأنه لم يحذره ، ولعن من تزوج بعده لأنه لم يأت لاستشارته .

وما سمعنا حتى الآن بأحد ينتحر إلا من ضيق ذات اليد أو السقوط فى الامتحان أو المرض أو من الحب ، ولكننا لم نسمع عن إنسان ينتحر لأنه لم يتزوج . فلا بد أن أهالى كفر

الخدام هم أسعد الناس بالزواج حتى يحسدهم الى هذا الحد
«حمدى محمد عوض» ويؤثر الموت على العزوبة .

واذا كان الافرنج يتشاءمون من زواج الأخوين أو الأختين
فى يوم واحد فالظاهر أنهم فى ضواحي طنطا يتشاءمون اذا لم
يتزوجوا جماعة .

ولا أدرى علام يحسد «حمدى محمد عوض» شقيقه
الذى تزوج قبله ! ونحن فى رمضان، وكان يمكنه أن يصبر
قليلا ولو الى العيد الصغير، وعندئذ يعوض ما فاتة، بل ربما
سبق أخاه وآتاه الله ذرية قبله .

لم تكن السماء ستقلب على الأرض (ياسى حمدى) ولم
يتزوج جميع بنات كفرالخدام . واذا كانت الدول تخلف
انفقاتها وتلغى معاهداتها فان (الست أم عوض) لم ترتكب
وزرا وأمرأ إدا، ولعلها فقط تريد (أن تبلى ريقها) من المهر
الذى دفعته، والفرح الذى تكلفته (والعزائم والمأذون وشيخ
الحفر والحلاق وشوبش) .

وهكذا شاء (الجدع) أن يقلب العرس مأتما، وبدلا من

أن يرتفع (صوات) العروس ارتفع (صوات) الأم، وبدلاً من
أن تطلق الطلقات النارية في الهواء دق جرس الإسعاف .
لأنه بدلاً من أن يأكل (الكسكسي) ويشرب الأوتار أكل
الحزن قلبه وشرب حامض الكربوليك .

ولكن (معلّش)، هذه قسمة ونصيب فمن يدرى ! لعل
المكتوب على جبينه قد ظهر قبل أوانه، ولو أنه كان قد تريث
قليلاً وتزوج فلربما كان بعد ذلك قد انتحر أيضاً ! .



سندات الدين !

يا بنحت اللي عنده سندات دين موحد ! لقد باضت له
فى القفص بيضة من ذهب وصدر بذلك أمس حكم المحكمة
المختلطة . وهكذا سوف تكعم الحكومة أجوازا وأفرادا .
أو بالأحرى إننا نحن الذين سوف نكعم ! .

ورأت المحكمة ألا تهز البورصة فلم تؤجل الحكم بل أعلنته
من فورها، وبذلك هزت فرائصنا نحن الغلبة اللي لا قدامنا
ولا ورانا...ولا يلبث دولة صدق باشا أن يفرض علينا ضرائب
جديدة، ضرائب للشى فى الشوارع على الشمال، وضرائب للأكل
بالشوكة والسكين، وضرائب على الكتابة فى الجرائد، وضرائب
على الضحك والابتسام ! ... فأبو السباع بارع فى ذلك ولكننا
نسأل الله ألا تصيب هذه الضرائب سكان العزب والكفور،
والحارات والأزقة ، والبيوت الواقعة بقدرة قادر ، فكفاهم

« ضريبة » الفقر و « دمغة » البؤس ... وكفاهم « احتياطي »
الشقاء و « معاش » الغلب .

وسيجلس المعلم جعلص ، ونحن في رمضان ، بعد فطور
المغرب وصلاة التراويح يشرب الجوزة ، رجلا على رجل ، أوفردة
بلغة في الأرض وأخرى على الدكة ، وبعد كام نفس يسأل عن
الدين الهباب ده وهو لسه ما انسدش ... وكانت السبع دول
الى ملكت البحر والبر ساكتة على حكومتنا ليه لحد دلوقت ...
دى خيانة ! ... وليه تاخذها غدر كده في السنة الهباب الى القطن
فيها يدفعوا عليه فلوس علشان الناس تشيله من الغيطان ... ولحد
امتي تسكت الحكومة على الحكم ؟ وفين جيشها وعساكرها
والمدافع الى في القلعة ... ولكن سيبك ... ده برضه ولس
الانجليز ! بقى يعنى لو الانجليز كانوا مش عايزين يفقرونا كان حد
قدر يقول تلت التلاته ذهب مش ورق ... وهو يا ناس
الذهب ده حد بيشوفه لما يحكموا به ؟ يا عم ... نهايته ...
يحلها سيدك ... ويا ما بلاوى أكثر من دى وزاحها الكريم .
شئ لله يا أم هاشم !

هذه هي فلسفة ابن البلد ، فلسفة الاستهتار والصبر على
الشدائد والأمل في الله... ونحن بحاجة اليوم الى هذه الفلسفة ،
انروح عنا ما نشعر به من ضجر وضيق .
وأشهد أن للجهل فوائد !!



حد الله

في حديث مراسل «الأهرام» بمدينة جنيف مع عبد الحميد شديد بك جاء ذكر المملكة العربية السعودية فقال : إن حالة الأمن هناك على غاية ما يرام حتى إنك لتجد السجن خاليا ، والأحكام تصدر بمقتضى نصوص الشريعة الغراء ، والقضايا لا تكلف أصحابها فلسا ، وهى يفصل فيها وقتيا ، وكل تاجر يشتغل بماله الخاص ، والتفاليس تكاد تكون معدومة ، والحكومة غير مدينة إلا لأغنياء البلاد أنفسهم بمائة وخمسة وسبعين ألف جنيه ، ولا دخل فى ذلك للأجانب مطلقا ، وهذه الديون قد صرفت فى المنافع العامة كفتح الطرق وإدخال اللاسلكى وتسهيل المواصلات . وهذه البلاد نسبيا أقل دول الأرض دينا . وعدد السكان يبلغ ثمانية ملايين نسمة من الرجال فقط فى جميع المملكة ... الخ وأنا أرجو القراء الأعزاء ، والحالة هذه ، أن يحزموا معى حقائبهم ويحضروا «بقجهم» لأننى ناوى أهج على الحجاز .

فنحن في بلاد سجونها مكتظة بالنزلاء الكرام وغير الكرام ،
والقضايا فيها تكلف أصحابها أضعاف أضعاف ما يكسبونه
من ورائها ، وبعض الأوصياء ونظار الأوقاف عاوزين قطع
رقبتهم ، وكل تاجر يشتغل بالدين والتقسيط والدفع يؤجل مرة
والتفليس تسد عين الشمس . والحكومة مديونة لشوشتها
للأجانب اللى عاملين صندوق الدين كالسيف يحز في رقبتنا ويذل
أنوفنا . والأموال تلتهمها ماهيات الموظفين والعلاوات
الاستثنائية للحاسيب والأقارب والحبايب وشو بش ...

ولكن الشيء الذى لا أفهمه ويجعلنى لا أقفل حقائى وارجع
فأفك البقجة وأتردد فى السفر هو أن بلاد الحجاز فيها ٨ ملايين
رجل فقط ! . فهل النساء الحجازيات لا وجود لهن أو أنهن
سواقط ؟ ! لا يا عم ! حد الله ما بيننا وبين بلاد لا يحسب
فيها للنساء حساب !

حدّ الله أيضا

جاءنى اعتراضان على مقالة أمس وقولى فيها : لا يا عم ،
حد الله بيننا وبين بلاد لا يحسب فيها للنساء حساب !
أول الاعتراضين من (حجازى) يقول فيه ان التقاليد لها
أثرها فى إسقاط عدد النساء من إحصائيات المملكة السعودية
العربية (لأنهن يمعن فى الحشمة ويتأنقن فى الحياء . بلاد
لا يمكن أن تعرف تعداد نساءها وليس هناك تبرج ولا سينا
ولا خرافات وإنما امرأة مهتمة بواجبها تضحى بقواها فى سبيل
سعادة الزوج عند قلبها الكبير) .

والاعتراض الثانى من سيد كريم هو « ع . م » الذى
يقرأ « الأهرام » من خمسين سنة وهى بالاسكندرية لأن
عمره ٦٨ سنة . وهذا الشيخ المبارك من زبائن ما قل ودل .
وهو شرف لنا بلا نزاع . وهو يعتقد أنه لو منحت المرأة
العربية ما منحته المرأة الغربية من الحريات لاكتظت

السجون وكثرت القضايا واغتيلت الحقوق من أوقاف وغيرها والتفاليس والاستدانة وبالجملة لساءت الأخلاق إطلاقاً .

أما الرد على المجازى الفاضل فهو أن دعواه تنقض نفسها . فعند ما تكون المرأة كما ذكر من الحشمة والكمال ومن الحرص على سعادة الزوج وعلى هناءة البيت فإننى أحصيها قبل الرجل وأعدها بمائة من الرجال . ومن أغرب الأمور أن دولة في القرن العشرين تتخرج من إحصاء نساها نزولا على حكم الحشمة المزعومة . ان المرأة الفاضلة يجب أن نرفعها فوق رؤوسنا ونهتف بكل قوانا : لقد ظفرنا بالمرأة الفاضلة .

ولست أضرب هنا مثلاً بباريس وبالمرأة الفرنسية ولكن بالمرأة العربية الصميمة وبالنبى العربى الكريم .

فقد جاء فى الحديث الصحيح ما معناه أن بعض الحبشان كانوا يلعبون فى يوم عيد لعبة حبشية فأشرف عليهم صلى الله عليه وسلم وخلفه عائشة رضى الله عنها فوضعت خدها على كتفه لتتفرج على لعبهم فقال صلى الله عليه وسلم : « دونكم بنى ارفده ليعلم اليهود والنصارى أن فى ديننا فسحة » .

وهو مثل عظيم يصح أن تدركه الشعوب الإسلامية
كلها والمجاز ضمنا . فإن وجود النساء قبل الرجال في كشف
الإحصاء والتعداد لا يدل إلا على أننا نفهم الحياة ونقدر كرامة
المرأة، كرامة أمهاتنا وأخواتنا وزوجاتنا ، أى كرامة أنفسنا .
وليست المرأة هى السبب فى ملء السجون والفوضى
والديون ، ولكننا سياسة الرجل الذى يغلب شهواته وأنانيته
ويقتل أشرف وأسمى ما فى المرأة ليقضى لبانته وبعد ذلك
يعدها مرة آثمة ويعدها أخرى غير جديدة حتى بأن تذكر
فى كشف إحصاء !

يا قلبه !

« أحيط حضرتم عليها بأنى كنت طالبة باحدى المدارس الثانوية ومكثت الآن بالمنزل مصير كل بنت ، ولى أخ عمره ١٧ سنة طالب بالسنة الثالثة ثانوى ، وأنحى هذا غاوى أن يكون (حانوقى) وذلك لأنه حينما يعود من المدرسة يذهب إلى دكان (الحانوقى) ويمكث عنده ، وإذا كان عندهم (ميت) اشتغل معهم فى غسله وتكفينه وحمله حتى مقره الأخير . كل هذا بدون أن نعلم ، وكان إذا رآه أحد من الأصحاب أو الأقارب أخبرونا عن حالته مع الوصف الدقيق مظهرين الاستغراب والتعجب ونحن أيضا مثلهم فنسأله عند حضوره فيكذب كل شئ ، وبعد ذلك ضبطه والذى بنفسه فكان اذا ما رآه من بعد ترك حمل النعش لشخص آخر وولى هارباً كأن لم يكن ، وحينما يحضر بالمنزل يلاقى جزاءه من والده من أنواع الضرب المؤلم والتوبيخ ، ويعترف بأن لا يعود الى مثل هذا العمل مرة ثانية أى أن هذه آخر مرة ؛ ويجرد خروجه من المنزل يرجع لما كان عليه . وهدده والذى مرة بالطرد من المنزل ، وفعلا طرده يوما واحداً فإنا كان منه إلا أن ذهب الى منزل (الحانوقى) ومكث عنده وحينما أتى المساء ذهب الى منزل خالتي وبات عندها وطلب منها أن تتوسط له أمام والده بأنه حرم ولن يفعل ثانياً . وكان ما كان بأن حالته لم تتغير ووالدى يريد أن يسير معه حتى يتم كل علومه لأن الولد نبيه وذاك ربه

قوية جدا . وها قد أتت المساحة ويذهب الى الحانوتى كل يوم عقب خروج
والدى من المنزل ولا يطبق المكث بالمنزل ساعة واحدة ، والدى الآن مصمم
على طرده من المنزل نهائيا مادام لم يعرض عن هذه المهنة الحقيرة الدنيئة التى لم يقبل
أحد على مصاهرتها ومناسبتها . وقد لجأت الى حضرتكم بالقاء هذه القصة على
مسامعكم لأنى من المغرمين بقراءة مقالاتكم « ما قل ودل » : فلعلى أجد من
حضرتكم ردا مقنعا على صفحات « الأهرام » الغراء كى يقتنع به والدى ويعمل
به أخى وأكون لحضرتكم شاكرة مع العلم بأن والدى من أرباب الأعمال الحرة .
« آنسة »

حقيقة يا سيدتى أن هذا الأخ مصيبة . فمن أغرب الأذواق
الشاذة الهيام بغسل الموتى وتكفينهم وحملهم الى مقرهم الأخير
(يا قلبه !) فإذا كان الأخ يبحث من وراء ذلك عن المكسب
فلا أظنه واصلا اليه لأنه حانوتى نظيف مترهف ابن مدارس . .
وإذا كان بعض الحمقى قد أدخلوا فى رأسه أن ذلك عمل حلال
له أجره عند الله فان من الحلال أيضا الاتضيع تقود والده
التى يصرفها عليه فى المدارس هباء بل أن يعطيه ويعطى نفسه
حقها من الدرس والتثقيف مقابل ذلك حتى يكون رجلا نافعا
لبلاده . وعمل الحانوتى هو عمل آلى يفعله رجل يحفظ من

القرآن آيات قليلة يرددها بعينها ويكررها دائماً. وعملية الغسل يقوم بها الصبيان ببساطة تامة. وحمل الميت يقوم به كل رجل تحمل كتفه ثقلاً معيناً لمدة معينة، فلا بد من أن يكون قد أصاب أخاك مس في عقله . ومن رأي أن هذا الأخ هو حجر عثرة في سبيل مستقبلك لأن كل خطيب سيقصدهك ويعرف الخبر يقول : يانهار اسود ! . أخوها حانوتى ! . . بيننا وبينها ربنا ! . . وإذا كان هذا الأخ المجذوب يريد أجراً عند الله (لأن الدنيا مش مالية عينه) فأخبروه أن الأشرف من ذلك والأرفع التطوع في جمعية الاسعاف العمومية وإغاثة الجرحى والمنكوبين والملهوفين . فإن الأحياء أحوج الى أيد متطوعة من الأموات . ويجب أن تتحروا مصدر هذه الغية . ومن هو هذا الحانوتى الذى يغويه ؟ وما سيره وسلوكه ؟ وكيف يسكت أبوك على صلة ابنه به وكيف لا يتحرى عنه ويهدده إذا ظل على إغراء ابنه بالانصراف عن درسه وبيته وهو قاصر . فربما كان هذا الحانوتى مفسداً للأخلاق . وفى اعتقادي أن والدك متهاون فى هذا الشأن متسامح فلو كان ابنى لوضعت له شطة وفلفلا ، فى هذا الحر !

مداعبة

فكر بعض الشبان فى السفر الى السودان وفاتحونى فى قيام
حملة كبيرة من الراغبين فى الزواج للانضمام تحت لواء المصلح
الكبير السيد المهدي لأنه يزوج الناس هناك بالألوف ويقضى
بمهر متواضع اسمىّ هو ثلاثة جنيهات .

وهذا هو الذى يسمى الزواج « ببلاش » ... بالنسبة
للغفورات والمفتونات فى هذا البلد . فإن الفتاة هنا تريد الرجال
الجمال والمال ، والدخول فى هيئة العمال ! ... تريده مقطوعا
من شجرة : فلا أب ، ولا أم ، ولا أخت ، ولا أخ ...

تقول عن أمه « الأرملة » وعن أبيه « الساطور » وعن
أخته « الحية » وعن أخيه « الثعبان » ... وتقول عن كل هذا :
« قطيعة » ! ...

فإذا كان الرجل جميلا فإنها تظل غيورا كالذئبة ، وإذا كان
قبيحا فإنها تسخط على الدنيا .

وإذا كان غنيا اجتهدت أن تفقره بالصرف في الكلام
الفارغ، وإذا كان فقيرا نكدت عيشه .

وإذا كان كبير السن اعتبرته عجوزا، وإذا كان صغيرا عدته
طائشا .

وإذا كان أسمر اللون قالت : ما أجمل البيض ! وإذا كان
أبيضه قالت : أسمر حليوه ...

وإذا كان سمينا غنت طول النهار : « يانحيف القوام !... »
وإذا كان نحيفا قالت : عصا عيص النقارية !

وإذا كان موظفا قالت : إيه الماهيه الدون دى اللى كلها
معاش ودمغة واحتياطى وإضافى ؟ ! وإذا كان تاجرا قالت :
والله شغل الحكومة قيمه وسميه !

وإذا كان يحب الخروج تقول : ياميلة بنحتى دايما بره
هوانت ملكش بيت ؟ !

وإذا كان يحب البيت تقول : دايما فى بوزى ، أبوه انخرج
اتهموا شوية ! ...

وإذا كان من هواة الموسيقى يعزف على آلة ماتقول :

قلبت دماغنا بلا دوشه ! ... وإذا كان لا يحبها تقول : اللى
ما تعرف عود ولا قانون تفرفش به قلوبنا !

وإذا كان يحب القراءة تقول : هو أنت ما تجوزنى
وإلا متجوز الكتب ؟ ! وإذا كان لا يحبها تقول : اللى ما تبجى
وفى إيدك رواية ؟ !

وإذا كان يحب السينما تقول : والنبي انت قصدهك
تبصص للبنات ! . وإذا كان لا يحبها تقول : وده مزاج إيه
المقريف ده ؟ !

وإذا كان رزينا تقول : بقى دائماً مبوز اللى سنك
ما يضحك يا شيخ ! . وإذا كان مرحا تقول : بقى ما تقعدش
عاقل زى الناس ؟ !

وإذا تقدّم للزواج منها قبل هذا كله تأمر وتنهر وتطلب
مهربنت خمارويه الذى كان فيه ألف هاون من الذهب .
أردت اليوم مداعبة المرأة، لأنخزي العين ! ...



فهرس

صفحة	وجدانبات	صفحة
٧٢ فناة حزينة	١٨ معنى الحب	
٧٦ سعادة الواجب	٢٢ وفاء الزوجية	
٧٩ المساجد والصلاة	٢٥ الرزق الروحي	
٨٣ رمضان	٢٨ البطون الملعونة	
٨٥ لعب الأولاد	٣٢ موكبان	
٨٨ ليلة عيد الميلاد	٣٥ بانع الدقة	
٩١ عيد عيدنا	٣٨ الأيمان والحب	
٩٤ كلب الغيث همى	٤٢ الناس السعداء	
٩٦ في غفلة الدهر	٤٧ الأولاد	
٩٩ بين التصحية والتمرد	٥١ أين تضع قلبها ؟	
١٠٢ فناة جميلة	٥٣ بغير حب وبغير أولاد	
١٠٥ الشناء صديق النساء	٥٦ الوفاء كالنار	
١٠٨ رأس السنة الهجرية	٥٩ الشباب الراحل	
١١٠ دموع السماء	٦١ الكاتب ليس مهرجا !	
١١٢ الحب والموت	٦٤ المصير	
١١٥ الخبز الروحي	٦٦ القلوب الكسيرة	
١١٨ مظاهر العيد	٦٩ خدعوها !	
١٢٠ وأس السنة الميلادية		

فهرس

صفحة

لحات فى الاسكندرية	١٨٠
نظرات» »	١٨٦
ستائلى باى	١٩١
ستائلى باى !	١٩٥
جددوا حياة البيت !	١٩٨
سيدى بشر	٢٠١
غاية الصيف	٢٠٤

لذعات

الافسان والحىوان ...	٢٠٩
البحث عن عروس !	٢١١
طالب زواج ! ...	٢١٣
» » آخر ...	٢١٧
» » أيضا !	٢٢٠
سندات الدين	٢٢٣
حد الله !	٢٢٦
» » أيضا ! ...	٢٢٨
يا قلبه !	٢٣١
مداعبة !	٢٣٤

صفحة

شم النسيم	١٢٤
» » أيضا ...	١٢٧
الحمى !	١٣٠
شجرة المشمش	١٣٣
أول مايو	١٣٦
الانتحار	١٣٩
زاد الإيمان	١٤٢

شخصيات

داود بركات	١٤٧
خير الله خير الله ...	١٥٠
مختار	١٥٣
غاندى	١٥٧
كريمة السعيد	١٦٠
الشيخ سلامه حجازى	١٦٣
نعيمه الأيوبى	١٦٦

اسكندريات

الى المصيف	١٧٣
عروس البحر الأبيض	١٧٦

كَمُلَ طَبْعُ ثَلَاثَةِ آلَافٍ وَثَلَاثَةِ مِائَةِ نَسْخَةٍ مِنْ كِتَابِ
« مَا قُلَّ وَدَلَّ » بِمَطْبَعَةِ دَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ
فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ ٥ يُولْيَةِ سَنَةِ ١٩٣٤
(٢٣ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ١٣٥٣)

مُحَمَّدُ نَدِيمُ
مُلاحِظُ المِطْبَعَةِ بِدَارِ الْكُتُبِ
المِصْرِيَّةِ

